ظهورات سيّدة لاساليتّ

و

ظهورات الإسكوريال

طبعة أولى

٢٠١٢

❊

منشورات المكتبة البولسية

جونيه – شارع القدّيس بولس – ص. ب : ١٢٥
هاتف : ٩١١٥٦١ – ٠٩/٩٣٣٠٥٢ – فاكس : ٠٩/٦٤٣٨٨٦
بيروت – شارع لبنان – هاتف : ٠١/٤٤٨٨٠٦ – تلفاكس : ٠١/٤٤٤٩٧٣
زحلة – شارع سيّدة النجاة – مقابل مطرانيّة الروم الملكيّين الكاثوليك – تلفاكس : ٠٨/٨١٢٨٠٧

سلسلة ظهورات
٥

ظهورات سيّدة لاساليتّ
و
ظهورات الإسكوريال

أديب مصلح

٢٠١٢

ظهورات سيّدة لاساليتّ

فرنسا ١٨٤٦

«ميلاني»

«ميلاني كالڤا» (Mélanie CALVAT) ابنة پيير كالڤا، الملقّب ماتيو، وجولي بارنوو، (BARNOAUD)، وُلدت بتاريخ ١٨٣١/١١/٧، في قرية «كور» (CORPS) التابعة لمنطقة «إيزير» الفرنسيّة.

أبوها كان على شيءٍ من التقوى، وإذ كانت في الثالثة من عمرها، أراها، يومًا، صليبًا، وحدّثها عن حبّ يسوع للبشر، وعن كلّ ما قاساه من آلامٍ في سبيل خلاصهم. وقد انحفر هذا الحديث في أغوار ذهنها ونفسها.

أمّا والدتُها فكانت كلِفةً باللهو والسّهر والرقص. وكانت تستصحب إلى سهراتها الطفلة ميلاني التي برهنت، منذ طفولتها، عن مقتها لمظاهر الصخب والمجون. فكانت لا تكفّ، حينذاك، عن البكاء والصراخ الحادّ، مستثيرةً حنقَ

أمّها وغضبها. ومنذ تلك السنّ المبكّرة، كانت ميلاني تؤثر على مرافقة أمّها، انتحاء زاويةٍ من البيت، تتأمّل فيها المصلوب. نزعتُها هذه ضاعفتْ نفورَ أمّها منها، فطردتها، ذات يومٍ، من المنزل. وهامت الطفلة على غير هدًى، إلى أن تاهت في غابةٍ، حيث ظهر لها ولدٌ، عرّف نفسه بأنّه «أخوها الصغير»، وجهد في تعزيتها، وطمأنتها، وتثقيفها روحيًّا، ثمّ عاد بها إلى بيت ذويها. وقد تعرّفت فيه، لاحقًا، يسوع. وعلى إثر ذلك انتابها مرضٌ لازمها نحو ستّة أشهرٍ. وما إن أبلّت منه حتّى طردتها أمُّها ثانيةً، فاضطُرّت إلى الرّقاد في عربةٍ كانت متوقّفةً في الطريق. وفي الصباح انطلق صاحبُ العربة بها، غير متنبّهٍ إلى النزيلة التي كانت فيها. ولم يلحظْ وجودَها إلاّ بعد أن اجتاز من الطريق مسافةً غيرَ قصيرةٍ، فأنزلَها في مكانٍ خلاءٍ، وتركها تتدبّر أمرَها بذاتها. وهرع «أخوها» لغوثِها، والتمست، حينئذٍ، منه أن يجعلها تعاني مثلَ آلام المصلوب، وفي الحال اعترتها آلامٌ حادّةٌ. ولمّا بلغت الرّابعة من عمرها أخذت تظهر عليها، بين حينٍ وآخر، أعراضُ سماتِ الصلب.

وفي حزيران من عام ١٨٤٤، وكانت ميلاني في الثالثة عشرة، ظهر لها يسوع وقال لها: «**ستحبّين ما أنا أحببت، وستعانين ما أنا عانيت**». وهي، رغبةً منها في التمثّل بآلام المسيح، اصطنعت زنّارًا غرست فيه دبابيس، ودأبت على لبسه سنواتٍ طويلةً.

أعادها، إذن، «أخوها الصغير» إلى ذويها، وأشفقت عليها عمّتها، فحضنتها في بيتها نحو ثلاث سنواتٍ، كي تقيها من جَوْر أُمّها، وأتاحت لها أن تغشى مدرسةً لعلّها تكتسب بعض العلوم الأساسيّة.

وفي تلك السنّ المبكّرة تنبّأت لها امرأةٌ تُدعى «هنرييت دلوي فابري (Henriette DELUY-FABRY)» بأنّها ستكون، ذات يوم، مؤسّسةً لجمعيّةٍ رهبانيّةٍ، وشريكةً في إدارتها.

ولمّا بلغت ميلاني السابعة من العمر اضطُرّ والداها، من جرّاء فقرهما، إلى توظيفها للعناية بطفلة إحدى أُسر القرية. وبعد سنتين، كلّفتها تلك الأسرة عينها برعاية أغنامها، وحين

كانت تتعذّر رعاية الماشية، في موسم الثلوج، كانت تعود مؤقّتًا إلى البيت وإلى المدرسة، حيث تأثّرت، يومًا، إحدى المعلّمات بما شهدتها عليه من إهمالٍ ورثاثةٍ، فصفّفت لها شعرها تصفيفًا لائقًا. ولكنّ هذا الاهتمام لم يرُقْ لأمّها، التي داخلتها خشيةٌ من أن تعتادَ ابنتُها الدّلال، فلم تتورّع من قصّ شعرها، وتشويه منظرها، ثمّ ما لبثت أن وظّفتها، ثانيةً، لدى أُسرةٍ تسكن بيتًا معزولاً، على قمّة جبلٍ، في قريةٍ أُخرى.

ولم يكن والدها راضيًا عن سلوك زوجته الجائر حيال الطفلة، فكانت تثور ثائرتُه، ويهدّد زوجتَه بهجرها. ولكنّ ميلاني كانت تحاول تهدئتَه، دفاعًا عن أمّها. وذات يومٍ نفّذ الوالد وعيدَه، وطرد زوجتَه من المنزل، وأشفقت ميلاني عليها، فجاءتها بمؤونة طعامٍ. ولكنّ تلك الأمّ، فاقدة الإنسانيّة، كافأتها بوابلٍ من الصفعات.

وجديرٌ بالتنويه أنّه، عندما طعنت ميلاني في السنّ، وأمست راهبةً، وحاول بعض المهتمّين بسيرتها انتزاع شكواها من قسوة معاملة أمّها لها، في صغرها، حرصت هي على

تبرئتها، عازيةً تلك المعاملة إلى كونها هي، في طفولتها، شرسة الطّباع، في حين كانت أمّها كَلِفةً بالمرح، وأنّها لم تتحرّج من الرقص، وهي في التسعين من عمرها، أيّامًا قُبَيل موتها.

عام ١٨٤٥ كُلّفت بخدمة أُسرة «باتيست پرا» (Baptiste PRA) الذي أوكل إليها رعايةَ أبقارِه.

وذات يومٍ ابتاعت لها أمّها أحذيةً لمّاعةً كي ترافقها بها إلى حفلة رقصٍ. ولكنّها، بسبب مقتها لهذه الحفلات، فرّت بعيدًا، هائمةً على وجهها، ولم تعد إلى المنزل إلاّ في اليوم التالي.

وكانت دائبةً على متابعة التعليم الدينيّ، مع أنّ ضعف ذاكرتها لم يكن يسعفها في حفظ ما كان يُطلب منها حفظه غيبًا. وكانت أُمّها، بغيةَ تعكير صفوها، تكلّفها بجمع الأحطاب من البرّيّة، كلّما حان أوان الدروس الدينيّة. ولهذه الأسباب مجتمعةً تلكّأ احتفالُها بمناولتها الأولى، سنواتٍ.

ماكسيمان والرؤيا

«ماكسيمان جيرو» (Maximin GIRAUD)، وُلد في ٢٧ آب **١٨٣٥**، في قرية «كور» (CORPS) أي في القرية عينها التي رأت فيها ميلاني النور. وفي حين عانت ميلاني قسوةَ معاملة أمّها، لم يكدْ يعرف مكسيمان أُمَّه، التي اختطفتها المنيّة، قبل أن يتخطّى طفلُها شهرَه السابع عشر. وتزوّج أبوه، بعد ثلاثة أشهرٍ، من امرأةٍ أُخرى.

كان في التاسعة من عمره عندما كلّفه والدُه بالحلول محلّ راعٍ تغيّب عن العمل في القرية التي كانت ترعى فيها ميلاني أبقارَ مستخدميها، وقد أُوصيَ بالرعاية إلى جانبها. ولنستمعْ إلى رواية ميلاني بهذا الشّأن:

«في نحو الساعة الحادية عشرة قبل الظهر، فيما كنت أرعى أبقار مستخدِميّ، شاهدت صبيًّا يدنو منّي، قائلاً: «يا

صغيرة، أنا، أيضًا، من قرية «كور»، وأودّ أن أكونَ معك».

«وتلقائيًّا، بدافع طبعي الفطريّ، تراجعت بضع خطواتٍ، وقلت له: «لا أريدُ أحدًا معي، بل أبتغي أن أظلّ وحدي».

«ولكنّ الصبيّ استمرّ في ملاحقتي قائلاً: «أرجوك، دعيني معك. فسيّدي يريد أن أرعى أبقارَه مع أبقارك. وأنا، أيضًا، من قرية «كور».

«ولكنّني نأيتُ عنه، مومِئةً بيدي، أنّني لا أريد أحدًا معي. وبعد أن ابتعدتُ جلستُ على العشب، وأخذتُ أحدّث أزاهيرَ الله تعالى. وبعد لحظةٍ، التفتُّ فرأيتُ مكسيمان جالسًا على مقربةٍ منّي. فقال: «لا تردّيني، سأكون عاقلاً».

«غير أنّي، بسبب طبعي المتوحّش، لم أشأ أن أستجيبَ لطلبه، فنهضتُ بسرعة، وهرعت إلى مكانٍ أبعد، ولم أتلفّظ بكلمةٍ، واستأنفتُ محادثتي مع أزاهير الله. وما هي سوى لحظاتٍ حتّى كان مكسيمان، ثانيةً، بقربي، مؤكّدًا أنه سيكون عاقلاً، ولن يتلفّظ بأيّة كلمةٍ، وأنّه لا يطيق الوحدة،

وأنّ مستخدِمَه أوصاه بأن يرعى أبقارَه معي، إلخ...».

«حينئذٍ أخذتني به الرأفة، فأشرتُ إليه بالجلوس، واستأنفتُ حديثي مع أزاهير الله. ولكنّ مكسيمان ما لبث أن كسر الصمتَ، وأخذ يضحك. وبدا لي أنّه كان يسخر منّي. ونظرت إليه فقال: »تعالي نلعب«.

«لم أُجبْه، لأنّني لم أعتدِ اللعب مع أيّ شخصٍ آخر، بل أَلِفتُ أن أكونَ، دائمًا، وحيدةً، واستمررت في العبث مع الأزاهير، فدنا منّي مكسيمان ضاحكًا، وهو يقول إنّ الزهور لا آذانَ لها كي تسمع، فالأحرى بنا أن نلعبَ معًا. ولكن لم تكن لديّ أيّةُ رغبةٍ في مشاركته اللعب. غير أنّني أخذتُ أحدّثه، فقال لي إنّ الأيّام العشرة التي كان عليه قضاؤُها في خدمة سيّده، شارفت على نهايتها، وإنّه سيعود قريبًا إلى قريته، وإلى أبيه... وفيما كان يكلّمني قرع ناقوس «لاساليتّ» مؤذِنًا بالتبشير، فأشرت إلى مكسيمان أن يرفعَ نفسَه إلى الله، فكشف عن رأسه، والتزم بلحظة صمتٍ. ثمّ سألتُه هل هو راغبٌ في تناول الغداء، فرحّب بالدعوة.

«جلسنا، وأخرجتُ من قِمَطري الأطعمة التي زوّدني بها مستخدمي، ووفقًا لما اعتدتُ عليه قبل مباشرة الطعام، رسمتُ على رغيفي الصغير المستدير إشارةَ صليبٍ، وأحدثتُ في وسطه ثقبًا صغيرًا، وأنا أقول: «إن كان، ثمّة، شيطانٌ فلينصرفْ، وإن كان هناك الله، فليبقَ». وبسرعةٍ غطّيتُ مكان الثّقب. وأطلق مكسيمان ضحكةً مدوّيةً، ورفسَ برجله رغيفي الذي أفلتَ من يدي. وتدحرجَ حتّى أسفل الجبل، وضاع. وكان لديّ كسرةُ خبزٍ أخرى، فاقتسمناها، وبعد أن انصرفنا إلى لعبةٍ وجيزةٍ، أدركتُ أنّ مكسيمان ما زال جائعًا، فأرشدته إلى مكانٍ في الجبل تنبت فيه ثمارٌ صغيرةٌ، فمضى إليه، وقطف، وأكل، وعاد لي بملء قبّعته منها.

«في المساء انحدرنا معًا عن الجبل، وتواعدنا على العودة في الغد، لرعاية أبقارنا معًا.

«وفي الغداة، **١٩** أيلول، تسلّقنا الجبلَ معًا، ولحظتُ أنّ مكسيمان طيّبٌ، وبسيطٌ جدًّا، وأنّه لا يتردّد عن التحدّث بما أرغب في التحدّث به معه، وأنّه في غاية المرونة والدماثة،

غير متشبّثٍ بآرائه ورغباته. غير أنّه فضوليّ، إذ إنّه حالما يراني وقد توقّفت، يهرع نحوي كي يرى ما أفعل، وكي يسمع ما أقول لأزاهير اللّه. وإن هو تأخّر في الوصول، كان يستوضح ما قلت. وقد طلب منّي أن أُلقّنه لعبةً، فأوعزت إليه أن يجمع زهورًا نجعل منها «فردوسًا». وعكفنا، معًا، على هذه المهمّة، وسرعان ما تجمّعت لدينا كمّيّةٌ وافرةٌ من الزهور المتعدّدة الألوان. وتناهت إلى أسماعنا رنّةُ ناقوس القرية، مؤذِنةً بالتبشير، وكانت السّماء صافيةً، خاليةً من الغيوم. وبعد أن قلنا للّه ما كنّا نعرف قولَه، اقترحتُ أن نمضيَ بأبقارنا إلى هضبةٍ بقرب الوادي، حيث تتوفّر حجارةٌ تمكّننا من بناء «الفردوس». فاقتدنا أبقارَنا إلى هناك، ثمّ تناولنا وجبةَ طعامٍ زهيدةً، وشرعنا نبني، بالحجارة، بيتَنا الصغير المؤلّف من طبقةٍ أرضيّةٍ لسكننا، وطبقةٍ عليا ستكون هي الفردوس المزعوم، وكانت تتألّف من حجرٍ واحدٍ مفروشٍ بالزهور. وبعد أن تأمّلنا الفردوس الذي أنشأناه، انتابنا النعاس، فابتعدنا خطوتين، ورقدنا على العشب.

«وجاءت السيّدة الجميلة، وجلست على فردوسنا، فلم ينهَرْ.

«لــقــد ارتضت أمُّ اللّٰه الجلــوسَ في ذلك «الــفــردوس» الصبيانيّ الوضيع الذي شيّده راعيان صغيران يعبثان.»

وقد علّقت ميلاني، لاحقًا، على ذلك بقولها: «بحثت الملكة في العالم أجمع، فلم تجد من هو دوني، فاضطُرّت إلى اختياري».

«ولمّا استيقظتُ لم أرَ أبقارنا، فأيقظتُ مكسيمان، وتسلّقتُ التلّةَ الصغيرة، ومنها شاهدتُ الأبقار راقدةً بسلامٍ. وفيما كنتُ أنحدر، ومكسيمان يصعد للّحاق بي، شاهدتُ، بغتةً، نورًا رائعًا أشدّ سطوعًا من نور الشمس، فما استطعت إلاّ أن أهتف: «هل ترى ما هناك، يا مكسيمان؟». وأَلقَيت أرضًا العصا التي كنت أَحملها.

«إنّه ليتعذّر عليّ وصف الشعور العذب الذي انتابني في تلك اللحظة، ولكن كان هناك جاذبٌ يشدّني، وكان يعتريني

شعورٌ بالاحترام، مملوءٌ حبًّا، وكان قلبي يودّ أن يركضَ أسرع منّي.

«وحدّقتُ إلى ذلك النور الثابت، وشعرت أنّه ينفتح، وينبعث منه نورٌ آخر أشدّ سطوعًا، نورٌ متحرّكٌ، ومن هذا النور كانت سيّدةٌ فائقةُ الجمال تجلس على «فردوسنا»، ورأسُها بين يديها.

«نهضت تلك السيّدة، وضمّت ذراعيها برفق، ورنت إلينا، وقالت: **ادنوا منّي، يا ابنيّ، لا تخافا، أناْ هنا كي أبلّغكما نبأً عظيمًا**». هذه الكلمات العذبة جعلتني أطير نحوها، وقلبي يهفو إلى الالتصاق بها إلى الأبد.

«ولما صرتُ على مقربةٍ وثيقةٍ من السيّدة، ووقفتُ إلى يمينها، استهلّت خطابَها، فانهمرت الدموع من عينيها الجميلتين، وقالت:

«إن أبى شعبي الخضوعَ، فسأضطرّ إلى إطلاق ذراع ابني. وذراعُه من الثقل والشدّة بحيث بتّ عاجزةً عن إمساكها.

«لطالما تألّمتُ من أجلكم! وإن أردت ألاّ يتخلّى ابني عنكم، فلا بدّ لي من أن أتوسّلَه بلا انقطاع. ومع ذلك أنتم لا تبالون. مهما صلّيتم، ومهما فعلتم، لن تتمكّنوا من مكافأة معاناتي من أجلكم. لقد منحتُكم ستّة أيّامٍ كي تعملوا، واحتفظت باليوم السابع، ولكنّكم تأبون أن تهبوني إيّاه. وهذا هو ما يثقل ذراعَ ابني.

«والذين يقودون العرباتِ لا يعرفون التكلّم ما لم يقحموا اسمَ ابني في حديثهم البذيء.

«هذان الأمران هما اللذان يثقلان ذراعَ ابني. فإن فسدت مواسمُكم، كنتم أنتم سببَ فسادِها! لقد بيّنتُ لكم ذلك، السنة المنصرمة، من خلال موسم البطاطا، ولكنّكم لم تبالوا. لا بل، كنتم، كلّما عثرتم على حبّات بطاطا فاسدةٍ، تجدّفون وتنتهكون قداسةَ اسم ابني. ولذلك سيستمرّ فساد البطاطا، بحيث لن يتوفّر منها شيءٌ، عندما يحين عيد الميلاد».

(ولم تدرك ميلاني معنى كلمة بطاطا، فأفهمتها إيّاها السيّدة باللهجة التي تحسن فهمها. ثمّ أضافت:)

«إن كان لديكم حنطةٌ، فلا تبذروها. فكلّ ما ستبذرونه ستلتهمه البهائم، وما سينبتُ منه سيتحوّل إلى غبارٍ لدى دراسته على البيدر. وستحلّ مجاعةٌ كبرى. وقبل حلولها، ستنتابُ الأطفالَ الذين ما زالوا دون السابعة من العمر هزّةٌ، وسيموتون بين أيدي الأشخاص الذين يحملونهم. والآخرون سيتوبون وسيكفّرون بمعاناتهم الجوع. ثمار الجوز، أيضًا، ستفسد، والعنب سيتعفّن».

وتلاحظ ميلاني، في روايتها:

«هنا لم أعد أسمع صوت السيّدة التي ما انفكّت تأسرني بجمالها ورقّتها، مع أنّني كنت أشهدها ما زالت تحرّك شفتيها الحبيبتين، وكأنّها تتكلّم. في الواقع كان مكسيمان، حينذاك، يتلقى السرّ الخاصّ به. ثمّ التفتت العذراء كلّيّة القداسة إليّ، وبلّغتني سرًّا، باللهجة الفرنسيّة. وإليكم هذا السرّ، كاملاً، مثلما بلّغتني إيّاه:

«يا ميلاني، ما سأقوله لك الآن، لن يبقى، دائمًا، سرًّا. بل بوسعك نشره عام ١٨٥٨.

«إنّ الكهنة، خدّام ابني، بسلوكهم الفاسد، وباحتفالهم بالأسرار المقدّسة احتفالاً خاليًا من الاحترام والتقوى، ومن جرّاء كَلَفهم بالمال والأمجاد والملذّات، هؤلاء الكهنة قد أصبحوا مواخير فسقٍ. أجل لقد أمسى الكهنة يستأهلون العقاب، وإنّ العقابَ لمسلَّطٌ فوق رؤوسهم. ويلٌ للكهنة، وللأشخاص المكرّسين لله، الذين، بخيانتهم، وسلوكهم المشين، يجدّدون صلب ابني. إنّ خطايا الأشخاص المكرّسين لله تستدعي العقاب، وقد بات العقاب وشيكًا، إذ لم يعدْ، ثمّة، أنفسٌ سخيّةٌ، لم يبقَ أحدٌ جديرٌ بتقديم الضحيّة المنزّهة من كلّ عيبٍ إلى العليّ، رأفةً بالعالم...

«لقد أهمل الزعماء، وقادة شعب الله الصلاة والتوبة، وأَعمى إبليس عقولهم، فأمسوا نجومًا شاردةً يجرّها الشيطان العتيق بذيله كي يدمّرها. وسيسمح الله للحيّة العتيقة أن تبثّ الفرقة بين الحاكمين في كلّ المجتمعات،

وجميع الأسر، فتعمّ الأوجاع الجسديّة والأدبيّة. سيُسلم الله البشر لأنفسهم، وسيرسل ضروب قصاصٍ ستتعاقب مدى أكثر من خمسٍ وثلاثين سنة.

«**إنّ المجتمع على شفا أرهب الكوارث وأخطر الأحداث، وعلى البشر أن يتوقّعوا حكمًا بعصيٍّ من حديد، وأن يتجرّعوا كأس الغضب الإلهيّ.**

«**على وكيل ابني، الحبر الأعظم بيّوس التاسع، ألاّ يخرج من روما بعد العام ١٨٥٩. ولكن عليه أن يكون ثابتًا وسخيًّا، وأن يحارب بأسلحة الإيمان والحبّ، وسأكون معه...**».

(وهنا وردت نبوءاتٌ تتعلّق بنابوليون وبمصيره البائس)

«**ستعاقَب إيطاليا بسبب سعيها إلى الانعتاق من نير ربّ الأرباب. ولذلك ستُسلم للحرب، وسيسيل الدمُ من كلّ جانب. وستُغلق الكنائس أو ستُدنّس، وسيُطرد الكهنة والرهبان، وسيتعرّضون لموتٍ زؤامٍ عنيفٍ. وكثيرون منهم**

سينكرون إيمانهم. وسيكون عدد الكهنة والرهبان الذين سينفصلون عن الدين كبيرًا، وسيكون بينهم أساقفة...

«ستكثر على الأرض الكتب السيئة، وستُشيع أرواح الظلمات، في كلّ مكان، تراخيًا في ما يتعلّق بخدمة اللّٰه. وسيكون لهم سلطانٌ كبيرٌ على الطبيعة. وستضطلع كنائس بخدمة هذه الأرواح التي ستعمل على نقل كثيرين من مكانٍ إلى آخر، وبينهم كهنةٌ، لأنّهم أعرضوا عن الانقياد لروح الإنجيل الأقدس، وهو روح تواضعٍ، ومحبّةٍ، وغيرةٍ على مجد اللّٰه...

«ويلٌ لأمراء الكنيسة الذين لن يهتمّوا إلاّ بتكديس الثروات، وبحماية سلطتهم، وبالسيطرة المتعجرفة!

«وسيقاسي نائب ابني الكثيرَ من الآلام، إذ إنّ الكنيسة ستتعرَّض، فترةً، لاضطهاداتٍ كبرى، وستكون تلك فترة ظلماتٍ تجتاز الكنيسة، خلالها، أزمةً مريعةً.

«وبما أنّ الإيمان المقدّس باللّٰه سيُهمل، سيسعى كلّ فردٍ

إلى قيادة نفسه بنفسه، وإلى التفوّق على أمثاله... وستعمّ جرائم القتل، وأعمال الحقد، والحسد، والكذب، والشقاق...

«سيتألّم الأب الأقدس كثيرًا، وسأكون معه حتّى النهاية، كي أتقبّل تضحيتَه. وسيحاول الأشرار، مرّاتٍ كثيرةً، اغتيالَه، ولكنّهم لن يفلحوا... ولكن لا هو ولا خلفُه سيشهدان انتصارَ كنيسة اللّٰه.

«وسيسعى جميع الحكّام المدنيّين إلى القضاء على كلّ مبدإ دينيّ، كي يُحلّوا مكانَه المادّيّة، والإلحاد، وشتّى صنوف الرذائل.

«عام ١٨٦٥، سيغشى الرجس الأماكن المقدّسة. ففي الأديرة ستذبل أزهارُ الكنيسة وسيغدو إبليس ملك القلوب، فيلتزم المسؤولون عن الجماعات الدينيّة جانب الحذر بشأن الأشخاص الذين عليهم استقبالهم في جماعاتهم، لأنّ إبليس سيستخدم كلّ أساليب مكره كي يدسّ في هذه الجماعات أشخاصًا مستسلمين للخطيئة،

فتنتشر الفوضى، وحبّ الملذّات الجسديّة، في كلّ أرجاء المسكونة.».

وتنبّأت السيّدة العذراء بحروبٍ ستنشب في مختلف البلدان الأوروبـيّة لأنّ إنجيلَ يسوع المسيح سيكون فيها منسيًّا. حذّرت من بذل الأشرار كلّ حِيَل مكرهم، فيعمّ تبادل القتل حتّى داخل الأُسر...

وتلت نبوءاتٌ بكوارث مريعةٍ، إلى أَن يُباد أعداء اللّه، وحينئذٍ، «**يسود السلام، ويتصالح البشر مع اللّه، فيخدمون يسوع المسيح، ويعبدونه، ويمجّدونه، وتزدهر المحبّة في كلّ مكانٍ، وستكون الكنيسة المقدّسة قويّةً، متواضعةً، ورعةً، فقيرةً، ممتلئةً غيرةً، مقتديةً بفضائل يسوع المسيح، وسيُبشَّر بالإنجيل في كلّ مكانٍ، ويحرز البشر تقدّمًا كبيرًا على دروب الإيمان، وستترسّخ الوحدة بين أبناء يسوع المسيح، وسيعيش البشر في مخافة اللّه.**

«**غير أَنّ حقبة السلام هذه لن تطول، إذ إنّ المواسم الوفيرة ستُنسي البشر أنّ خطاياهم هي سبب كلّ الرزايا**

التي تحلّ بالأرض، فيبرز المسيح الدجّال محاطًا بأممٍ كثيرةٍ، وسيحارب المسيح الحقّ، مخلّص العالم الأوحد، ويُسيلُ أنهار دماء، ويجهد في القضاء على عبادة اللّه، كي يُعبد هو مكانه. فتنزل بالأرض شتّى ضروب البلايا، وتعمّ الحروب، وستسود فترة سلامٍ زائفٍ، لا يتطلّع، أثناءها، البشر إلاّ إلى اللهو، فيستسلم الأشرار إلى جميع صنوف الخطايا. بيد أنّ أبناء الكنيسة المقدّسة الذين يقتدون بي، حقًّا، سينمون في حبّ اللّه، وفي الفضائل التي أوثرها. هنيئًا للنفوس المتواضعة التي يقودها الروح القدس! سأجاهد معها حتّى تبلغ مرحلة النضج.».

تلي نُذرٌ مريعةٌ بأرجاس المسيح الدجّال، وأزلامه الأبالسة، وبانتشار الفساد في الأرض. غير أنّ اللّه سيُعنى بخدّامه الأوفياء، وبالبشر سليمي النوايا. وسيُبشَّر بالإنجيل في كلّ مكانٍ، وستطّلع كلّ الأُمم على الحقيقة.

ثمّ وجّهت السيّدة العذراء نداءً إلى أصفيائها، هذا نصّه:

«إنّي أتوجّه بنداءٍ ملحٍّ إلى الأرض: أدعو تلاميذ اللّه

الحيّ، المالك في السموات، تلاميذه الحقيقيّين. أدعو المقتدين بالمسيح المتجسّد، مخلّص البشر الأوحد والحقّ. أدعو أبنائي، مكرّميّ الأوفياء الذين وهبوني ذواتهم، كي أقتادَهم إلى ابني الإلهيّ، أولئك الذين يسعني أن أقول إنّني أحملهم بين ذراعيّ، الذين عاشوا في روحي، أدعو، أخيرًا، رسل الأزمنة الأخيرة، تلاميذ يسوع الأوفياء، الذين اندرجت حياتهم في ازدراءٍ للعالم ولذواتهم، في الفقر والتواضع، في الامّحاء والصمت، في الصلاة والتضحية، في العفّة والاتّحاد باللّه، في الألم، وفي تجاهل العالم لهم، فلقد حان الأوان لكي يظهروا وينيروا الأرض. هيّوا أظهروا أنّكم أبنائي المحبوبون، أنا معكم وفيكم، بشرط أن يكون الإيمان هو النور الذي يضيء دربَكم، في أيّام المِحَن هذه. فلتشحذ الغيرةُ جوعَكم إلى مجد يسوع المسيح وتكريمه. جاهدوا، يا أبناء النور، أنتم أيّها القلّة المبصرة، فها قد أَزف زمنُ الأزمنة، ونهاية النهايات.

«ستصاب الكنيسة بالكسوف، وسيُمنى العالم بالذهول.

ولكن هوذا أخنوخ وإيليّا الممتلئان بروح اللّٰه، واللّذان سيكرزان بقوّة اللّٰه، فيؤمن سليمو النوايا بالربّ، وتتعزّى نفوسٌ كثيرةٌ، وتجتاز أشواطًا واسعةً، بنعمة الروح القدس، وتدين أضاليل المسيح الدجّال الشيطانيّة.

«**ويلٌ لسكّان الأرض! ستنشب حروبٌ داميةٌ، ومجاعاتٌ، وأوبئةٌ، وجائحاتٌ**... (تلي نبوءاتٌ مخيفةٌ). **ووحده الإيمان يبقى.**

«**ويهوي ملك الظلمات إلى جوف الجحيم، وتُطهَّر الأرض بالماء والنار، ويُقضى على ثمار كبرياء البشر، وكلّ شيءٍ يتجدّد. ويُخدَم اللّٰه ويمجّد**».

عندئذٍ أملت السيّدة العذراء على ميلاني نظام جمعيّةٍ دينيّةٍ جديدةٍ، ثمّ استأنفت نبوءاتها قائلةً:

«**إن ارتدّ البشر، ستتحوّل الحجار والصخور إلى حنطةٍ، وتنبت البطاطا من الأرض**».

وتتابع ميلاني روايتها فتقول: «سألتنا السيّدة:

– يا ولديّ، هل تتلوان صلواتكما جيّدًا؟

فأجبناها كلانا:

– كلاّ، يا سيّدتي، لا نتلوها كما ينبغي.

– آه! يا ولديّ، ينبغي أن تقوما بذلك صبحًا ومساءً. أقلّه اتلوا مرّةً «أبانا» ومرّةً «السلام يا مريم». ومتى استطعتما اتلوا أكثر من ذلك.

ثمّ أضافت السيّدة:

لا يشارك في القدّاس سوى بضع عجائز. الآخرون يعملون، أيّام الأحد، كلّ فصل الصيف. وفي الشتاء، عندما يحارون في ما يفعلون، يغشون الكنيسة كي يسخروا بالدين. وفي أيّام الصوم يقصدون حوانيت الجزّارين كالكلاب».

«وسألت السيّدة:

– ألم تشاهدا حنطةً فاسدةً، يا ولديّ؟

فأجبنا معًا:

– كلاّ، يا سيّدتي.

وحينئذٍ خاطبت العذراء القدّيسة مكسيمان:

– «**أمّا أَنت، يا بنيّ، فلا ريب أنّك شاهدتها مرّةً، حين كنت مع أبيك، في محلّة «كوان»، وقال صاحب المكان لوالدك: «تعالَ وشاهد كيف تفسد حنطتي. وأخذ والدك بضع سنابل في يده، وفركها، فإذ بها تهوي كالغبار. وفي طريق عودتكما، عندما صرتما على مسافة نصف ساعةٍ عن قرية «كور»، أعطاك والدك كسرة خبز قائلاً: «خذْ، يا بنيّ، كلْ، هذه السنة، فلست أدري من سيستطيع أن يأكل في العام القادم، إن فسدت الحنطة على هذا النحو».**

«وأجاب مكسيمان: «حقًّا، يا سيّدتي، كنت قد نسيتُ ذلك».

«واجتازت السيّدة الجميلة الساقية، ومن غير أن تلتفت نحونا، إذ كنّا نتبعها، مأخوذين بأَلقها، وأكثر افتتانًا بطيبتها

التي كانت تسكرني، وتذيب قلبي، قالت لنا: «**يا ولديّ، بلّغا ذلك إلى شعبي كلّه**».

«وواصلت سيرها حتّى التلّة التي كنت قد تسلّقتها كي أتبيّنَ مكانَ أبقارنا. كانت قدماها تلامسان أطرافَ العشب فلا تثنيها، وعندما انتهت السيّدة إلى قمّة التلّة توقّفت، فهرعتُ وانتصبتُ أمامَها، لكي أُحدّقَ إليها بدقّةٍ، وأتبيّنَ أيّ دربٍ تؤثر انتهاجَه. كان قد قُضيَ عليّ، وذهلتُ عن أبقاري وعن الأسياد الذين كنت في خدمتهم، وتعلّقتُ إلى الأبد، وبلا شرطٍ، بسيّدتي. أجل، كنت عازمةً على ألاّ أهجرَها أبدًا، أبدًا. كنت أتبعها، بلا غايةٍ، ومصمّمةً على خدمتها، ما حييتُ.

«خُيِّل إليّ أنّني، بوجود سيّدتي، قد نسيت الفردوس، ولا رغبةَ لديّ إلاّ في أن أُنفّذَ كلّ ما تطلبه منّي. وظننتُ أنّه سيكون بوسعي أن أضطلعَ بكلّ ما تكلّفني به، إذ تيقّنتُ أنّها تمتلك سلطةً فائقةً. كانت ترنو إليّ بعطفٍ ورقّةٍ يجتذبانني إليها. وكنت أودُّ أن أرتميَ بين ذراعيها مغمضةً

العينين. ولكنّها لم تفسح لي فرصةً لفعل ذلك، فقد ارتقت برفقٍ، رويدًا رويدًا، نحو أكثر من مترٍ فوق الأرض، ولبثتْ برهةً، معلّقةً، هكذا، في الفضاء، ترنو إلى السماء، ثمّ إلى الأرض، يمنةً ويسارًا، ثمّ رمقتني بعينين تفيضان عذوبةً وطيبةً، بحيث خُيِّل إليّ أنّها كانت تجتذبني إلى داخلها. وبدا لي أنّ قلبي يُشرِع لاستقبال قلبها. وفيما كان فؤادي يذوب هكذا، كان محيّا سيّدتي الطيّبة يتوارى شيئًا فشيئًا. وبدا لي أنّ النورَ المتحرّكَ كان يتكثّف حول العذراء كلّيّة القداسة، حائلاً دون مشاهدتي لها وقتًا أطول، وهكذا كان النور يحلّ محلّ أعضاء الجسم الذي كان يغيب عن أنظاري. ولربّما كان جسد سيّدتي يتحوّل إلى نورٍ ويذوب. وكان ذلك النور الذي اتّخذ شكل كرةٍ يرتقي صوبَ اليمين».

حينئذٍ كسرت ميلاني عصاها، واصطنعت من قطعتيها صليبًا غرسته في المكان الذي صعدت منه العذراء إلى السماء.

مسيرة ظاهرة لاساليتّ

انحدر الراعيان الصغيران من جبل لاساليتّ، وأطلعا مستخدميهما على ما حدث، فأجمع الكلّ على ضرورة إطلاع كاهن رعيّة لاساليتّ، الذي لم تخفَ عليه خطورة الرسالة التي بلّغتها السيّدة العذراء بواسطة الطفلين، فأجهش بالبكاء، قارعًا صدره. وفي اليوم التالي أحاط المؤمنين الذين حضروا القدّاس، وسط فيضٍ من العبَرات، علمًا بطلبات أمّ الله. ووافى عمدةُ القرية، واستمع وتأثّر، واقتنع.

واصلت ميلاني العمل لدى مستخدميها، فترةً قصيرةً، قبل أن تنضوي إلى مدرسة راهبات العناية في قريتها «كور» التي انضوى إليها، أيضًا، مكسيمان، وقد أظهرا، كلاهما، رغبةً في التعلّم.

وسرعان ما انقلب مكان ظهور العذراء، على جبل

لاساليتّ، محجًّا يؤمّه المؤمنون بكثافةٍ ما انفكّت تتصاعد. ولم يلبث أن اطّلع أسقف غرينوبل، وكان حينذاك المطران «فيليبير بروياّر» (Philibert BRUILLARD)، على تفاصيل الظهور وعلى رسالته. ولكنّه، ريثما تحقّق من صحّته، أهاب بكهنته ألاّ يستفيضوا في التحدّث عنه، خلال عظاتهم في الكنيسة. بيدَ أنّه، بعدئذٍ، أضحى من أكثر المدافعين عن ذلك الظهور حماسًا.

وفي هذه الأثناء، اكتشف حجّاجٌ صورةَ وجه يسوع المتألّم، مرسومةً على الحجر الذي كانت أمّ اللّه قد جلست عليه، والذي كان الراعيان الصغيران قد سمّياه «الفردوس».

كان والد مكسيمان في طليعة الذين ردّتهم رسالة لاساليتّ إلى الإيمان، وإلى الممارسات الدينيّة التي كان قد أهملها سنين طويلة.

وبعد انقضاء نحو شهرٍ على الظهور، قامت رعيّة «كور» بتطوافٍ إلى حيث ظهرت العذراء، وسار كلٌّ من ميلاني ومكسيمان في مقدّم الموكب.

مطلع عام ١٨٤٧ صدرت في باريس نشرةٌ عن ظهور لاساليتّ، فتكثّف تدفّقُ الحجّاج، وبات الرائيان يخضعان لمزيدٍ من التحقيق الدقيق.

في ١٨٤٧/٤/١٦، سُجِّل أوّل شفاءٍ عجيبٍ، بفضل سيّدة لاساليتّ، نعمَت به راهبةٌ من مدينة «أڤينون»، وفي ٢٢ أيّار، من ذلك العام، تولّت محكمةُ غرينوبل استجواب الرائيين. وبعد أيّام قليلةٍ، استجوبهما كاهنٌ، كلاًّ على حدةٍ، أمام ستّة شهودٍ، فجاءت أجوبتهما على تطابقٍ تامٍّ.

في نهاية الشهر المريميّ، أي في ١٨٤٧/٥/٣١، احتشد على تلّة لاساليتّ خمسة آلاف حاجٍّ. وأُقيمَ دربُ صليبٍ، في موقع الظهور.

وفي نهاية شهر حزيران، تأسّست، في مدينةٍ فرنسيّةٍ، بمباركة أُسقفها «أخويّة التكفير عن التجديف، وعن تدنيس يوم الأحد»، استجابةً لطلب سيّدة لاساليتّ.

في شهر تموّز وافى أسقف «لاروشيل» إلى لاساليتّ حاجًّا.

ويوم عيد انتقال السيّدة العذراء، ١٨٤٧/٨/١٥، سُجّل الشفاءُ العجيبُ الثاني في لاساليتّ.

ولمّا حلّت مناسبةُ الذكرى السنويّة الأولى للظهور، في ١٨٤٧/٩/١٩، احتشد على تلّة الظهور، أكثر من خمسين ألف حاجٍّ متحدّين الطقس الماطر.

في ١٨٤٧/١١/١٤، عُرض تقريرُ التحقيق الذي أمر الأسقفُ بإجرائه، على لجنةٍ من ١٦ كاهنًا، وعقبَ ثماني جلسات مناقشاتٍ، أعلن اثنا عشر عضوًا تأييدَهم. غير أنّ الكردينال «بوتالد» عارض، فامتنع الأسقف عن إصدار أيّ قرار. ولكنّ الأب «روسّيلو» (Rousselot) نشر، في شهر آب من ذلك العام، تقريرَ اللجنة الأسقفيّة، تحت عنوان: «الحقيقة حول حدث لاساليتّ».

في ١٨٤٨/٥/٤ تمّ تبريكُ معبد لاساليتّ الثاني، وبعد ثلاثة أيّامٍ، احتفل الرائيان بمناولتهما الأولى، وكانت ميلاني، يومها، في السابعة عشرة، ومكسيمان في الثالثة عشرة.

وفي العاشر من شهر أيّار ١٨٤٨، تأسّست في لاساليتّ «أخويّة مريم المصالِحة».

في الثالث والعشرين من شهر شباط **١٨٤٩** توفّي والد مكسيمان، وكانت زوجتُه الثانية قد توفّيت قبل سنةٍ، وأضحى مكسيمان وحيدًا.

في شهر تشرين الأوّل من عام **١٨٤٩**، اشترى الأسقف «برويّار» الأرض التي تمّ عليها الظهور، وفي نهاية ذلك الشّهر تأسّست رهبانيّةُ «الأخوات المعوِّضات» للعناية بالحجّ إلى لاساليتّ.

في نهاية الشهر المريميّ من عام ١٨٥٠، وطّنت ميلاني عزمَها على تكريس ذاتها في حياةٍ رهبانيّةٍ، مؤثرةً رهبنةً تمكنّها من الانصراف إلى واجبات رسالتها.

وفي **١٨٥٠/٩/٢٥** استصحبَ حجّاجٌ مكسيمان إلى القدّيس خوري آرس. وللوهلة الأولى جرى سوء تفاهم بينهما. غير أنّ موقف القدّيس تبدّل لاحقًا، فأعلن: «إن كان هذا الحدث عملَ الله، فلن يقوى إنسانٌ على هدمِه».

في شهر تشرين الأوّل ١٨٥٠ التمست ميلاني الانتسابَ إلى رهبانيّة العناية في مدينة «كورينك» (Corenc)، وانتسب مكسيمان إلى إكليريكيّةٍ صغرى في مدينة «روندو».

في هذه الأثناء أُكره الرائيان على تدوين السرّين اللّذين أودعَتهما إيّاهما السيّدة العذراء، كي يطّلعَ عليهما قداسةُ البابا، فاكتفيا بتدوين ما استطاعا البوح به، وأودعا ما كتباه مغلّفين ختماهما بيديهما، لكيلا يطّلع عليهما سوى الحبر الأعظم. ولمّا طالعهما البابا بيّوس التاسع، يوم ١٨٥٧/٧/١٨ بحضور مندوبَي الأسقف اللّذين جاءا بالمغلّفين، بدا على قداسته تأثّرٌ بالغٌ.

وفي السابع من تمّوز ١٨٥١ التقى الرائيان وتبادلا فحوى سرّيهما. وحاول الكردينال «بونالد»، الذي كان مناوئًا لظاهرة لاساليتّ، الاطّلاع على السرّين، ولكنّ محاولاتِه باءت بالفشل.

في ١٨٥١/٩/١٩ أصدر المطران برويّار، أسقف غرينوبل، بيانًا جاء فيه: «إنّ ظهور لاساليتّ الذي يرتدي كلّ صفات

الحقيقة هو أكيدٌ بلا ريب». وكان الكردينال «بونالد» قد حاول إيهامَ الحبر الأعظم أنّ أسرارَ لاساليتّ هي من تخرّصات فئةٍ ملكيّةٍ، سارع الأسقف برويّار، البالغ ٨٦ عامًا، إلى تبنّيها. بيد أنّ الكردينال «لمبروسكيني»، الذي كلّفه قداسة البابا بدراسة هذه الأسرار بعناية، أيّد قرار الأسقف برويّار، وأثنى على رجاحته ودقّته.

وفي نهاية شهر تشرين الأوّل أعلن الأسقف برويّار، في كلّ كنائس غرينوبل، وفي سائر كنائس الأبرشيّة، تأكيده لصحّة ظهور لاساليتّ.

في ١٨٥١/١٠/٩ باشرت ميلاني مرحلةَ الابتداء في دير راهبات «العناية الإلهيّة» في «كورينك»، معتنقةً اسم «الأخت مريم الصليب» للدلالة على النهج الذي ابتغته لحياتها. وحضر مكسيمان حفلةَ ارتدائها الثوب الرهبانيّ. وبتلك المناسبة قبّلتها أمّها، للمرَّة الأولى منذ مولدها.

في مطلع شهر أيّار ١٨٥٢ أعلن أسقفُ غرينوبل عن

مشروع بناء معبدٍ لسيّدة لاساليتّ. وفي الخامس والعشرين من ذلك الشهر عينه، وُضع حجرُ الأساس لجمعيّة «مرسلو لاساليتّ»، وهدفها النهوض برسالة المصالحة والتكفير، تحقيقًا لرغبة العذراء.

في الثالث من شهر أيلول **١٨٥٢** صدر موجزٌ لسيرة ميلاني الذاتيّة، الذي دوّنته خضوعًا لأمر معرّفها الأب «سيبيّا» (Sébillat).

وفي الشهر التالي تقرّر تمديدُ فترة ابتدائها سنةً أُخرى، بسبب انشغالها المتكرّر بالمقابلات، والزيارات العديدة التي كانت تتلقّاها.

في **١٨٥٢/١٢/٢١** عُيّن المطران «جينولهياك» (Ginoulhiac) أُسقفًا على أبرشيّة غرينوبل، بعد أن قطع لأسقفها السابق، وللبابا بيّوس التاسع وعدًا بمتابعة رسالة لاساليتّ. إلاّ أنّ هذا الأسقفَ كان قد تبوّأ مركزَه الجديد هذا، بدعمٍ من أزلام نابوليون الثالث الذي تنبّأ الرائيان بفشل

حكمه، وبهزيمته، وبنهايته البائسة. ولا عجب، من ثمَّ، إن غدا عهدُه كابوسًا للرائيين ميلاني ومكسيمان، وسلسلة اضطهاداتٍ لاحقتهما بلا فتورٍ ولا هدنةٍ.

وكانت أولى ضغوطه عليهما إكراههما على إعادة تدوين سرّيهما، طمعًا في اكتشاف تناقضاتٍ بين هذا التدوين وما دوّناه، آنفًا.

في شهر تشرين الأوّل **١٨٥٣**، أنهت ميلاني فترة ابتدائها التي كانت قد مُدِّدت. ووافقت راهبات «العناية الإلهيّة»، بالإجماع، على انتسابها إلى جمعيتهنّ، ولكنّ الأسقف «جينولهياك» أمر برفضها، وبإيداعها دير راهباتٍ حبيساتٍ، سعيًا إلى إخراسها، وإبعادها، والحؤول دون اضطلاعها برسالة سيّدة لاساليتّ.

غير أنّ الربّ لم يتخلّ عنها، فقد ظهر لها يسوع، بهيئة ولدٍ فقيرٍ، في نهاية شهر تشرين الثاني **١٨٥٢**، وفي يوم عيد الميلاد تسنَّت لمعرّفها، الأب «سيبيّا» مشاهدة سمات الصّلب عليها.

وكأنّ مِحنَ ميلاني، واضطهادَ الأسقف الدائب لها، لم تكنْ كافيةً، فتعرَّضت عام ١٨٥٤ لهجماتٍ شيطانيّةٍ.

وكان الأسقف «جينولهياك» قد أمرها بالانتساب، ولو صُوريًّا، إلى جمعيَّة راهباتٍ حبيساتٍ، فضاقت ذرعًا، واستنجدت، فعدّ الأسقف سلوكَها هذا نزوةً وتمرّدًا. ولكنّ كاهن المكان تلقّى شكواها، وفي شهر شباط أُرسِلَت إلى دير راهبات العناية في قريتها «كور».

وسُجّل، حينئذٍ، شفاءٌ عجيبٌ ثالثٌ في لاساليتّ.

وبمسعًى من المطران «جينولهياك» طُرد مكسيمان من الإكليريكيّة التي كان يدرس فيها، وأشيعَتْ عنه أبشعُ الافتراءات.

في التاسع من أيّار ١٨٥٤ قدّم الأسقف «جينولهياك» لوزير الأديان تقريرًا وصف فيه أسرار لاساليتّ بالتخرّصات، والاختلاقات الباطلة. ودعمت تقريرَه كونتيسّةٌ كانت تدّعي مواهبَ صوفيّةً، مؤكّدةً أنّ ميلاني هي فريسة أوهامٍ. ونشر أحدُ كهنةِ غرينوبل، بلا إذنٍ كنسيٍّ، مذكّرةً هادفةً إلى تدمير

ظاهرة لاساليتّ. ولمّا تنامى ذلك إلى مسامع الحبر الأعظم، أمر بمعاقبة ناشرها، وذكّر الأسقف «جينولهياك» بوجوب اقتفاء خطى سلفه المؤيّدة للظاهرة.

صمت الأسقف «جينولهياك»، بضعة أشهر، بناءً على أمر البابا، ثمّ أمر بنفي ميلاني (الأخت مريم الصليب) إلى إنكلترا، وبإدخالها، عنوةً، إلى كرمل «دارلنغتون» للراهبات الحبيسات، آملاً ضمان إبعادها، وصمتها، اللّذين قد يؤدّيان إلى طيّ رسالة عذراء لاساليتّ. ولكنّه، سعيًا في الآن عينه، إلى كسب رضا الحبر الأعظم، أصدر في ١٨٤٥/١٢/٤، بيانًا ندّد فيه بمذكّرة التشهير الذي كان قد أصدرها كاهنٌ، غير أنّه اتّهم مكسيمان بالغرور، واتّهم ميلاني بغرابة السلوك. ومع نفيه الأخت ميلاني إلى إنكلترا، ما انفكّ يخشى صوتَها، فكلّف أزلامَه بمصادرة كلّ بريدها الصادر والوارد، حتّى غدت كلّ رسائلها تنتهي بين يديه.

في الثالث والعشرين من شهر شباط ١٨٥٥، ارتدت ميلاني ثوبَ راهبةٍ حبيسةٍ في كرمل دارلنغتون الإنكليزيّ.

وعادت سمات الصلب النازفة تظهر على جسمها. وقد شهدت بذلك رئيسةُ الكرمل في رسالةٍ لها مؤرّخةٍ في ١٨٥٥/٧/٥.

ومع ذلك أمر الأسقفُ «جينولهياك» معرّفَ ميلاني، بتسليمه كلّ رسائلها، تحت طائلة الحرم.

وأخيرًا اهتدى الأسقف «جينولهياك» إلى صيغةٍ يضمن بها رضا الڤاتيكان ورضا السلطات المدنيّة، معًا، فأعلن: «الآن انتهت مهمّةُ الراعيَيْن، وبدأت مهمّةُ الكنيسة». وكان هو «الكنيسة» التي عناها. لم يعد بوسعه إلغاء حَدَث ظهور لاساليتّ، الذي كان قد اكتسب من الرسوخ واتّساع الشعبيّة واقعًا لا سبيل إلى النيل منه، ولكنّه كان يسعى إلى إخراس صوت الشاهديْن الرائيَيْن، الذي، بترداده أقوال العذراء، كان يدينه ويدين أمثالَه.

وجاءت ظهورات لورد، عام ١٨٥٨، فأعادت إلى ظهور لاساليتّ أَلقَه. وأزف الوقتُ الذي كانت السيّدة العذراء قد حدّدته لنشر السرّ. فدوّنت ميلاني نصًّا جديدًا كاملاً لسرّها،

ضمّنته كلّ ما كانت قد أمسكت، حتّئذٍ، عن كشفه، وسلّمته إلى المطران «هوغارث» البريطانيّ، كي يوصلَه إلى البابا بيّوس التاسع.

وفي ذلك الوقت أعلن خوري أرس القدّيس إيمانَه بظاهرة لاساليتّ، وتراجع الكردينال «بونالد» عن معارضته لها.

في تلك الأثناء، كان مكسيمان الذي تردّى إلى حالة عَوَزٍ مدقعٍ، مشرَّدًا في باريس، إلى أن عثر، في شهر آب **١٨٥٩**، على عملٍ في مستوصف. ثمّ، بعد أشهرٍ، انضوى إلى معهد «تونّير» (Tonnerre).

أمّا ميلاني فقد تلقّت، في شهر تمّوز **١٨٦٠** نبأَ انفصال والديها، وفي **١٨٦٠/٩/١٩** نالت إذنًا بمغادرة الكرمل كي تنصرفَ، بحرّيّةٍ، إلى أداء الرسالة التي أوكلتها إليها السيّدة العذراء. فوافت إلى مرسيليا. وهناك التقت أسقف «كاستيلاّ ماري» السابق، المطران، «پيتانيا» (Petagna)، فاعتمدته مرشدًا روحيًّا.

وتوعّكت صحّة مكسيمان فعولجَ في أحد مستشفيات

باريس، وهناك نمت لديه الرغبة في ممارسة الطبّ، والخدمة في هذا الميدان، فتابع دروسًا في الطبّ عامي ١٨٦١ و١٨٦٢، وأحرز تقدّمًا في هذا المضمار. ولكن، وربّما بتدخّلٍ من الأسقف «جينولهياك»، ثناه أستاذُه عن المضيّ قدُمًا في هذا الدرب، بحجّة أنّه، إذا أصبح طبيبًا فسيقصده المرضى بصفته رائيًا وصانعَ معجزاتٍ، لا بصفته طبيبًا ماهرًا.

وفي تلك الفترة تبنّته أسرة «جوردان». غير أنّ كاهنًا كان يمتّ إلى هذه الأسرة بصلة قربى اتّهمه بالطمع في إرثِ تلك الأسرة، وشنّ عليه حملة افتراءاتٍ شعواء، مغرقةً في الإسفاف والدناءة.

في ١٨٦١/١١/٢١، أُوفدت ميلاني، برفقة مرشدة راهبات الرحمة، الأمّ «بريزانتاسيون» (Présentation)، إلى جزيرة «سيفالونيا» اليونانيّة كي تعملا على إنقاذ وضع ميتمٍ متعثّرٍ هناك.

في شهر نيسان من عام ١٨٦٥، انضمّ مكسيمان إلى الحرس البابويّ، رغبةً منه في الدفاع عن الحبر الأعظم،

مغفلاً هويّته الحقيقيّة، التي سرعان ما اكتشفها أحدُ زملائه. وسرعان ما تبيّن مكسيمان أنّ سلوك الحرس البابويّ، في الواقع، كان مناقضًا لكلّ ما تخيّله وتوقّعه، فغادره.

وفي السنة التالية نشر روايتَه عن ظهور لاساليتّ، وردّ على افتراءات أعداء الظاهرة.

عام ١٨٦٧، عادت ميلاني إلى غرينوبل، ثمّ إلى لاساليتّ، مع الأمّ «پريزانتاسيون» التي كشفت، علنًا، النقابَ عمّا شهدته، لدى ميلاني، مدى سبع سنواتٍ، من ظواهر صوفيّةٍ فريدةٍ: هجماتٍ شيطانيّةٍ، وانخطافاتٍ، وسمات صلبٍ...

ثمّ لبّت ميلاني ومرافقتها الأمّ «پريزانتاسيون»، دعوة الأسقف «پيتانيا» فقدمتا إلى نابولي، حيث لاقت ميلاني، أخيرًا، تفهّمًا وترحيبًا، وحيث مكثت سبع عشرة سنةً. وكانت قد تبلّغت نبأَ وفاة والدها في ١٨٦٧/٥/٢٧. وفي العام التالي افتتحت ميلاني والأمّ «پريزانتاسيون» مدرسةً في مدينة «كاستيلاّ ماري» الإيطاليّة.

في ١٨٦٨/١٢/٤ استقبل رئيس أساقفة باريس «داربوا» (Darboy)، مكسيمان الذي تنبّأ له أنّه سيُقتَل بالرصاص. وقد تحقّقت هذه النبوءة بتاريخ ١٨٧١/٥/٢٤.

عام ١٨٦٩ عاد مكسيمان إلى لاساليتّ، وفي العام التالي دمّر الثوّارُ بيتَ الأسرة التي كانت قد تبنّته، في باريس، فلجأ أربابها إلى قرية «كور»، وانضموّا إلى مكسيمان. في حالةٍ من الفقر المدقع.

في ١٨٧٠/٩/١٩، وبمناسبة الذكرى السنويّة الرابعة والعشرين للظهور، دشّن البابا بيّوس التاسع، في روما، أخويّة لاساليتّ.

وبلغ العَوَز من مكسيمان حدًّا مأساويًّا، فاستغاث بالأسقف «جينولهياك» الذي رفض إمدادَه بأيّ عونٍ، وحتّى بكسرة خبزٍ. واستغلّ وضعَه هذا دجّالٌ كان يصنّع مشروباتٍ روحيّةً، عرض إطلاق اسم مكسيمان عليها بغية ترويجها، واعدًا إيّاه بجعله شريكًا له. ولكن ما لبث أن تخلّى عنه محمّلاً إيّاه، فضلاً عن العَوَز، ديونًا باهظةً، وسمعةً نكراء.

بمناسبة عيد انتقال السيّدة العذراء، في ١٨٧٢/٨/١٥، نُظّم أوّل حجٍّ وطنيٍّ إلى لاساليتّ.

وفي عام ١٨٧٥ خَلَف المطران «فاڤا» (Fava) المطران «جينولهياك» أُسقفًا على أبرشيّة غرينوبل، وكان الأسقف الثالث على تلك الأبرشيّة، منذ ظهور لاساليتّ. فور تنصيبه وصف شاهدي لاساليتّ، ميلاني ومكسيمان، بالرعاة الذين تلقّوا، في ضواحي بيت لحم، بشارةَ ولادة المخلّص. غير أنَّه ما لبث أن انقلب عليهما، متبنّيًا موقفَ سلفه، الأسقف «جينولهياك»، المناوئ جهارًا للظاهرة ولشاهدَيها، اللّذين دأب على اضطهادهما بكلّ وسيلةٍ. غير أنّ الربّ رئف بمكسيمان، فتوفّي في ١٨٧٥/٣/١، في قريته «كور»، وهو في أقسى درجات الفقر.

عام ١٨٧٦ أسّست الأُخت ميلاني، مع الأب «فوسكو» جمعيّة راهبات «الغيرة الإلهيّة لقلب يسوع»، في مدينة «كاستيلاّ ماري» الإيطاليّة، وفي العام عينه بلّغت الأب «بليار» (Bliard) رؤيتها لمؤسّسة «رسل الأزمنة الأخيرة» التي استنهضتها السيّدة العذراء، في رسالتها، ودوّنت الأخت

ميلاني نظامَها الرهبانيّ وفقَ ما أملته عليها أمّ اللّه. وعُرِض نصٌّ هذا النظام على أسقفَيْن ولاهوتيّين درسوه فوجدوه «جديرًا بالمصدر الذي نُسب إليه». ولطالما شجّع الأسقف «پيتانيا» الأختَ ميلاني، على تأسيس جمعيّة مرسلين تستوحي نهجَها من توجيهات سيّدة لاساليتّ.

وكانت السيّدة العذراء قد أوحت لميلاني أنّ جمعيّةً رهبانيّةً ستنبثق من قلب الكنيسة، وستحقّق للمسيحيّة خيرًا عظيمًا، وسيكون لها انتشارٌ واسعٌ، وستُدعى جمعيّة «رُسل أمّ اللّه» أو «جمعيّة مرسلي الأزمنة الأخيرة» التي كان القدّيس «غرينيون دي مونفور» قد تنبّأ بها، قبل نحو قرنٍ ونصفٍ، وأطلق عليها هذا الاسم. هؤلاء الرّسل سيلتهبون رغبةً في تحقيق مجد اللّه، وخلاص النفوس، وستحدوهم الغيرة التي كانت تحدو الرسل الأوّلين.

وكانت السيّدة العذراء قد أملت على ميلاني النظام الذي يتعيّن على تلك الجمعيّة اتّباعَه، وأعلنته ميلاني لمّا حان أوانُ إعلانها السرّ الذي ائتمنتها عليه السيّدة العذراء.

وأُعطيَت ميلاني أن تشهدَ، بالروح، تحقيقَ هذا المشروع الذي كانت شديدةَ الرغبة في تحقيقه، «من أجل إنعاش الروح الكهنوتيّ بين صفوف الإكليرس». ولطالما باحت: «أشعر أنّني مدفوعةٌ، دفعًا لا سبيلَ لمقاومته، إلى استعجال تحقيق هذا العمل، ويبدو لي أنّي أسمع، باستمرارٍ، صوتًا داخليًّا يطالب بمجاهدين يدافعون عن يسوع المسيح وتعاليمه».

في عام ١٨٧٨ كانت ميلاني قد فرغت من تدوين رواية ظهور لاساليتّ والبنود الأساسيّة للنظام الرهبانيّ الذي أملته عليها السيّدة العذراء. وكان الكردينال «فرّييري» (Ferrieri) قد أطلع الأسقف «فاڤا» (Fava) على كلّ ذلك. غير أنّ هذا الأخير زار ميلاني (الأخت مريم الصليب) وبلّغها رفضَه لنظام العذراء، مع أنّ لجنة كرادلةٍ كانت قد أشبعته درسًا وتمحيصًا، فلم تجدْ فيه ثغرةً أو شائبةً، بل وجدته يحاكي فصلاً من الإنجيل، ورأت أنّه يحتوي زبدة الكمال المسيحيّ، ممارَسًا برقّةٍ ومحبّةٍ جمَّتَيْن.

وقد عانت ميلاني، سحابةَ حياتها، استشهادًا نفسيًّا

مضنيًا، وهي تشهد تلكّؤ تحقيق هذا المشروع الغالي على قلب العذراء، والاضطهاد الذي استهدف جميع الذين حاولوا نقله إلى الواقع.

وكانت ثلّةٌ من الكهنة الأتقياء قد وافوا إلى لاساليتّ، راغبين في تلبية دعوة العذراء، وكفكفة دموعها، بدعوةٍ من الأسقف «برويّار» وبمبادرة الأب «روسّيلو» (Rousselot)، ولكنّهم قوبلوا بمقاومةٍ شرسةٍ واجهتهم بها طائفةٌ من الكهنة الانتهازيّين، الخالين من كلِّ روحٍ رسوليٍّ، بل من أيّ روحٍ مسيحيٍّ، بل حتّى إنسانيٍّ، دعوا أنفسَهم مرسلين، في حين لم يكن يحدوهم سوى الرغبة في العيش الوثير، والاتّجار بالمقدّسات، والتمتّع بالمغانم والمال الحرام. وكان مكسيمان قد قصدهم، يومًا، وهو في أقصى دركات العَوَز والفقر، ولكنّهم ردّوه بمنهجيّةٍ وشراسةٍ، وضنّوا عليه حتّى بكسرة خبز.

وكانوا قد ألصقوا بميلاني أبشع الافتراءات، وأزروا بتحذيرات السيّدة العذراء، فأضحوا أمثلةً حيّةً لمن سمّتهم أمّ الله «**مواخير فسقٍ**»!

ولا مفرّ، هنا، من سرد رواية ميلاني حول موقف الأسقف «فاڤا» منها، ومن ظهور السيّدة العذراء في لاساليتّ، ومن النظام الرهبانيّ الذي أملته أمّ الله. تقول:

» «ذات صباحٍ من عام ١٨٧٨– أظنّ أنّ ذلك حدث في شهر تشرين الأوّل – عقب الذبيحة الإلهيّة، قال لي الأب «فوسكو» إنّه قرأ في صحيفةٍ أنّ الأسقف «فاڤا» يعتزم القدوم إلى روما كي يصدّق النظام الذي وضعه لكهنة جبل لاساليتّ ولراهباته، فقلت، إراحةً لضميري: «سأستعجل، إذن، تدوينَ نظام أمّ الله كلّيّة القداسة، كي أرسلَه إلى الأب الأقدس». فأبدى الأب «فوسكو» استعداده لإيصاله بنفسه إلى الڤاتيكان.

«وفي يوم أحدٍ، وكان قد انقضى على ذلك نحو شهرٍ، بلّغني أسقفي القدّيس، المطران «پيتانيا»، أنّه راغبٌ في التحدّث إليّ. فوافيت إلى دار المطرانيّة، وفيما كنت أرتقي السلّم، التقيتُ كهنةً طيّبين يذرفون الدموع، وقال أحدهم: «كان الأجدر به أن يمكث في أبرشيّته، عوضًا عن مجيئه

للقضاء على أسقفنا، فلولا رداؤه لظننتُه شرطيًّا متعجرفًا».
وقال كهنةٌ آخرون: «بدافع المحبّة أوقفي تعنيف أسقف غرينوبل لأسقفنا القدّيس، الذي، رغم كلّ ما يعانيه من عللٍ جسديّةٍ، يدأب مطران غرينوبل على أمره، بأسلوبٍ سلطويٍّ متعالٍ، أن يُكرهك على الذهاب إلى أبرشيّته»... ودخلتُ فرأيت، للمرّة الأولى، الأسقف «فاڤا»...

... وطلب منّي المطران پيتانيا أن أُعدّ غداءً لأسقف غرينوبل، الذي حضر، ظهرًا، وقال: «جئت إلى روما لغاياتٍ ثلاثٍ، كي أنال الموافقة على نظام كهنة وراهبات لاساليتّ، ولكي أحصل لكنيسة جبل لاساليتّ على تسمية «بازيليك»، وكي أنفّذَ تمثالاً جديدًا للعذراء، وفقًا للنموذج الذي جئت به، فما من تمثالٍ صُنع حتّى الآن يليق بها، إذ لا يسوغ أن ترتدي العذراء وشاحًا ومئزرًا، مثل النساء القرويّات. إنّ النموذج الذي أعددتُه، أنا، هو الأفضل. فأوّلاً لن يكون للعذراء صليبٌ لأنّ منظر الصليب يُدخل الحزن إلى قلوب الحجّاج، فضلاً عن أنّ العذراء يجب ألاّ تعلّق على صدرها صليبًا».

وتضيف ميلاني قائلةً: «إنّي أربأُ بنفسي أن أذكرَ سائر أقوال الأسقف التي أرعبتني وأذهلتني! وقد اكتفيت بدعوته إلى أن يدوّن بحروفٍ كبيرةٍ في أسفل تمثاله: «العذراء حسب رؤيا المطران «فاڤا»!...

وفيما كان أسقف غرينوبل يتأهّب للسفر إلى روما وردت إلى المطران «پيتانيا» برقيّةٌ تعبّر عن رغبة الحبر الأعظم، البابا لاون الثالث عشر، الذي كان قد انتُخِب في تلك السنة، في مقابلة ميلاني، فاعتمل الفضول في نفس الأسقف «فاڤا»، وأرجأ سفرَه لعلّه يرافق الأخت المذكورة، بحيث يبقى ملمًّا بكلّ ما يجري. وفي روما ظلّ يراقبها عن كثب، دائبًا على استقصاء سبب استدعائها إلى الڤاتيكان، ولمّا علم أنّ مؤتمرًا سينعقد لبحث النظام الرهبانيّ الذي أملته عليها السيّدة العذراء، بذل كلّ مستطاعٍ كي يشتري ذممَ أساقفةٍ يناصرونه في مقاومة ذلك النظام، ومن بين الذين استطاع استمالتهم وشراء ذمّتهم، الأسقف «بيانكي» (Bianchi) أمين سرّ الكردينال فيرّييري نفسه.

واستعلم الكردينال فرّييري عمّن كانوا يدعون أنفسَهم رُسل لاساليتّ فعلم أنّهم يسوقون حياةً خاويةً من أيّةِ تقوًى أو محبّةٍ، بل حافلةً بالمخازي والتماس المغانم المادّيّة الخسيسة.

ويوم انعقاد المؤتمر، حاول أساقفةٌ كُثُرٌ الدخول من أجل التدخّل السلبيّ، ولكنّهم مُنعوا، ودخل الأسقف «فاڤا» متأخّرًا، لأنّه كان يجهد في إدخال محازبيه وأمين سرّه، معه، ولكنّه لم يُفلح. وبادره الكردينال فرّييري بالقول:

– يُقال أنّكم أعددتم نظامًا لمرسلي لاساليتّ!

– أجل يا صاحب النيافة.

– ألم تعلموا أنّ العذراء كانت قد أعطت ميلاني نظامًا؟

– بلى، ولكنّ نظامي يختلف عن نظام ميلاني.

– وكيف خطر لكم أن تضعوا نظامًا، مع علمكم بأنّ السيّدة العذراء أعطت ميلاني نظامًا آخر؟

التزم الأسقف الصمت، فاستأنف الكردينال استجوابه:

– هل، على الأقلّ، استشرتم ميلاني قبل وضع نظامكم؟

وظلّ الأسقف صامتًا، فسأل الكردينال ميلاني:

– هل استشارك سيادة الأسقف، عندما وضع نظامه؟

– كلاّ، يا صاحب النيافة، أبدًا!

أخيرًا نطق المطران «فاڤا» وقال:

– يا صاحب النيافة، لن أقبل نظام ميلاني، ما لم تثبت لي الكنيسة أنّه صادرٌ، حقًّا، عن السيّدة العذراء!

وفي اليوم التالي استدعى الأسقف «فاڤا» الأخت ميلاني (مريم الصليب) إلى مقرّ إقامته، في معهدٍ فرنسيٍّ يرأسه مسؤولٌ مناوئٌ لظاهرة لاساليتّ. وكان يؤثر أن تأتيَه بمفردها. ولكنّ الأب فوسكو، والأمّ پريزانتاسيون حرصا على مواكبتها تنفيذًا لأمر الأسقف «پيتانيا» الذي أوعز إليهما بمرافقتها، وملازمتها أينما ذهبت. وطلب الأسقف «فاڤا» محادثتَها على انفرادٍ، وسألها عمّ تعتزم قولَه لقداسة الحبر الأعظم، فأجابت:

– لست أدري، يا صاحب السيادة. فالأمر يتعلّق بما سيقوله لي البابا، وبما سيطلبه منّي!

– ولكن أَليس لديك فكرةٌ عن موضوع حديثه معك؟

– لم يخطر ببالي ما سيدور بين قداسته وبيني من حديث.

– لا تعلمين إذن؟ ولكن ألا تدرين أنّ البابا ليس أيّ إنسانٍ، فينبغي أن يفكّر المرء، ويُعدّ ما سيقوله له؟

– بما أنّني أجهل موضوعَ الحديث الذي سيتنازل قداستُه ويتناوله معي، لا أستطيع التفكير بشيءٍ، لذلك أستسلم، كلّيّةً، لمشيئة اللّه المقدّسة.

– إذن، اسمعيني جيّدًا. (وأخرج محفظته، وأبرز منها أوراقًا نقديّةً، وقال):

«لديّ، هنا بضعة أوراقٍ من فئة مئة فرنكٍ يمكنك إنفاقها على **مُتَعك الصغيرة**. فإن شاء البابا أن تفعلي شيئًا، أجيبي على كلّ مطالبه أنّك ستتصرّفين وفقًا لمشيئة أُسقف غرينوبل. وإن هو أوعز إليك الذهاب إلى مكانٍ ما، أو أن تضطلعي

بأيّة مهمّةٍ، قولي: «أودّ أن أذهبَ إلى حيث يأمرني أسقف غرينوبل بالذهاب، وأريدُ أن أخضعَ له، في كلّ أمرٍ، فهو رئيسي الحقيقيّ! وهذه الأوراق النقديّة ستكون من أجل **مُتَعِك الصغيرة**».

حينئذٍ، أجابته الأخت:

– يا سيّدي، لن أقول لقداسته سوى ما يمليه عليّ ضميري، في اللحظة التي سأحظى بالتحدّث إليه. إنّ آراءَك جيّدةٌ. ولكنّها ليست آرائي.

وأعاد الأسقف فاقا نقوده إلى مكانها في محفظته، وافترقا. ولمّا سألها مرافقاها لمَ كان الأسقف يحمل بيده محفظته وهو يحدّثها أجابت:

– كان سيادته يريد شرائي، ولكنّ الصفقة فشلت. فاحتفظ هو بنقوده، واحتفظت أنا بحرّيّة ضميري!

ومنذئذٍ لم تشاهد ميلاني لا الأسقف فاقا، ولا أمين سرّه ومحاميه، الأب برنييه.

استــقــبــلــهــا، إذن، الــبــابــا لاون الــثــالــث عشــر، يــوم ١٨٧٨/١١/٣ بترحيبٍ حارٍّ، وقال لها: «والآن ستمضين إلى جبـل لاسـاليـتّ، حـامـلـةً نـظـام السيّدة العـذراء القـدّيسة، وستجعلين الكهنة والراهبات الموجودين هناك يطبّقونه».

من قوله هذا، استخلصت الأخت أنّ الحبر الأعظم لم يكن مطّلعًا على موقف الأساقفة المعارضين للظاهرة، المقاومين لمشروع الرسالة المطلوبة. فأوضحت لقداسته أنّ مَن كانوا يدعون أنفسَهم، آنذاك، مرسلي لاساليتّ بعيدون عن روح التجرّد، بل خالون من الروح المسيحيّ الحقّ، وأنّه من الأفضل اختيار أشخاصٍ آخرين أكثر تأهّبًا لاعتناق تعليم يسوع، ولتنفيذ رغبات السيّدة العذراء. وبيّنت لقداسته أنّ الأسقف «فاقا» سيُكرهها على تدوين نظامٍ رهبانيٍّ يساير رغباته، ولا يتّفق مع توجيهات العذراء، وإلهام الروح القدس.

وكان الكردينال «غويدي» (Guidi) قد كتب إلى الحبر الأعظم محذّرًا من موقف الأسقف «فاقا»، غير أنّ هذا

الأخير كان قد ناور وسعى فحال دون وصول الرسالة إلى غايتها.

وأوعز قداسة البابا إلى الراهبة أن تدوّن نصًّا كاملاً مفصّلاً للنظام الرهبانيّ الذي طلبته أمُّ اللّه، فآثرت الاضطلاعَ بهذه المهمّة، في أحد أديرة روما، كي تكون في مأمنٍ من تدخّلات أسقف غرينوبل، غير أنّ هذا النّظام صادف مقاومةً عنيدةً من الأساقفة الفرنسيّين.

وعادت الأخت منهكةً، معتلّةً، إلى مدينة «كاستيلاّ ماري» الإيطاليّة في ١٨٧٩/٥/٧، إلاّ أنّ الأسقف «ڤيتانيا» الذي كان يرعاها ويدعمها، والذي شجّع تأسيسَ جمعيّتها، كان قد تُوفـيّ ودُفن، في هذه الأثناء، ولم يتبنَّ خَلَفُه جمعيّتَها، التي تفرّق أعضاؤها وتشرّدوا، خلافًا لرغبة البابا لاون الثالث عشر.

بيد أنَّ تلك الجمعيّة التي بدت وكأنّها ماتت ودُفنت، بُعثت مجدّدًا. فبين عامي ١٨٨٦ و١٨٨٨، زار ميلاني

الأسقف بيرنار، وهو من مرسلي لاساليتّ ومبعوث الڤاتيكان إلى النروج، وتبنّى نظامها الذي قال فيه:

«إنّ هذا النظام الذي أملته أمُّ اللّه، هو، لمؤسّسات الرسل الذين تريدهم وتدعوهم المرسلة الإلهيّة، هيكلُ بناءٍ من خشبٍ يقاوم الفساد، وينفخ فيه روح اللّه، وتعجَزُ الديدان البشريّة عن نخره والتهامه، حتّى آخر الأزمنة».

وعام ١٨٩٥ دعا الأب «بيرليوز»، الرئيس السابق لجمعيّة لاساليتّ كهنةً وعلمانيّين إلى تأسيس «مرسلو الأزمنة الأخيرة»، تحقيقًا لرغبة الطوباويّ «غرينيون دي مونفور».

واعتنق نظام «مرسلي الأزمنة الأخيرة»، الطوباويّ «جاكّ كسمانو» في پاليرما، وتضمّ جمعيّتُه الآن نحو خمس مئة راهبةٍ ومئةً وخمسةً وعشرين مرسلاً، واعتنقه، أيضًا، «أنّيبالي دي فرنشيا»، الذي تعدّ جمعيّته اليوم نحو ستّ مئةٍ وخمسين راهبةً وثلاث مئةٍ وخمسة عشر مرسلاً. وكان هذا الطوباويّ قد استعان بالأخت ميلاني، في إدارة إحدى مؤسّساتِه، جمعيّة «أخوات الغيرة الإلهيّة لقلب يسوع».

وفي ١٨٩٠/٧/٥ أَسّست «هنريـيتّ ديـلـوي» (Henriette DELUY)، جمعيّة «أخوات سيّدة لاساليتّ المعوِّضات» على أساس نظام ميلاني، وافتتحت لها فروعًا في فرنسا وبلجيكا.

وكتب أحد مرسلي لاساليتّ: «لن يكونَ، أبدًا، عددُنا كافيًا للنهوض بمهمّة تعزية تلك الأمّ الحنون التي تبكي، مهما بذلنا ذواتنا في سبيلها».

ولطالما أكّدت ميلاني أنّ روحَ نظامها، هو روح الرسل الأوائل، وفقًا لرغبة السيّدة العذراء. وقد أوضح الطوباويّ «أنّيبالي دي فرنشيا» أنّ روحَ هذا النظام خالٍ من كلّ عنصرٍ بشريٍّ، وأنّه يشيع نفحةً إلهيّةً، وأنّه البساطة المقترنة بالسموّ.

نداء العذراء الذي استنفر رسلاً، كان موجّهًا إلى أشخاصٍ يقيمون علاقةً حميمةً مع «اللّه الحيّ المالك في السموات» أي مع يسوع، اللّه المتجسّد، المخلّص الوحيد، ثمّ مع مريم، فمريم هي الطريق إلى يسوع لمن ينهجون دربَ حياتها. ولكنّهم لن يصبحوا مرسلي الأزمنة الأخيرة، إلاّ عندما

يُنضجون هذه العلاقة في سلوكهم اليوميّ، فيتميّزون بالتواضع، والامّحاء، وعيش الصليب، وينفّذون تعاليم يسوع، ويمارسون فضائل الإيمان، والرجاء، والمحبّة.

بالإجمال كان ذلك النظام مقتبسًا من ينابيع الإنجيل، ومن مثال حياة المسيحيّين الأوّلين: قلبٌ واحدٌ، ونفسٌ واحدةٌ، واقتسامٌ للخيرات المتوفّرة، وحياةٌ في الله، وعبادة الإفخارستيّا. مصدر إلهام «مرسلي الأزمنة الأخيرة»: بساطةٌ إنجيليّةٌ مقترنةٌ بالتشديد على التوبة، واهتمامٌ بصحّة النفس والجسد. واقتفاء خطى العذراء مريم، التي كانت تحفظ في قلبها أقوال يسوع وأعماله، وتشبعها تأمّلاً.

وقد أوضحت ميلاني أنّ الرهبانيّة التي أعربت السيّدة العذراء عن رغبتها في تأسيسها، وأطلقت عليها بنفسها تسمية «رسل الأزمنة الأخيرة» أرادت أن تتألّفَ من الفئات التالية:

– كهنة يكونون مرسلي العذراء كلّيّة القداسة، ورسل الأزمنة الأخيرة.

– راهبات تابعات للمرسلين.

– علمانيّين راغبين إلى التعاون والتضامن مع هذه الرهبانيّة.

غاية هذه المؤسّسة هي العمل على تقديس الإكليرس، وعلى ارتداد الخطأة، ونشر ملكوت الله على الأرض.

والراهبات مدعوّاتٌ، على غرار المرسلين، إلى العمل بغيرةٍ، من أجل خلاص النفوس، بالصلاة، وبأعمال الرحمة الروحيّة والجسديّة.

أمّا روح هذه الرهبانيّة، فهو روح الرسل الأوّلين.

وقد قُيِّض لميلاني أن تشهدَ، بالروح، قيام هذه الرهبانيّة وعملها، وفي هذا الشأن كتبت:

««رأيت أنّ الله يبتغي أن يودعَ مرسلو هذه الرهبانيّة وراهباتها كلّ صلواتهم، وكفّاراتهم، وأعمالهم الصالحة، بين يدي مريم، رئيستهم الأولى، ومعلّمتهم، من أجل نفوس المطهر، ومن أجل ارتداد خطأة العالم أجمع.

«ورأيتُ وأدركتُ أنّ الله يريد أن تكافحَ هذه الرهبانيّة كلّ

الرذائل التي أفضت إلى انحطاط الإكليرس، والوضع الرهبانيّ، وإلى دمار المجتمع المسيحيّ...».

وختمت ميلاني بالقول:

«إنّي راغبةٌ في تحقيق هذه المؤسّسة، بسبب الحاجات الملحّة التي يعانيها المجتمع بأسره. إنّي راغبةٌ في تحقيقها كي ينتعشَ، لدى الإكيرس، روحُ الكهنوت...».

ولنعدْ إلى مواكبة مسيرة ميلاني، أو الأخت «مريم الصليب».

ففي هذه الأثناء، ما انفكّ أسقف غرينوبل يجهد في التوفيق، ظاهريًّا، بين إرضاء البابا، وإرضاء الإمبراطور، وهو صنيعته، ساعيًا، في الآن عينه، إلى تشجيع الحجّ إلى لاساليتّ، وإلى إقصاء الشاهدين وتهميشهما، بل إلى إلغائهما بكلّ الوسائل.

في الثامن من شهر آذار ١٨٧٩، تُوفّيَ الكردينال «غويدي» (GUIDI) وكان أوّل قارئٍ للنظام الرهبانيّ الذي

دوّنته ميلاني، ومن أشدّ المؤيّدين لظاهرة لاساليتّ ولرسالتها. في حين ما فتئ الأسقف «فاڤا» جاهدًا في تقييد حركة الرائية، وفي إبقائها حبيسةً في أحد أديرة الراهبات الحبيسات.

وفي منتصف شهر حزيران ١٨٧٩ أرسلت الأخت ميلاني إلى البابا لاون الثالث عشر نسخًا عن الكتابات التي كانت قد بعثت بها إلى الكردينال «فرّييري».

وفي هذه الأثناء، كانت حركة الحجّ إلى جبل لاساليتّ ما برحت ناشطةً. وفي العشرين من شهر آب ١٨٧٩ تمّ تكريس كاتدرائيّة لاساليتّ، وتتويج نموذج للتمثال الذي تخيّله المطران «فاڤا».

ومن جهتها ظلّت الأخت ميلاني دائبةً على التعريف بحقيقة ظهور لاساليتّ، وروح رسالة العذراء، فنشرت، بتاريخ ١٥/١١/١٨٧٩ روايتَها لذلك الظهور، وفحوى سرّها، بموافقة الأسقف «زولا» (ZOLA). ولكن، إِثرَ تدخّل أساقفةٍ

مناوئين، أَمرت الدوائر الڤاتيكانيّة بسحب روايتها، وحظرت نشر أيّ تعليقٍ على سرّها، مع أنّ رئيس الإكليريكيّة البولونيّة الذي استشارته تلك الدوائر، كان قد أكّد أنّ ما كتبته الأخت ميلاني هو، في جوهره، سليمٌ وصادقٌ، ولكنّه أبدى تحفّظاتٍ طفيفةً على بعض عبارات نصّها.

ولّما تفاقم الخلاف بين رجال الإكليرس حول سرّ ميلاني، أعلنت الدوائر الڤاتيكانيّة: «إنّ كونَ الإكليرس والرهبانيّات على هذا القدر من الفساد أو لا، إنّما هو قضيّة واقعٍ ينبغي التحقّق منه، وليس قضيّة عقيدةٍ» يتعيّن على السلطات الكنسيّة البتّ في أمرها. وبلغ الأمر ببعض المسؤولين الكنسيّين المناوئين لظاهرة لاساليتّ أن هدّدوا ميلاني بالحرم، إِن هي استمرّت في إشاعة سرّها.

وفي هذه الأثناء، اعتلّت صحّة والدة ميلاني، وبما أنّه لم يكن لها مَن يُعنى بها، رغبت الراهبة الرائية في الاضطلاع بهذه المهمّة، مع كلّ ما لاقت، في صغرها، من تلك الوالدة، من جَورٍ واضطهادٍ. وفي ١٨٨٤/٨/٢١، أَذن لها

البابا بمغادرة ديرها، وبالعودة إلى فرنسا، لهذه الغاية. وظلّت الأخت ميلاني تقوم بهذه المهمّة مدى خمس سنواتٍ، حتّى وفاة والدتها في ١٨٨٩/١٢/١.

وكان قد تُوفّي، أيضًا، الطوباويّ «جاك كوسمانو» الذي سبق له أن أنشأ مع ميلاني مؤسّسةً رهبانيّةً وخيريّةً في صقلّية.

وما انفكّ النظام الرهبانيّ الذي أملته السيّدة العذراء على ميلاني يجتذب نفوسًا سخيّةً، ففي الخامس من شهر تمّوز ١٨٩٠ هجرت رئيسةُ دير لاساليتّ مع راهبةٍ أخرى، ديرَهما، من أجلِ إنشاء ديرٍ آخر، يحرص على تطبيق نظام سيّدة لاساليتّ بأمانةٍ.

وتبرّع كاهنٌ يُدعى الأب «رنجون» بنصيبه من إرث ذويه لميلاني، كي تستخدمَه في إنشاء رهبانيّةٍ تطبّق نظام سيّدة لاساليتّ. ولكن أسقف مرسيليا هدّدها بالحرم إن هي لم تتنازل عن هذا الإرث لأسقف «أوتان» (AUTUN).

وفي ١٨٩٢/٩/١٢، دعاها الأسقف الإيطاليّ «زولا»

(ZOLA)، إلى الإقـامـة في أبـرشـيّـتـه، في «غـلاتـيـنـا» (Galatina). وقـد كـتـبت رئـيسـة ديـر راهـبـات المحبّـة في «غلاتينا»، الأخت «جوزيفين سرڤانت»، إلى الأب كومب، بتاريخ ١٥/١٠/١٩٠٧، عن ظروف إقامة الأخت ميلاني، في تلك المدينة:

«غالبًا ما كانت ميلاني تحضر القدّاس في كنيستنا المفتوحة للعموم. كانت تقف على مقربةٍ من الباب، وكان من العسير عليّ أن أجعلَها تحتلّ أحد مقاعد تلاميذنا، الذين كانوا شديدي التأثّر ببساطتها وتواضعها. عندما كان يحين أوان المناولة، كانت تسجد حتّى يلامس رأسها الحضيض، وفي أثناء تلاوتها فعل الشكر، كانت تبدو في حالة انخطاف. لم أرَها، يومًا، إلاّ راكعةً، حتّى في احتفالات أيّام الأعياد. كانت تنفق نهاراتها في العمل والمطالعة والصلاة، وتقضي قسطًا كبيرًا من لياليها في الكتابة. الوقت الزهيد الذي كانت تنام أثناءه، كانت تقضيه دائمًا، راقدةً على الأرض العارية. ولم يكن السرير في غرفتها سوى مظهرٍ خادعٍ، إذ إنّها لم

ترقد فيه قطّ. مسكنُها كان مغرقًا في الفقر والتواضع. في فصل الشتاء كان المطر ينهمر داخلَه مثلما ينهمر في الشارع، بحيث كان عليها استخدام مظلّةٍ كي تنتقل فيه من زاويةٍ إلى أُخرى. وبمناسبة الزيارات التي كنّا نقوم بها إليها، لمواكبة أشخاصٍ راغبين في رؤيتها، اتّفق لي أن دخلتُ، أحيانًا، إلى مطبخها الزريّ، الذي لم تُشعَل فيه، يومًا، نارٌ. ولم أشهد سوى بضع حبّات بطاطا كانت تُسلَق على موقدٍ صغيرٍ، وتمثّل كلّ غذائها مدّةَ أسبوعٍ كاملٍ. ولم نتمكّن، يومًا من إقناعها بقبول أيّة مؤونةٍ غذائيّةٍ، وما كنّا نودعه أحد الجوارير، خلسةً، كنّا نجده فيه، بعد شهر.

مرّتين كانت العزيزة ميلاني معنا، في أثناء الاستراحة، وكنّا نطرح عليها آلاف الأسئلة عن ظهور العذراء لها، فكانت إيجاباتها مبهمةً، متّسمةً بتواضعٍ جمٍّ. ولكن عندما كنّا نستوضحها عن جمال العذراء، كان وجهها يشرق، ويشعّ نورًا، وكانت تجيب: «آه! مَن يستطيعُ وصفَ جمالِها؟!».

وكان حديثُها يدور، دائمًا، حول الإهانات التي تُلحَقُ

بالربّ، وحول انتهاك قدسيّة أيّام الأحد، وحول التجديف. وعندما كانت تزور المقبرة، وتلك كانت زيارتها المفضّلة، كانت تدرّب الأولاد على رسم إشارة الصليب.

«ذات يومٍ، طلبت منها امرأتان إيقونتَين، فأعطت إحداهما واحدةً، وأمسكت الإيقونة عن الأُخرى، فاستفسرت هذه عن السبب، وأجابتها ميلاني: «لأنّك تجدّفين!»، فاحمرّت وجنتا المرأة خجلاً، وتساءلت: «كيف تعرف ذلك، وهي لم ترَني قطّ؟».

«من المحقّق أنّها كانت ملهمةً من الله. لقد اتّفق لي أن حدّثتُها عن بعض مصاعب كنت أواجهها في أداء مهمّتي. وكانت، دائمًا، تنتشلني من ضيقي بفضل كلماتٍ معدوداتٍ.

«لن أستطيع أن أقول شيئًا آخر عن تلك النفس الرائعة، سوى أنّني كنت دائمًا أشعر بعزاءٍ عميقٍ عندما كانت تصلّي إلى جانبي، في كنيستنا، وتحدّق إلى تمثال المنزّهة من الدنس، التي كانت تحبّها حبًّا جمًّا. وكان جميع الذين يدنون

منها يتلقّون مثالاً رائعًا في البساطة والخشوع. وكان تواضعها يتألّق في كتاباتها...».

ومع أنّ ميلاني، في تلك الفترة، كانت تعاني أزماتٍ صحيّةً، حجّت، عام ١٨٩٦، إلى لاساليتّ برفقة ثلاثة كهنةٍ.

وفي السنة التالية، بتاريخ ١٨٩٧/٨/١٨، دعاها الطوباويّ «أنّيبالي دي فرنشيا» الذي كان يعدّها شريكتَه في تأسيس رهبانيّة «أخوات الغيرة الإلهيّة لقلب يسوع» إلى الإقامة في مدينة مسّينا الإيطاليّة، وإلى إدارة الميتم الذي كانت تشرف عليه تلك الرهبانيّة. وقد أمرها الطوباويّ المذكور بتدوين مسيرتها الذاتيّة، باللغة الإيطاليّة. وقد أبرزت، بتمكّنٍ، من خلال تلك السيرة، مناعةَ إيمانها، وتجربتها الروحيّة الفذّة، مع أنّها لم تتلقَّ أيّة تربيةٍ خاصّةٍ، ممّا يُظهر، بجلاءٍ، عملَ الروح القدس فيها.

عام ١٨٩٩ قدمت الأخت ميلاني إلى مدينة «ديو» (DIOU) الفرنسيّة بدعوةٍ من الأب كومب، كاهن رعيّة تلك

المدينة، وأقامت في قريةٍ قريبةٍ منها، ونزولاً عند رغبة ذلك الكاهن أعادت تدوينَ سيرتها الذاتيّة، ولكن باللغة الفرنسيّة.

وفي عام ١٩٠٢، قامت بزيارةٍ أخرى إلى لاساليتّ، حيث استقبلها الكهنة بحرارةٍ، واستمعوا، باهتمامٍ، إلى سرّها، وإلى النظام الرهبانيّ الذي أملته عليها السيّدة العذراء.

في تلك الفترة كانت الأخت ميلاني تعيش، وحيدةً، في قريةٍ قريبةٍ من مدينة «ديو» (DIOU). فقالت لها إحدى صديقاتها: «إن متِّ لما علم أحدٌ بموتك، إلى أن يُفتح باب غرفتك عنوةً، فتوجدين ميتةً». فأجابت: «هذا ما سيحدث فعلاً، ولكن ليس هنا، بل في مدينةٍ إيطاليّةٍ لا أعرفها، مدينةٍ متخلّفةٍ، ولكنّ أهلها لا يجدّفون، بل يحبّون الله بصدقٍ. سأكون وحيدةً، وفي الصباح سيجدون ستائر نوافذي مسدلةً، فيفتحون الباب عنوةً، ويجدونني ميتةً». وقد تحقّقت نبوءتُها هذه، حرفيًّا.

ففي عام ١٩٠٤، دعاها الأسقف الإيطاليّ «شكّيني»

(Cecchini) إلى أبرشيّته في «ألتامورا»، على مقربةٍ من نهر باري. ولمّا وصلت إلى هناك، كان الأسقف غائبًا، فاستأجر لها الأهالي منزلاً أقامت فيه مؤقّتًا، حتّى عاد الأسقف الذي كان يدرك أيّ كنزٍ ثمينٍ أهدى الربّ لرعيّته، فأوكلها إلى عناية أسرةٍ كريمةٍ وتقيّةٍ، قدّرتها وكرّمتها. ولكنّها كانت تأبى كلّ تكريمٍ بشريٍّ، فآثرت الإقامةَ وحيدةً، في غرفةٍ ضنكةٍ، في حيٍّ زريٍّ قصيٍّ، حيث لا تنعم بأيّ عونٍ، ولا يعرفها أحدٌ، في خُفيةٍ عن عيون البشر، ومع اللّه وحده. ولكنّها دأبت على حضور القدّاس الإلهيّ كلّ صباحٍ، وعلى التغذّي بحبيبها يسوع.

وليلة ١٤/١٢/١٩٠٤، سمع جيرانُها تراتيلَ جوقةٍ تنبعث من غرفتها، فدهشوا، لعلمهم أنّها كانت تعيش وحيدةً، وسمعوا رنّات جرسٍ كتلك التي تواكب الكاهنَ القادم بالزاد الأخير لمحتضرٍ، مع أنّهم لم يشاهدوا أيّ كاهنٍ قادمًا. ويُرجّح أنّها تلقّت المناولة، حينئذٍ، بيد يسوع أو أحد ملائكته.

وفي الصباح لوحظَ غيابها، غير المألوف، عن القدّاس،

وأحيطَ الأسقف علمًا بالأمر، فأعلمَ رجالَ الأمن. وفُتح بابُ غرفتها، فإذا بها راقدةٌ على الحضيض، مرتديةً زيّها الرهبانيّ، فاقدةً الحياة.

وفي ١٩٠٤/١٢/١٦، احتفل الأسقف بجنازتها، في كاتدرائيّة أبرشيّته، وأُودعَ جثمانُها في مدفنٍ مؤقّتٍ حيث وجده عمّالٌ في شهر حزيران من عام ١٩٠٥ التالي، ولم يمسّه أيّ فساد. وفي ١٩٠٥/١٢/١٤، احتفل الطوباويّ «أنّيبالي دي فرنشيا» بالذكرى السنويّة الأولى لوفاتها، وأبّنها بخطابٍ بليغٍ نقتطف منه ما يلي:

«لقد تميّزت (ميلاني) ببراءةٍ ساحرةٍ. كانت حمامةً طاهرةً، حلّقت فوق كلّ شرور العالم، ولم تتأثّر بقطرةٍ منها. كانت زنبقة بتوليّةٍ عطرةً. كانت طفلةً خارجةً للتوّ من جرن المعموديّة. ومع ذلك كانت غنيّةً بالحنكة والحكمة...

«روح التضحية والتوبة، لديها، كان مدهشًا. كانت تتناول الزهيد من الطعام، بلقماتٍ صغيرةٍ، وكانت تشرب، أيضًا، قليلاً، وبجرعاتٍ صغيرةٍ. وقبل أن تأتي إلينا كانت تمتنع عن

الشرب، ثلاثة أيّامٍ متتاليةٍ قائلةً: «كم من عطشٍ في العالم!». وكان احتفالها بعيد الفصح أن تناولت نصفَ بيضةٍ، ولم تتناول، قطّ، فاكهةً أو حلوى...

وأشار الواعظ إلى غلالاتها الداخليّة التي شوهدت غالبًا مبلّلةً بالدم من جرّاء ما كانت تفرض على ذاتها من إماتاتٍ، فضلاً عن سمات الصلب التي كانت تعتريها».

وأضاف الطوباويّ دي فرنشيا:

«ومع ذلك كانت، دائمًا، ساجيةً، ساكنةً، موغلةً في الفضيلة والألم، لطيفةً، رقيقة السلوك والحديث، وكأنّ الأضدادَ فيها قد ائتلفت، فهي متخشّعةٌ، وحلوة المعشر، متواضعةٌ ومهيبةٌ، لطيفةٌ، ومتحفّظةٌ، قويّةٌ ومطيعةٌ. لقد احتفظت بطفولتها. ولكنّها كانت تبدو أسمى مكانةً من شخصٍ كهلٍ ناضجٍ. لقد قرنت، في الواقع، بساطةَ الحمامة، وحذرَ الحيّة...».

«ليت لي لسانُ ملاكٍ كي أعطيَكم فكرةً عن حبّ ميلاني المضطرم لربّنا يسوع المسيح، وللعذراء مريم فائقة القداسة. في

الحقيقة كانت حياتُها حياةَ حبٍّ. كانت تحبّ الله حبًّا صافيًا، وكان لهيب ذلك الحبّ الصوفِيّ يحرقها... كلّ أوتار كيانها، وكلّ ملكاتها كانت تنبض حبًّا، وتذكرون بأيّ اندفاعِ حبٍّ، كانت تتغذّى، سحابةَ النهار، بيسوع، في سرّه المقدّس، مردّدةً القول: «أودّ التهام مَن أحبّ!».

«وقد خبرتُ، ذات يومٍ، صدق حبّها لسرّ القربان، إِذ منعتُها من المناولة، بلا إنذارٍ مسبّقٍ، فارتعشت، واضطربت، وهوت أرضًا، وكأنّها جثّةٌ هامدةٌ. وتسنّى لي، حينئذٍ، سبرُ عمق فضيلتها. فبعد أن استعادت روعَها، بدت طيلةَ ذلك النهار، رقيقةً، متواضعةً، عذبةً، كما ألِفت أن تكون، بل أكثر...

«لم تشأ الموت في فرنسا، بلد الماسونيّين. فعادت إلى إيطاليا، إلى مكانٍ لا يعرفها فيه أحدٌ، كي تتهيّأ للموت، في الوحدة والصمت. وكانت السماء تجتذبها...

«وداعًا، أيّتها النفس الفائقة الجمال! وداعًا يا خليقة الحبّ، يا تحفة الحبّ المكتملة، حبّ يسوع، الخير الأسمى،

كلّيّ الطهر والقداسة. وداعًا أيّتها العذراء اليقظة والفطنة! عندما دعاك، في هدأة الليل، صوت العريس الإلهيّ، هرعتِ إليه بلا تلكّؤ، حاملةً المصباح الصوفِيّ، مصباحًا مترعًا زيتًا، ومتدفّقًا بهاءً. لقد انتهيتِ من عهد المهمّات المنهكة، والأسفار الطويلة المرهقة، والحجّ المتعب، واحتضار الحبّ، الحبّ المقدّس الحافل بجوعه الذي لا يرتوي، وظمئه الذي لا يبرد إلى عدلٍ لا وجود له على هذه الأرض... في هذه الساعة أصبح اللّٰه هو نصيبك... تهلّلي، وليتّسع قلبك لمشاهدة يسوع السعيدة، يسوع الذي كان محطّ تطلّعاتك، وتوق نفسك المتدفّقة حبًّا، يسوع الذي لم تخشي اتّباعَه على دربِ آلامِه. صليبُه كان لك لذّةً، وبسمةً، ومنبعَ أفراح...».

عام ١٩٠٨ استهلّ أسقف ألتامارا، المطران «شكّيني» حملة تبرّعاتٍ من أجل بناء الدير والكنيسة التي ستحضن رفات الأخت «ماري الصليب». وفي تلك السنة عينها، نشر الكاتب الفرنسيّ «ليون بلوا» (Léon BLOY) كتابَه الشهير الذي روى فيه سيرة ميلاني، تحت عنوان «تلك التي تبكي» (Celle qui pleure). وفي عام ١٩١٢ نشر سيرتَها الذاتيّة.

عام ١٩١٨، استقبل البابا بيندكتُس الخامس عشر الفيلسوف الفرنسيّ «جاك ماريتان»، وكان سفيرًا لفرنسا في الڤاتيكان، وقد وضع بحثًا مستفيضًا عن ظهور سيّدة لاساليتّ. وأكّد للحبر الأعظم إيمانَه الراسخ بتلك الظاهرة. ولكنّ الجوّ السائد، في الڤاتيكان، حينذاك، كان ميّالاً إلى إسدال ستارٍ من الصمت حول تلك الظاهرة، فطلب البابا من ماريتان الإحجام عن نشر بحثه. ولبّى الفيلسوف طلبَ البابا.

في ١٩١٨/٩/١٩ حملت اثنتا عشرة راهبةً من «أخوات الغيرة الإلهيّة لقلب يسوع» نعش ميلاني إلى المصلّى الجديد المشاد في ميتمهنّ في «ألتامورا»، حيث أُودِعَ مؤقّتًا، ريثما تمّ الدفن الرسميّ، في قبرٍ من رخامٍ يعلوه تمثالٌ لميلاني مع السيّدة العذراء، في ١٩١٨/١٠/٢.

بعد بضعة أشهرٍ كانت إحدى راهبات الغيرة الإلهيّة معتلّةً، محتضرةً، فظهرت لها ميلاني، وعادت إليها عافيتها.

في حزيران ١٩٢٣، باشر الطوباويّ «أنّيبالي دي فرنشيا» إجراءاتِ دعوى تطويب الأخت «مريم الصليب»، وقد

ظهرت العذراء لهذا الطوباويّ نفسه، في **١٩٢٧/٥/٣٠**، يومين قبل وفاته.

في **١٩٤٦/٨/١٥** ترأّسَ الكردينال أنجيلو رونكالّي، الذي أصبح البابا يوحنّا الثالث والعشرين، الاحتفال بالذكرى المئويّة الأولى لظهور سيّدة لاساليتّ.

وفي **١٩٩٦/٩/١٩**، فيما كان البابا يوحنّا بولس الثاني يزور قبرَ القدّيس غرينيون دي مونفور، أشاد بالذكرى المئة والخمسين لظهور السيّدة العذراء على جبل لاساليتّ.

وصف ميلاني لعذراء الرؤية

«كانت العذراء، كلّيّة القداسة، ممشوقةَ القوام، متناسقةَ الأعضاء، ومع ذلك كانت تبدو من الرقّة بحيث تقوى نسمةٌ على تحريكها، غير أنّها كانت ثابتةً راسخةً. كانت ملامحُها جليلةً، مهيبةً، ولكنّها لا توحي بالرهبة التي توحي بها ملامح سادة الأرض. كانت جذّابةً. وكانت نظرتُها عذبةً ونفّاذةً. عيناها بدتا وكأنّهما تحاوران عينيّ، فيعتريني شعور حبٍّ عميقٌ وحادٌّ لهذا الجمال الأخّاذ الذي يذيب كياني. عذوبة نظرتها، ومنظر طيبتها الذي يفوق الفهم، كانا يشيعان إدراكًا وشعورًا بأنّها تجتذب، وأنّها ترغب في منح ذاتها. كانا تعبيرًا عن حبٍّ لا يمكن وصفه بلسان الجسد، ولا بأحرف الأبجديّة.

«ثوب العذراء كلّيّة القداسة كان أبيض، فضّيًّا، لمّاعًا،

خاليًا من أيّ عنصرٍ ماديٍّ، كان مزيجًا من نورٍ ومجدٍ، متلألئًا، متبدّل الألوان، ولا يوجد على الأرض ما يحيط بوصفه أو يحاكيه.

«كانت العذراء القدّيسة فائقة الجمال، معجونةً بالحبّ، وكنت أنا أتأمّلها، توّاقةً إلى الذوبان فيها. كلّ شيءٍ في هندامها، وفي شخصها كان يتضوّع جلالاً، وسنًى، وأبّهةً ملكيّةً منقطعة النظير. كانت تبدو بيضاء، ناصعةً، شفّافةً، باهرةً، سماويّةً، نديّةً، قشيبةً، مثل عذراء. وكانت لفظة الحبّ تبدو وكأنّها تتفجّر من شفتيها الغضّتين، كلّيّتي الطهر. كانت تبدو لي أمًّا حنونًا، مملوءةً عطفًا، ورقّةً، وحبًّا لنا.

«إكليل الورد الذي اعتمرته كان من الجمال والتألّق، بحيث يتعذّر وصفه. وروده المتعدّدة الألوان لم تكن من هذه الأرض... كانت الورود تتبدّل، ويحلّ بعضُها محلَّ أُخرى، ومن قلب كلّ وردةٍ كان ينبعثُ نورٌ ساحر السّنى، يضفي على الورود ألقًا. ومن إكليل الورود كان يتصاعد ما يشبه أغصانًا ذهبيّةً، وطائفةٌ من الأزاهير الصغيرة الأُخرى الممزوجة

بالماس، وكان مجموعها يؤلّف تاجًا ملكيًّا فائقَ الجمال، يشعّ، وحدَه، بمثل نور شمسنا.

«من عنق العذراء القدّيسة كان يتدلّى صليبٌ جميلٌ جدًّا، يبدو مذهّبًا. وعلى هذا الصليب المتألّق كان شخص يسوع ربّنا باسطًا ذراعيه، وفي أقصى طرفَي الصليب تقريبًا كانت مطرقةٌ في جانبٍ، وكمّاشةٌ في الجانب الآخر. وكان لون المصلوب هو لون الجسم الطبيعيّ. ولكن كان ينبعث منه نورٌ ساطعٌ وكأنّه يطلق سهامًا لّماعةً تفطّر قلبي صبوًّا إلى الانصهار فيه. أحيانًا كان يبدو ميتًا، وقد أحنى رأسَه، وانهار جسَدُه، وأَصبح على شفا السقوط، لو لم تُبقِهِ المسامير معلّقًا.

«انتابني شعورٌ حادٌّ من التأثّر والتعاطف، ووددتُ أن أُعلنَ حبّ المصلوب للعالم أجمع، وأن أُسيلَ في قلوب البشر أَصدقَ مشاعر الحبّ، وعرفان الجميل لإلهٍ لم يكن في حاجةٍ إلينا كي يكون كلّ ما هو عليه، وما كانه، وما سيكونه دائمًا. ومع ذلك – ويا له من حبٍّ يستعصي على البشر فهمه! – صار إنسانًا، وارتضى أن يموت، أجل أن يموت، كي يدوّن

على أفضل وجهٍ، في نفوسنا وفي ذاكرتنا، ما يكنّه لنا من حبٍّ مجنونٍ. ما أتعسني، وأنا أتبيّن عجزي عن وصف حبّ ربّنا لنا! ولكن، من جانبٍ آخر، ما أسعدنا بأن نحسَّ، على نحوٍ أفضل، بما نعجز عن التعبير عنه!

«وأحيانًا أُخرى كان يبدو لي المصلوب حيًّا، مستقيم الهامة، عيناه مفتوحتان، وكأنّه اعتلى الصليب طوعًا. بل إنّه كان يبدو، أحيانًا، يتكلّم ليقول إنّه على الصليب من أجلنا، حبًّا بنا، كي يجتذبنا إلى حبّه، وإنّ حبّه لنا دائم الجدّة. وإنّ حبّه في البدء، عام ٣٣، هو هو حبّه لنا اليوم، وسيبقى هو هو دائمًا.

«ظلّت العذراء تبكي طالما كانت تكلّمني تقريبًا. كانت دموعها تتساقط قطرةً قطرةً، ببطءٍ، حتّى ركبتيها، ثمّ كانت تتلاشى مثل شراراتِ نور. كانت متلألئةً، دفّاقةً حبًّا، ولَكَم وددتُ أن أُعزّيها، وأكفكف دموعها. ولكن بدا لي أنّها كانت راغبةً في إظهار دموعها، لكي تسفرَ عن حبّها الذي ذهل عنه البشر. كنت أودّ الارتماء بين ذراعيها، والبوح لها:

«يا أمّي الطيّبة، لا تبكي. أنا أريد أن أحبّك عن جميع بشر الأرض»، ولكن كان يبدو أنّها تقول لي: «ما أكثر الذين يجهلونني!».

«كنت أتأرجح بين الموت والحياة، وأنا أرى، من جانبٍ، كلّ حبّها، وكلّ رغبتها في أن تُحَبّ، وكلّ ما يقابل عواطفها هذه من برودةٍ ولا مبالاة... آه! يا أُمّي، أيّتها الأمّ كلّيّة الجمال والعطف، يا حبّي، ويا قلب قلبي!

«دموع أمّنا الحنون، لم تكن تُنقص شيئًا من مهابتها، ومن جلال الملكة والسيّدة، لا بل هي بدت وكأنّها تضاعف جمالَها، وقدرتَها، وفيض حبّها، وحنانها الأموميّ، وسحرها، ولكَم تمنّيت التهام دموعها التي كانت تجعل قلبي يطفر تأثّرًا وحبًّا!

»وهل يُعقل أن نرى أمًّا تبكي، ولا سيّما إن هي كانت مثل تلك الأمّ، ولا نلجأ إلى كلّ الأساليب الممكنة الكفيلة بتعزيتها، وبتحويل أحزانها فرحًا؟!

«أيّتها الأمّ فائقة العطف، لقد نعمتِ بكلّ ما يملك الله

من امتيازات، ولكأنّك استنفدتِ قدرتَه. وفضلاً عن عطفك، استعرتِ عطف الله، ولكأنّ الربَّ تعاظم عندما صاغ، فيكِ، تحفتَه الأرضيّة والسماويّة.

«كانت العذراء القدّيسة ترتدي مئزرًا أصفر، ولكن هل يسوغ أن أصفَه بالأصفر؟ فقد كان أشدّ تألّقًا من عدّة شموسٍ مجتمعةٍ. لم يكن مصنوعًا من قماشٍ مادّيٍّ، بل كان نسيجًا من مجدٍ متلألئٍ، فتّانٍ.

«كلّ شيءٍ في العذراء القدّيسة كان يرتقي بي، ويدفعني إلى حبّ يسوعي الحبيب، في جميع حالاته على الأرض.

«كان للعذراء القدّيسة سلسلتان، إحداهما أعرض من الأُخرى. في السلسلة الأكثر ضيقًا، كان معلّقًا الصليب الذي جئت على ذكره آنفًا. هاتان السلسلتان، (إِن صحّ أن أُسمّيهما بهذا الاسم) كانتا تحاكيان أشعّة مجدٍ، شديدة التألّق، متعدّدة الألوان، ومتلألئةً.

«أحذيتُها (إِن لم يكن بدٌّ من التحدّث عنها) كانت بيضاء، بياضًا فضّيًّا، لمّاعًا، وكانت محاطةً بورودٍ باهرة

الجمال، ومن قلب كلّ وردةٍ كانت تنبعث شعلةُ نورٍ فائقة السنى، بهيّة المنظر، وكانت مزدانةً بعُقَدٍ ذهبيّةٍ، ولكنّها غير مصنوعةٍ بذهب الأرض، بل بذهب الفردوس.

«رؤية العذراء القدّيسة كانت، في ذاتها، فردوسًا مكتملاً. فقد كانت تحتوي كلّ ما يُمتِع، بحيث يذهل رائيها عن الأرض. كانت العذراء القدّيسة محاطةً بنورَين. أوّلهما، وهو الأقرب إلى العذراء كلّيّة القداسة، كان يصل إلينا، ويلتمع بألقٍ بالغ البهاء. أمّا الثاني فكان أكثر إحاقةً بالسيّدة الجميلة، وكنّا نجد ذواتنا في داخله. كان ثابتًا، ولكنّه كان أشدّ لمعانًا من شمس أرضنا الزريّة. وكلّ هذه الأنوار لم تكن تؤذي العيون، ولا توجع الأنظار.

«وفضلاً عن هذه الأنوار كلّها، وعن كلّ ذلك السنى، كانت تنبعث حُزَم نورٍ، وأشعّةُ ضياءٍ، من جسم العذراء القدّيسة، ومن ثيابها، ومن كلّ ما حولها.

«كان صوتُ السيّدة الجميلة عذبًا، ساحرًا، أخّاذًا، يريح القلب ويرويه، ويذلّل كلّ العقبات، ويشيع السكينة

والعذوبة. وبدا لي أنّني لن أملّ أبدًا من ارتشاف صوتها الجميل، وأنّ قلبي كان يرقص راغبًا في الانطلاق إليها، والذوبان فيها.

«عينا العذراء، كلّية القداسة، يتعذّر وصفهما بلغة البشر. ولا بدّ من سيرافيم كي يقوى على التحدّث عنهما، بل لا بدّ من أكثر من ذلك، لا بدّ من لغة اللّٰه عينه، اللّٰه الذي صاغ العذراء، منزّهةً من الدنس، تحفة قدرته الكلّيّة. عينا مريم كانتا تبدوان ألف مرّةٍ ومرّةٍ أجمل من الماس، وأفخر من الجواهر النفسية. كانتا تتألّقان وكأنّهما شمسان، وكانتا عذبتين، بل كانتا العذوبة عينها، وكانتا صافيتين صفاء مرآةٍ. فيهما كان يتراءى الفردوس، وكانتا تجذبان. ويبدو أنّ السيّدة كانت تريد أن تهبَ ذاتَها وتجتذب. وكلّما أَمعنتُ إليها النظر، كنت أزداد رغبةً في تأمّلها، وكلّما نظرتُ إليها، كنتُ أزداد حبًّا لها، وكنت أحبّها بكلّ طاقاتي.

«ولكأنّ عينَي المنزّهة من الدنس كانتا بابَ اللّٰه، يشاهَد من خلالهما كلّ ما يشيع في النفس نشوةً. وعندما كانت عيناي

تشتبكان بعينَي أمّ الله وأمّي، كانت تنتفض، في داخلي، ثورةُ حبٍّ رائعةٌ، وكان يترسّخ لديّ التصميم على حبّها، والذوبان في حبّها. بتبادلنا النظرات، كانت عيوننا تتبادل الحديث بأسلوبها الخاصّ، وكانت تلتهب لديّ رغبةٌ في تقبيلها وسط عينيها اللتين كانتا تُسيلان في نفسي الحنان، وتجتذباني، وتصهران نفسينا معًا. لقد غرست عيناها رعدةً عذبةً في كلّ كياني، وكنت أخشى أن أقومَ بأيّة حركةٍ قد لا ترضى عنها رضًى كاملاً.

«إنّ مجرّد رؤية عينَي أطهر العذارى كافٍ كي يشعر المرء أنّه سعيدٌ في السماء، وكي يُدخل النفسَ إلى محراب ملء إرادة العليّ، وسط الأحداث التي تواكب مسيرة الحياة البشريّة، وأن يستنبطَ منها أفعال تسبيحٍ، وشكرٍ، وتوبةٍ، وتكفيرٍ، مستمرّةً. هذه الرؤية وحدَها كفيلةٌ بتركيز النفس في الله، وتجعلها وكأنّها ميتةٌ حيّةٌ، لا ترى، في كلّ متاع الأرض، حتّى ما يبدو منه الأجلّ شأنًا، سوى دمى أطفالٍ، فلا تعود تخالجها إلاّ الرغبة في سماع ما يتحدّث عن الله، وما يشيد بمجده».

ميلاني ومكسيمان: درب صليب طويلٌ

الرسالة التي كُلِّفَ الرائيان بتبليغها إلى الشّعب كلّه، كانت تنطوي على خطورةٍ جسيمةٍ، فقد تعرّضت السيّدة العذراء، في رسالتها تلك، بعباراتٍ لاذعةٍ للسّلطات المدنيّة، وبعباراتٍ أشدّ قسوةً للإكليرُس الذي خان عهودَه، وحادَ بعيدًا عن رسالته، وتنكّر للفضائل المطلوب منه التحلّي بها.

ومع ذلك كان الراعيان الرائيان، على صغر سنّهما، وجهلهما، عازمَين على تلبية طلب العذراء، مهما كلّفهما الوفاءُ للمهمّة الموكلة إليهما من تضحياتٍ. وقد تجرّعا، فعلاً، من التضحيات والاضطهادات كؤوسًا طافحةً، ولا سيّما أنّ بعض الأساقفة، أمثال المطران «جينولهياك» (Ginoulhiac)، أُسقف غرينوبل، وبعض خلفائه، الذين كان الرائيان خاضعَين لسلطتهم، كانوا صنيعة السلطات المدنيّة، وقد تسنّم بعضهم

سدّةَ الأُسقفيّة بفضل دعم تلك السلطات، ومن ثمّ، ومن جرّاء خيانتهم لمبادئ كهنوتهم، غدت تحدوهم دوافعُ مزدوجةٌ للتنكيل بالرائيَين، اللّذين سلكت حياتُهما، منذئذٍ، اتّجاهًا جديدًا، وانتهجت دربَ صليبٍ لم ينتهِ إلاّ بموتهما.

وقد ناضل كلٌّ منهما وعانى، وفقًا لطباعه الخاصّة، وطاقاته الشخصيّة، وبعونٍ من السماء. فوقت حدوث الظهور لهما، كانا، كلاهما، شبهَ أُمّيَّين، لا يلمّان إلاّ بالقليل من اللغة الفرنسيّة، ولا يعرفان سوى لهجتهما القرويّة. وقد احتفظا، طويلاً، بسذاجةٍ مدهشةٍ، وتولّت مدرسة قريتهما تزويدَهما بالتعليم الأساسيّ، ثمّ برهنا، لاحقًا، عن قدرةٍ على التعلّم، فأبدى مكسيمان رغبةً لاهبةً في اكتساب العلم، وأَظهرت ميلاني قدرةً مدهشةً على التطوّر والتأقلم، فتكيّفت مع مُناخاتٍ متباينةٍ، بعد أَن نُفيت إلى مطارح قصيّةٍ في فرنسا، وإنكلترا، واليونان، وإيطاليا، فتعلّمت لغات تلك الأماكن، وعلّمت في مدارسها، واستطاعت محاورة طلاّبٍ، وكهنةٍ، وأساقفة، وكرادلةٍ وبابوات. غير أنّ طاقتها على الاحتمال،

وسموّ أقوالها وكتاباتها يُظهران، بجلاءٍ، عمل الروح القدس فيها.

وجديرٌ بالتنويه أنّ ميلاني ومكسيمان قلّما اجتمعا، عقب ظهور العذراء لهما، فسلك كلٌّ منهما دربًا خاصًّا. غير أنّهما، كليهما، حرصا على الوفاء للمهمّة التي أوكلتها إليهما أمّ الله، على قمّة لاساليتّ. وقد برهنا، كلاهما، عن بذل ذاتٍ، بلا تحفّظٍ، وعن جاهزيّةٍ دائمةٍ، وعن سخاءٍ لا محدودٍ، وعن رفعة نفسٍ خاليةٍ من كلّ ضغينةٍ. ومع كلّ ما صادفا من مقاومةٍ واضطهادٍ، دأَبا على إتمام مهمّتهما، وعلى الشهادة لما شاهدا وسمعا، بجرأةٍ نادرةٍ.

لقد استطاع أساقفةٌ وأزلام الإمبراطور القضاء، مادّيًّا، وأدبيًّا، على رائيَي لاساليتّ. بيدَ أنّ الرسالة التي كُلّفا بتبليغها إلى الشعب كلّه، ما برحت، من وراء قبريهما، تهزّ الضمائر، وتُسيل، في قلوبٍ كثيرةٍ، رعدةً قدسيّةً، خلاصيّةً.

مكسيمان

كان الرائيان على تباينٍ واضحٍ في الميول والطباع، فميلاني كانت تنزع إلى الانطواء، والوحدة والتأمّل، في حين كان مكسيمان أكثر انفتاحًا على الحياة الاجتماعيّة، وجموحَ خيال. غير أنّه اكتسب، شيئًا فشيئًا، ومن خلال اختباره قسوةَ الحياة، علمًا ونضجًا، فقرن «قلبًا رقيقًا، بعقلٍ راجحٍ» في تناغمٍ وتوازنٍ، وغدت تحدوه نزعاتٌ ساميةٌ تقيه من إغراءات الأرض، فباتت رغبتُه الجُلّى هي أداء رسالة العذراء، وإبلاغ العالم كلّه إنذارات سيّدة لاساليتّ بكلّ الوسائل المتاحة له. وقُبَيل وفاته زاره الأب «كريڤولان» (Crévoulin)، فقال له: «صلِّ من أجلي، كي أحقّقَ فقط إرادةَ السيّدة العذراء القدّيسة، فكلّ ما سواها لا شأنَ له».

ولم تحاول ميلاني، يومًا، التقرّب من مكسيمان، مع اعترافها بخصاله وفضائله، وتقديرها لصدقه، وسخائه اللامحدود، وعفويّته، وحرصه على تجنّب الإساءة إلى أيّ إنسانٍ، وحدبه على الفقراء الذين كان يتخلّى لهم حتّى عن ثيابه، وبساطته المفرطة التي لا ترتاب بأيّة خدعةٍ أو كذبةٍ. وقد شهدت ميلاني بأنّ مكسيمان كان شهيدَ الوفاء لرسالته.

وفيما كانت ميلاني تدعو إلى التوبة والتكفير، بصرامة المعمدان وحدّته، كان مكسيمان يقاسم القوم الأكل والشرب، كي يُعدّهم لتقبّل أقوال العذراء. وقد كلّفه هذا الموقف اتّهامه بالسكر والمجون، افتئاتًا وبهتانًا.

وكانت لدى مكسيمان فكرةٌ عن الكهنوت تسمو شأوًا بعيدًا فوق كلّ ما كان يشهده من ممارسات بعض رجال الإكليرُس. وكانت تحدوه رغبةٌ صادقةٌ في اعتناق الحياة الكهنوتيّة، وممارستها على نحو ما تريدها العذراء. غير أنّ مقاومةَ الأسقف المطّردة له، ودأبه على طرده من الإكليريكيّات التي انضوى إليها، حالا دون تحقيق رغبته.

ولكن، مع أنّ باب الكهنوت أُوصد دونه، حافظ على عزوبةٍ عفيفةٍ، إِكرامًا للعذراء التي ظهرت له في صباه.

وأفضت به الاضطهادات التي جوبه بها، بلا هوادةٍ، والظروف القاسية التي واجهته بلا رحمةٍ، إلى أقصى دركات العَوَز والفاقة، وإلى درب صليبٍ دامٍ، انتهى بموتٍ مبكّرٍ.

ميلاني

عاشت ميلاني اثنتين وسبعين سنةً حافلةً بالكرامات والاضطهادات، بالقسوة والنعمة، في حركةٍ دائبةٍ مضطربةٍ، لا عهد لها، إلاّ نادرًا، بهدوءٍ أو استقرارٍ.

منذ صباها زخرت حياتها الممحيّة بنعمٍ سماويّةٍ نادرةٍ أَدهشت العالم الروحيّ عندما أُعلِنت، ومع ذلك كانت تتجرّع، حينذاك، صامتةً، كؤوسَ الإهانات والازدراء.

لقد شُرّدت من مكانٍ إلى آخر، غير أنّ قلبَها وفكرَها كانا مركّزين على أمرٍ واحدٍ: تحقيق المشيئة الإلهيّة. وحيثما حلّت كان الجوّ يكتسبُ نقاءً، ويستثير إعجابَ مشاهديها بتواضعها، وعذوبتها، وصمتها.

اتّخذت، في الرهبنة، اسم الأخت «مريم الصليب»،

واحتفظت به لأنّ الربّ أرادها دائمًا مصلوبةً. وفي بوتقة الألم اكتسبت نفسها منعةً وسموًّا، فآلام القدّيسين هي مشاركةٌ في آلام المخلّص، وهي انتصار النعمة على الضعف البشريّ.

منذ طفولتها واكبها الصليب. فقد كانت في الرابعة عندما شرعت تظهر على جسدها سمات الصلب، التي واكبَتها سحابةَ حياتها.

ولطالما كانت هذه الظاهرة موضعَ نفيٍ وإنكارٍ من أعداء ميلاني. غير أنّ أبحاثًا مستفيضةً جاءت بأكثر من عشرين شهادة إثباتٍ لا سبيل إلى دحضها.

هذه السمات كانت تدوم، أحيانًا، ساعةً أو ساعتين، ولا تخلّف أثرًا ظاهرًا. ولكنّ آلامها كانت تتفاقم أيّام الجمعة، وفي زمن الصوم، إذ كانت تفتح يوم الخميس حتّى مساء الجمعة، فتشيع الأوجاع في كلّ جسمها، ولكنّها كانت تفعمها فرحًا، لأنّها أوجاع حبٍّ إلهيٍّ. وتجلّت هذه الظاهرة،

بمزيدٍ من الوضوح والانتظام، بين عامي ١٩٠١ و١٩٠٣، وشهدها كهنةٌ عديدون.

في صغرها، كانت ميلاني قد التمست من «أخيها» يسوع أن يساعدها على التمثّل به في آلامه، وقد روت هي نفسها قصّةَ حلمٍ راودها ذاتَ ليلةٍ، في غابةٍ، إذ كانت والدتها قد طردتها من المنزل، فهامت على وجهها. ولمّا حلّ المساء، وأخذ منها التّعب كلَّ مأخذٍ، جلست تحت شجرةٍ باسقةٍ، وأسندت رأسَها على جذعها، واستسلمت للكرى. وحينئذٍ راودها حلمٌ طبع شخصيّتها بعمقٍ، ورسم بصمتَه على امتداد مسيرتها الأرضيّة. فقد تراءى لها يسوع، طفلاً في مثل سنّها، مرتديًا ثوبًا زهريّ اللون، وبادرها بقوله: «يا أختاه، يا أختي الصغيرة العزيزة، إلى أين نحن ذاهبان!» فأجابته، بإيحاءٍ سماويٍّ: «إلى الجلجلة». حينئذٍ أمسك الصبيّ بيدها، واقتادها إلى الجبل المقدّس. وبغتةً تلبّدت السّماء بالغيوم، واكفهرّت، وانهمر مطرُ صلبانٍ مدرارٌ، صلبانٍ من كلّ حجمٍ كانت تهوي على كتفيها. وكان جمهورٌ من الناس يصبّون عليها الشتائم، معبّرين عن ازدرائهم لها. فارتعبت وشدّت

القبض على يد دليلها الإلهيّ الذي كانت قد فقدت رؤيته في العتمة. وبغتةً أفلتت تلك اليد من يدها، فتردّت إلى قلقٍ هاصرٍ. غير أنّ رحلتها انتهت بالوصول إلى الجلجلة. وهناك خطر لها مشهدٌ مريعٌ. فقد أُشرِعت أمامَها هوّةٌ من نار كانت تتهاوى فيها جموعٌ كثيفةٌ. فاعتراها الرّعب، ولكنّ دافعًا إلهيًّا جعلها تقدّم نفسَها ضحيّةَ آلامٍ من كلّ نوعٍ، من أجل خلاص النفوس الأبديّ، ومن أجل ارتداد الخطأة. وفي تلك اللحظة استيقظت من حلمها، وإذ بالشمس تنير الأفق. وكان الحلم قد دام الليل كلّه.

عادت إلى البيت، ولم تُطلعْ أحدًا على ما رأت، بل اعتصمت بالصمت تمثّلاً بصليب والدها. ومنذئذٍ استهلّت حياةً جديدةً، حياة ألمٍ وخشوعٍ. وظلّ طفل الحلم ساكنًا ذهنها، تكلّمه في سرّ قلبها الحميم، وتقدّم له أتعابَها وآلامَها. وكان يبدو لها أنّه يدعوها دائمًا باسم «أُخيَّتي»، «أختي الصغيرة العزيزة»، بحيث إنّها، إذ كانت تُسأل عن اسمها، تجيب، غالبًا، ببساطةٍ متناهيةٍ: «الأخت الصغيرة»، وكأنّ هذا هو اسمها الحقيقيّ.

وروت ميلاني، لاحقًا، أنّ «أخاها» الصغير ذاك اقتادها، يومًا، عبر طريقٍ جبليٍّ، وهو يحدّثها عن آلام الربّ يسوع، وعن حياته الخفيّة. فحزنت بمكانها، وأبت أن تخطوَ خطوةً واحدةً، ما لم يهبها يسوع أن تعاني مثلَ آلامه كلّها، وفي الأمكنة من جسمها الموازية للأمكنة التي تحمّل فيها هذه الآلام، على ألاّ يُنقصَ منها ذرّةً واحدةً. وعبثًا جهد دليلُها في دفعها إلى الأمام، وفي إقناعها بأنّ آلامَ يسوع تستعصي على الوصف، وأنّها مفرطةٌ في القسوة. ولكنّها أصرّت، بعنادٍ، على التمثّل بها. حينئذٍ قال لها «أخوها»: بما أنّك عازمةٌ على احتمالها، ارسمي إشارة الصليب!»، ووضع يديه الصغيرتين على رأسها، الذي اعترته الآلام، في الحال. وخُيّل إليها أنّ شيئًا ما وُضع على رأسها، فتلمّسته، ولم تعثر على شيءٍ. ثمّ جاء دور يديها، وقدميها، وجنبها، فغدت آلامٌ تعتريها في تلك الأماكن، كلّ يومٍ، وخاصّةً في أيّام الجمعة، وكانت حدّة هذه الآلام تتفاقم كلّما هي تقدّمت في السنّ.

ورغبةً منها في معاناة أشدّ الآلام قسوةً، تكفيرًا عن آلام

الربّ، التمست أن تقاسي حتّى الآلام التي يعانيها المدانون في جهنّم، وكان لها ما تمنّت والتمست. ولطالما تعرّضت لهجمات إبليس الذي كان يوسعها ضربًا وتنكيلاً.

وكانت ميلاني، في صغرها، تغالي في فرض الإماتات والتضحيات على ذاتها، كي تقابلَ بآلامها، ما احتمل الربّ من أجل خلاصنا. فكانت تمعن في الأصوام، وفي احتمال العطش، والغطس في الماء الشديد البرودة، والبقاء في ثيابٍ مبلّلة، والتعرّض لأشواك الورد. ولكنّ «أخاها» (يسوع) لامها بسبب هذا الإسراف في إماتة ذاتها، ودعاها، بالأحرى، إلى الإمعان في الصلاة، وفي تسليم ذاتها لله، في كلّ حينٍ، وكلّ ظرفٍ.

ولمّا كبرت، وارتدت الثوب الرهبانيّ، واصلت ممارسة الإماتات بأساليب أُخرى، فأمست تلبس مسحًا خشنًا، وترقد على الحضيض، أو على لوحٍ خشبيٍّ غُرست فيه مسامير... وقد اعترفت، لاحقًا: «كنت أسعى وراء مناسبات الألم، كما يسعى النّهِم وراء الحلوى».

وشهدت راهبةٌ كانت زميلةً لها في مدينة «مسّينا» الإيطاليّة، في أيّامها الأخيرة، أنّها كانت تحبس نفسَها كلّ يوم جمعةٍ، فلا تتناول طعامًا ولا شرابًا، مع أنّ العطش كان يؤلمها. وإن هي اضطُرّت إلى شرب الماء، فكانت ترتشف منه جرعاتٍ ضئيلةً، تكاد تبلّل بها شفتيها. وبالإجمال كانت تجهد في تنفيذ البرنامج الذي استهدفته باعتناقها اسم «ماري الصليب».

ولطالما حرصت على إخفاء فضائلها التي خطت في مضمارها شوطًا واسعًا، ومن أبرز هذه الفضائل:

– التواضع، والحرص على الامّحاء. ومع ذلك، كانت تتجلّى عليها دلالاتُ عظمة رسالتها، وآثار عمل الروح القدس في كلّ كيانها، وفي كلّ نواحي حياتها.

– الحياة في اتّحادٍ دائمٍ مع اللّه.

– المحبّة وخدمة الآخرين.

– البراءة، والبساطة، والرقّة والخشوع. هذه كلّها كانت تشعّ تلقائيًّا من محيّاها.

– غيرةٌ ملتهبةٌ على شؤون الله، تجعلها تدين بصرامةٍ كلّ امتهانٍ للأقداس.

– تشبّثها بالحقيقة، ومقتها للكذب والخداع.

– الرجاء الراسخ الذي كان، لديها، بمستوى المِحَن القاسية التي عانتها.

– حبّها للعذراء، حبَّ طفلٍ لأمّه.

– وفاؤها الثابت لرسالتها رغم المقاومة الشرسة التي واجهتها، ولا سيّما من قبل بعض رجال الإكليرُس. فالمطران «جينولهياك» منع نذورَها الرهبانيّة في أبرشيّته، ونفاها إلى كرملٍ في إنكلترا، حيث أكرهها على اعتناق نظام حياةٍ حبيسةٍ، تتعارض مع رسالتها. وأسرّ، حينئذٍ، لمعاونه، وكأنّه يتنفّس الصعداء: «ها هي الآن حبيسة ديرٍ، لن تخرجَ منه أبدًا!» ثمّ تدخّل ذلك الأسقف كي يحول دون تأسيسها، في منفاها، الرهبنة التي أملت العذراء نظامَها.

ولم يكن المطران، «فاقا»، الذي خَلَفَ المطران «جينولهياك» على رعاية أبرشيّة غرينوبل، أكثر رحمةً بميلاني،

فشلّ الرهبانيّة التي أسّستها، مع أنّ البابا كان قد باركها، شخصيًّا، وشجّعها.

وعندما رغب الطوباويّ «جاكومو كوسمانو» في وضع الرهبانيّة التي أسّسها تحت رعاية سيّدة لاساليتّ، منع الأسقف «فاڤا» ذلك، بحجّة أمرٍ بابويٍّ زائفٍ.

بين عامي **١٨٩٢** و**١٨٩٥**، اضطُرّت ميلاني إلى خوض دعوى قضائيّةٍ، دفاعًا عن إرثٍ وُهِبته من أجل تأسيس رهبانيّتها، وشاء أسقف «أوتان» (AUTUN) اغتصابَه، فرشقها بالحُرم الكنسيّ.

إلى كلّ ذلك، لا ننسينَّ وابلَ الشتائم والافتراءات الذي استمطره عليها إعلانها لسرّها.

وقد اعترف أحد أوائل رُسلُ لاساليتّ، هو الأب «فرانسوا ميشيل سيبيّا» (François Michel SIBILLAT): «لو كان على القدّيسة تيريز مقاساة المِحَن التي انتصرت عليها ميلاني لفشلت».

لا جرَم أنّ الصليب قد احتلّ مكانةً أساسيّةً وراسخةً في

حياة ميلاني، التي كانت قد ختمت رسالةً إلى أمّها، بتاريخ ١٩٧٠/٩/١١ بقولها: «خلاصي في الصليب. وعين اللّه ساهرةٌ عليّ».

ولا ريب أنّها كانت قد تأثّرت تأثّرًا عميقًا بقول الربّ لها: «**يا ابنتي، انظري كيف يصلب حبيبَك يسوعَ، من جديدٍ، أصدقاؤه المختارون، خدّامي وكهنتي المكلّفون باقتياد شعبي إليّ!**».

وقد وضع الفيلسوف الفرنسيّ «جاك ماريتان»، بحثًا مستفيضًا عن رسالة لاساليتّ وعن حياة ميلاني التي لمس لديها مقتًا شديدًا للكذب، بل شيئًا من السذاجة، ورأى في ما عانته من إهاناتٍ، ونفيٍ، واضطهادٍ، وافتراءاتٍ، دليلاً على إيمانها بمهمّتها، وبما رأت وسمعت من السيّدة العذراء. وقال: «حياتها الروحيّة تنضح إيمانًا قويمًا، وحقيقةً فائقةً. يستحيل، إذن، أن تكون هذه الحياة ثمرةَ وهمٍ، أو نزوةَ خيالٍ»...

إنَّ للصدق نبرةً لا تخدع...

وقد رسم الفيلسوف ماريتان صورةً تختزل شتّى فضائل ميلاني، صورةً تُظهر أنّ ما كان يدهش مشاهديها هو خشوعها المنقطع النظير، فقد «كانت تحيا، دائمًا، في حضور اللّه، وكانت صلاتها تندرج في ذهولٍ عن كلّ شيءٍ آخر. كانت صلاتها نظرة حبٍّ ونورٍ صافيةً.

«كانت، دائمًا، صامتةً، رقيقةً، وكانت تجيب على أشدّ الملاحظات حدّةً وإيلامًا، بعذوبةٍ ساكنةٍ، هادئةٍ... ولئن هي بدت، في السنوات الأولى التي عقبت الظهور، مكفهرّة المحيّا، فلأنّها كانت، بالفطرة، خجولاً، ولأنها، في تلك الفترة، كانت بدائيّةً، متوحّدةً، معتادةً على التأمّل الإلهيّ، ولم تألف المجاملات الاجتماعيّة، ولأنّها، أيضًا، كانت تتوجّس من البشر خشيةً، تخشى نظراتِهم وضجيجَهم،

فتنكفئ، بوحشةٍ، على إله قلبها. ومن جانبٍ آخر، إن هي بدت، في الكثير من رسائلها، تتميّز بطاقةٍ فائقةٍ، فلأنّنا نراها، حينئذٍ، تنفّذ رسالةً. لكنّها، في كلّ مناسبةٍ أُخرى، كانت عذوبتُها هي السائدة».

«إنّ غيرةَ بيتِك تلتهمني!». كلّما تعلّق الأمر بحقوق اللّه، وحقوق العذراء مريم، كانت تضحي صارمةً، حادّةً، وتصبح أحكامُها على البشر والأشياء صاعقةً، وتغدو لهجتُها قاسيةً ومستقيمةً، على نحوٍ رهيبٍ.

«إنّ ما يسبغ على ميلاني هذه القوّة الفريدة هو تشبّثُها بالحقيقة، في حبٍّ لا يتزعزع. لديها شبه استحالة التعبير عمّا ليس حقيقةً، واستحالة العمل بما لا يتماشى مع الضمير، استحالة مطلقة للمواربة. إنّها تمقت الكذبَ مقتًا ملائكيًّا، على أنّه الإساءة المباشرة للحقيقة الراهنة، وعلى أنّه الفوضى التي يتعذّر احتمالها. هذه الخصلة متجذّرةٌ في نفسها منذ طفولتها...

«... لكأنّها إشارةٌ يعطيها اللّه للبشر، في جميع المضامير،

على نصاعة الإيمان. وهي تحزن، وتنتحب، وتحرّض، كي تناشد المسيحيّين، أن يوافقوا أفكارَهم وأفعالَهم مع الإيمان فحسبُ، الإيمان العمليّ. في هذا المجال، وفي كلّ مجالٍ، هي ترجمانٌ مخلصٌ، لمشيئة سيّدة لاساليتّ... ما تطالب به باستمرار وما تقتضيه، هو أن يكونَ كلّ إنسانٍ وفيًّا لوضعه، فيسعى المكرّس إلى كمال المحبّة، والكاهن إلى تقديس الشعب، ويحرص الكاهن والشّعب على الالتزام بوعود المعموديّة...

«وكانت فضيلة الرجاء لدى ميلاني بمقياس المِحَن الداخليّة والخارجيّة التي قاستها تلك الراعية المسكينة، والتي أفضت بها، أحيانًا، إلى شعورٍ بتخلٍّ ربّانيٍّ، لا أملَ في النجاة منه.

«أمّا فضيلة المحبّة، فلنذكرْ، فقط، أنّ حياةَ ميلاني، بأكملها، لم تكن سوى شهادةٍ على حبٍّ مخلصٍ للّه ولأمّه. ولنذكر، أيضًا، في ما يتعلّق بمحبّة القريب، أنّ ميلاني كانت تفرض على نفسها أقسى الكفّارات عن نيّة أعتى مضطهديها قسوةً. وكم من الذين تمنّوا إزالتَها، اضطُرّوا، في ساعة

موتهم، إلى مباركتها، لأنّهم نالوا الخلاصَ بفضل صلواتها!...

«وقد أحبّت ميلاني العذراء، كلّيّة القداسة، حبًّا منقطع النظير، حبّ ابنةٍ لأمّها، برقّة حبّ طفلٍ واثقٍ وبسيطٍ. وعلى غرار أكبر المعلّمين الروحيّين أمثال القدّيسين بيرنار وغرينيون دي مونفور، كانت تدرك روعة سرّ مريم وعمقه...».

وكانت ميلاني قد كتبت في رسالةٍ إلى الراهبة الأمّ «كارون»، بتاريخ **١٨٥١/٢/٢٣**: «صلّي من أجلي، كي أُصبحَ راهبةً صالحةً وقدّيسةً. فإنّي أؤثر الموت على ألاّ أكون راهبةً صالحةً...

«هل تتخيّلين أنّني، بعد أن رأيتُ ملكةَ الملكات آتيةً إلى أرض البؤس كي تبكي خطايا البشر، ألاّ أجهدَ في تعزية تلك الأمّ العطوف، وألاّ أعملَ كلّ شيءٍ في سبيل إرضائها؟»...

تلك كانت أمنيّتها، وذاك كان فعلها، ونهج حياتها.

إنّ الوثائق المتوفّرة، اليوم، تثبت أنّ ميلاني خاضت حياةً

صوفيّةً رفيعة المستوى، حياةً بطوليّةً، في توبتها، وصبرها، ومثابرتها.

ولا ريب أنّ ميلاني ومكسيمان، قد تميّزا بقداسة الفقراء.

رسالة لاساليتّ

تتميّز ظاهرة «لاساليتّ» بقصرها، وبوضاعة أبطالها، وبما أشاعته، مع ذلك، من أصداءٍ مدوّيةٍ، وآثارٍ بليغةٍ.

فقد ظهرت أمّ اللّه لطفلين مكلَّفين برعاية قطيعٍ صغيرٍ، في قريةٍ مجهولةٍ، ظهورًا واحدًا لم تتجاوز مدّته نصف ساعةٍ، وأدلت برسالةٍ أثارت عاصفةً، قاومها كثيرون ممّن أحسّوا أنّهم مُستهدَفون بما انطوت عليه من تنديدٍ، ورحّبت بها قلّةٌ ممّن أحزنهم مستوى الانحطاط الذي تردّى إليه بعض رجال الإكليرُس، وفئةٌ عريضةٌ من المسيحيّين، وصفّق لها من كانوا يتطلّعون إلى كنيسةٍ أكثر وفاءً لرسالتها، وأشدّ التزامًا بنصاعة السلوك المطلوبة منها، وإلى مسيحيّين أكثر احترامًا لمشيئة اللّه، وأوفى ممارسةً لتعاليم يسوع.

رسالة عذراء لاساليتّ هي رسالة أمٍّ تتألّم، وهي ترى

أبناءَها يتردّون إلى هلاكهم. دموع العذراء هي عنوان رسالتها وجوهرها. وغالبًا ما تكون دموع الأمّ أبلغ وأعمق تأثيرًا من أيّ خطابٍ.

لقد أنذرت سيّدة لاساليتّ بكوارث مروّعةٍ إن مضى القوم قُدُمًا في تيههم، غير أنّها بيّنت أنّ هذه الكوارث يمكن صدّها بالتوبة، وبالعودة إلى الله.

رسالة لاساليتّ هي رسالة توبةٍ وتطهّرٍ. وقد أوجز الأب «ميشيل كوتڤيل» (Michel COTEVILLE) فحواها بقوله إنّها «دعوةٌ إلى التواضع أمام الله، وإلى الفقر والشكر، وإلى معاهدةٍ بين السماء والأرض. دعوةٌ إلى الرأفة، رأفة الله التي عبّرت عنها دموعُ مريم، رأفة على أعضائه المتألّمين، ودعوةٌ إلى التضامن والوحدة بين المسيحيّين. إنّها تجلٍّ جديدٌ للنور والحبّ الإلهيّين موجّهٌ إلى العالم مثل تحدٍّ نبويٍّ.

لرسالة لاساليتّ شقّان: أحدهما موجّهٌ إلى شعبٍ قرويٍّ، وقد جاء بلغةٍ يدركها القرويّون، تحدّثت عن فساد المواسم عقابًا على إهمال يوم الربّ، وعلى التجديف. أمّا الشقّ

الآخر، وهو الجوهريّ، فموجّهٌ إلى الإكليرُس، وقد ضمّنته العذراء السرّين اللذين أوكلتهما إلى الراعيَين الصغيرين، اللذين، وإن لم يدركا كنهَ الرسالة حينذاك، لم يتوانيا عن تنفيذ رغبة العذراء في تبليغها.

وكان من المتوقّع ألاّ يتقبّلَ الجميع تلك الرسالة، فالذين عدّوها تعريضًا بسلوكهم المشين ثاروا عليها، والذين أَلِفوا الاستكانة إلى سبات الضمير، والرقاد على أسرّة الرداءة والضحالة استهولوها، والذين استنكروا اختيار راعيَين صغيرين جاهلَيْن لتبليغ رسالةٍ خطيرةٍ بحجم العالم، قاوموها.

وقد أدهشت تلك الرسالة وصدمت عددًا من المفكّرين، فوصفها الواعظ الدومينيكانيّ الشهير لاكوردير بأنّها «غير معقولةٍ، مثيرةٌ للسخريّة، ومستحيلةٌ».

وفسّرت الكاتبة ماريّا ڤينوڤسكا هذه المواقف الرافضة بقولها: «إنّ سرّ ميلاني، مشبعٌ بدموع العذراء، بحيث جهدت جهنّم بأكملها كي تغرقه في لجّةٍ من الحبر والحنظل. وقد أسهمت دعاوةٌ خبيثةٌ في حمل الكنيسة على منع

نشره... لم يكن بوسع تقوى القرن التاسع عشر المعطّرة والمخنّثة احتمال هذا السرّ، ففي ذلك الزّمن كان القوم قد أقلعوا عن قراءة النبوءات».

غير أنّ فرادةَ تلك الرسالة، واستشهادَ الرائيَين في سبيل إعلانها والدفاع عنها، قد اكتسبا دعمًا منيعًا من قبل طائفةٍ من عباقرة الأَدب والفكر، والروحانيّة، وحتّى من بابواتٍ متعاقبين. ومن أبرز هذه الوجوه:

– الكاتب والصحافيّ «لوي ڤيّو» (Louis VEUILLOT)

– الشاعر «پول ڤرلين» (Paul VERLAINE) زعيم الحركة الرمزيّة في الشعر الفرنسيّ.

– الكاتب «جوريس كارل هويسمان» (J. K. HUYSMANS)

– الكاتب «ليون بلوا» (Léon BLOY) الذي وضع عدّة كتبٍ عن ظاهرة لاساليتّ، وأشهرُها بعنوان «تلك التي تبكي» (Celle qui pleure)، وكان من أجرأ الدّعاة لتلك الظاهرة.

– الفيلسوف «جاك ماريتان» (Jacques MARITAIN)، الذي وضع بحثًا مستفيضًا عن ظاهرة لاساليتّ وعن شهودها، ولكنّه امتنع عن نشره، نزولاً عند رغبة الدوائر الڤاتيكانيّة، ولا سيّما أنه كان سفير فرنسا لدى الڤاتيكان.

– المستشرق والصوفيّ «لويس ماسينيون» (Louis MASSIGNON)، الذي نشر في صحيفته «الله الحيّ»، دفاعًا قويًّا عن ظاهرة لاساليتّ، وقال عن ميلاني: «إنّها قدّيسةٌ لم يفهمها العالم».

– الشاعر «پول كلوديل» (Paul CLAUDEL) الذي ألّف كتابًا عن رسالة لاساليتّ.

– وجديرٌ بالتنويه أنّ الكاتب الملحد «رينان» قال، في مقدّمة كتابه «حياة يسوع»: «إنّ ظاهرة لاساليتّ هي من أبرز الأحداث الدينيّة في قرننا».

– وقال الكاتب «جوليان غرين» (Julien GREEN)، في تقييمه لسيرة ميلاني الذاتيّة: «إنّها شهادةٌ كبرى للنور اللامرئيّ الذي لا تدركه الظلمات».

– وعــقــد الــكــاتب والمفــكّــر «غـوسـتـاف تيبون» (Gutsave THIBON)، عـدّة مـقـالاتٍ حـول ظـاهـرة لاساليتّ ورسالتها.

ومن الروحانيّين الذين أيّدوا الظاهرةَ ودافعوا عنها:

– الأب المرسل «سيلڤان ماري جيرو» (١٨٣٠ – ١٨٨٥)، الذي كان خطيبًا مفوّهًا ومرشدًا سديدًا للحجّاج والكهنة، وقد كتب صفحةً عن انتصار العذراء جاء فيها:

«لاساليتّ! إنّ العالم، في مِحَنه الأخيرة، وفي صراعات نزاعه النهائيّة، سيلتفت نحوها، مثلما يلتفت طاقم الملاّحين، عندما تتفاقم أخطار الإعصار، صوب المنارة التي تتلألأُ في الأفق البعيد، هاديةً إلى مرفأ الخلاص.

«آه! يا جيل أمّنا. هنيئًا للنفوس التي تقودها خطاها نحوك، هربًا من اضطهاد الأشرار. هنيئًا للنفوس التي، في تلك المسيرة الشاقّة المحفوفة بالمخاطر، ستحمل في قلبها غيرةً مضطرمةً على كنيسة يسوع المسيح، غيرةً لا محدودةً، لا تضنّ بأيّة تضحيةٍ. وألفَ مرّةٍ هنيئًا للنفوس التي ستأتي كي

ترتاح على ذراك! فهناك، في العالم المدان، ستفتر المحبّة، وسيحتضر الإيمان، وستحرز الخطيئة انتصارًا مؤقّتًا، وسينشئ إنسان الخطيئة مملكةَ يومٍ واحدٍ.

«ولكنّ الله سيُعدّ انتصارَ كنيسته، وستكونين، يا لاساليتّ، في هذه الأثناء، وريثما يتحقّق انتصارُه المجيد، عزاءه وفرحه»...

ومن القدّيسين الذين دعموا ظاهرة لا ساليت وأيّدوها:

– القدّيس «جان ماري ڤيانّي» المعروف بخوري أرس (١٧٨٦–١٨٥٩) الذي تنبّأ: «لا ريب أنّ لاساليتّ تُحدثُ الآن خيرًا وفيرًا، ولكنّها ستُحدث، لاحقًا، المزيد منه. وفي المستقبل سيعمّ خيرُها باطّراد».

– القدّيس «جان بوسكو» (١٨١٥–١٨٨٨) الذي وقف أحد كتب سلسلته «قراءات روحيّة» على ظاهرة لاساليتّ.

– القدّيس «پيير جوليان إيمار» (St. Pierre Julien EYMARD) – (١٨١١–١٨٦٨)، الذي كان من أشدّ المدافعين عن ظاهرة لاساليتّ جرأةً وغيرةً.

– الطوباويّ «جاك كوسمانو» (Jaques CUSMANO) – (١٨٣٤–١٨٨٨) الذي كان، أوّلاً، طبيبًا في مدينة پاليرما الإيطاليّة، ثمّ سيم كاهنًا، وأسّس جمعيّة «خدّام وخادمات الفقراء»، مستوحيًا النظام الذي أملته العذراء على ميلاني، وطلب من هذه الأخيرة الإشراف على تلك الجمعيّة.

– الطوباويّ «أنّيبالي ماريا دي فرنشيا» (Annibale Maria di FRANCIA) الذي استعان بميلاني، سنةً كاملةً، في مدينة «مسّينا»، مشرفةً على جمعيّة «بنات الغيرة الإلهيّة لقلب يسوع». وقد قال في تأبينها، حين دفنها في كنيسة ديره:

«لقد تولّت إدارة جماعتي الرهبانيّة الناشئة، والميتمِ الملحق بها. كانت قد وعدتني بالمكوث معنا، سنةً واحدةً، وفي خلال هذه الفترة حقّقت للجمعيّة تقدّمًا كبيرًا، بحيث تستأهل أن تُسمّى مؤسّستها.

«أثناء إقامتها في معهدي، راقبتُ بعنايةٍ، تلك المخلوقة الفريدة، وتبيّنت لديها فضائل مدهشة، تتيح بأن أَعدّها من القدّيسات العظيمات...

«إنّها تتميّز بالطهر، والبراءة، والمحبّة، والمنعة، والفطنة، والتضحية، والغيرة الملتهبة على شؤون اللّٰه والنفوس. إنّها بسيطةٌ مثل حمامةٍ، مرشدةٌ سديدة الرأي، وتمتلك، إلى حدٍّ بعيدٍ، قدرة تمييز مكنونات القلوب. إنّها ممعنةٌ في الصبر، مسالمةٌ بلا حدودٍ، هادئةٌ، رقيقةٌ، ولكنّها تنشط في تحقيق ما ترى أنّه مشيئة اللّٰه.

«لقد كانت حياتها استشهادًا داخليًّا مستمرًّا، من جرّاء ما كانت تشهده من إهانات البشر للّٰه، وبسبب تلكّؤ تأسيس الجمعيّتين الرهبانيّتين اللتين كانت السيّدة العذراء قد أملت عليها نظامَهما على جبل لاساليتّ.

«ومع أنّها كانت ممحيّةً، ومع النظر إليها من خلال منظرها المتواضع الهادئ الذي لا يعكّر سجوَّه ورقّتَه شيءٌ، كانت تتجلّى، من خلالها، مخايل قدّيسةٍ عظيمةٍ».

ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ الطوباويّ «أنّيبالي دي فرنشيا»، أكّد أنّ معجزةً تحقّقت بشفاعة ميلاني في أحد معاهده.

وقد شجّع أساقفةٌ كثيرون الحجّ إلى لاساليتّ، وكان أوّلهم

الأسقف «دي برويّار» (Mgr. de BRUILLARD)، وكان قد نال نعمة الشفاء بفضل سيّدة لاساليتّ، وعيّنه البابا بيّوس التاسع كردينالاً، وهو يُعَدّ من أشدّ المدافعين عن تلك الظاهرة، وقد دوّن سيرةَ ظهور لاساليتّ، وجاء فيها: «اجمعوا في مخيّلتكم كلّ الملامح التي من شأنها رسم التواضع الأكمل والأبلغ تأثيرًا، فلن تكوّنوا سوى فكرةٍ ضئيلةٍ عن تواضع ميلاني»...

وقد نشر الكردينال «كارلو ماريّا مارتيني» رئيس أساقفة ميلانو تأمّلاته عن ظهور لاساليتّ، تحت عنوان «ما زالت مريم تتألّم».

ومن البابوات الذين اهتمّوا بظاهرة لاساليتّ لا بدّ من ذكر البابا بيّوس التاسع (١٧٩٢–١٨٧٨) الذي انتُخب حبرًا أعظم سنة ظهور السيّدة العذراء في لاساليتّ، وآمن بالظهور، بشيءٍ من الكتمان، بادئ الأمر، كما يتّضح من عدّة رسائل خاصّةٍ عبّر فيها عن تكريمه لسيّدة لاساليتّ واعتماده عليها. وفي رسالةٍ مؤرّخةٍ في ١٨٥٤/٨/٢٠،

وجّهها إلى الأسقف «جينولهياك» الذي كان يقاوم الظاهرة، ودعاه فيها إلى دحض الافتراءات المتعلّقة بتلك الظاهرة، وإلى تشجيع تكريم سيّدة لاساليتّ. وكان ذلك الحبر الأعظم قد تأثّر أعمق تأثُّرٍ بأسرار الشاهدين، لدى اطّلاعه عليها.

وكان خَلَفه البابا لاون الثالث عشر (١٨٧٨–١٩٠٣) أكثر تحمّسًا للظاهرة. وقد استقبل ميلاني استقبالاً خاصًّا. وشجّعها على تنفيذ مطالب العذراء، ولكنّه لم يحسب حسابًا لمقاومة أساقفته.

وتُوفّيت ميلاني في عهد البابا القدّيس بيّوس العاشر، الذي كان قد اطّلع على سيرتها واستوضح عن مأتم من سمّاها «القدّيسة».

وتحادث البابا بينديكتُس الخامس عشر مع «جاك ماريتان» عن ظهور لاساليتّ. وسعد البابا بيّوس الثاني عشر بالاحتفال باليوبيل المئويّ لظهور لاساليتّ. وبفضل الكردينال أنجيلو رونكالّي – الذي أصبح البابا يوحنّا الثالث والعشرين – تمّ

الاحتفال بذلك اليوبيل، رغم مقاومة طائفةٍ من كبار المسؤولين الكنسيّين في فرنسا.

واعترف البابا يوحنّا بولس الثاني أنّه يصلّي، كلّ يومٍ، لسيّدة لاساليتّ، وقد جاء في رسالةٍ وجّهها إلى أسقف غرينوبل: «إنّ ظهور العذراء مريم لمكسيمان وميلاني يمثّل مرحلةً ذات دلالة. فمريم الممتلئة حبًّا، أظهرت، في ذلك المكان، أساها حيال شرور البشريّة الأخلاقيّة. وهي، بدموعها، تساعدنا كي نتبيّن، على وجهٍ أفضل، خطورة الخطيئة، وجريرة نبذ الله، كما أنّها تؤكّد وفاء ابنها الشديد لأبنائه، فهو الفادي الذي يجرح إهمالُ البشر وإنكارُهم، حبَّه... في لاساليتّ أوضحت العذراء، بجلاءٍ، دأبَها على الصلاة من أجل العالم. فعساها تقود جميع أمم الأرض إلى ابنها».

إنّ ما تواجهه، اليوم الكنيسة، وعلى رأسها قداسة البابا، ومعه عموم المسيحيّين من عارٍ وحَرجٍ، من جرّاء الأنباء المشينة

المتواترة، فاضحةً مخازي كهنةٍ في شتّى بقاع المسكونة انتهكوا عفّة أحداثٍ كان من واجبهم حمايتُهم ووقايتُهم، يبرّر وصفَ العذراء الوجيع لهم بأنّهم، «مواخير عهر».

ولو كان هؤلاء المكرّسون أكثر وفاءً لكهنوتهم، ولو هم أحسنوا الإصغاء إلى أنّات أمّ معلّمهم في «لاساليتّ»، ونفّذوا رغباتها، والتزموا بعفّة الفكر والقلب، لكان من اليسير عليهم ممارسة عفّة الجسد، ولما أضحَوا عثرةً يستحقّون، بسببها، أن تُربطَ أعناقُهم برحى طاحونٍ ويُقذفَ بهم إلى أعماق البحر.

منظرٌ عامٌّ للاساليتّ

رسمٌ يمثّل صعود العذراء بعد ظهورها لميلاني ومكسيمان

مكسيمان عام ١٨٤٧

مكسيمان عام ١٨٦١

الصورة الأخيرة لمكسيمان

ميلاني عام ١٨٤٨

ميلاني الراهبة (الأخت ماري الصليب)

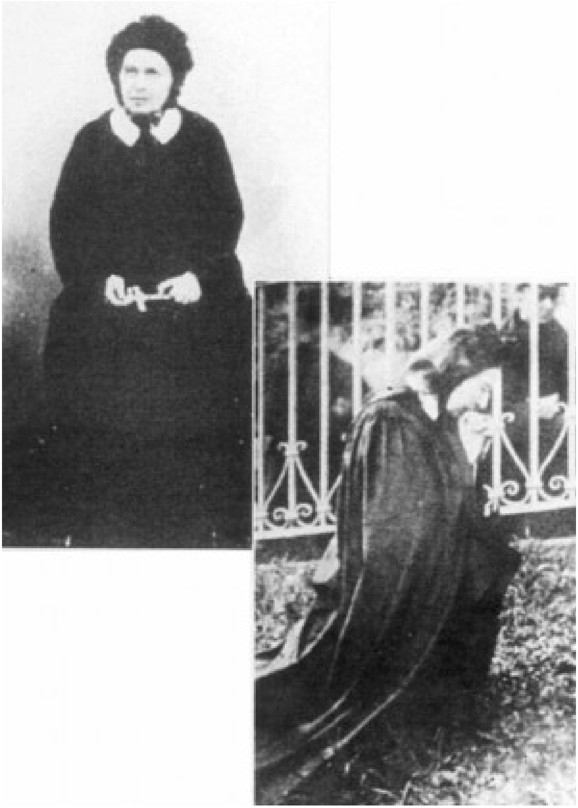

ميلاني في كاستيلاّ ماري (١٨٦٠-١٨٧٠)

ميلاني في ميسّينا (١٨٩٨)

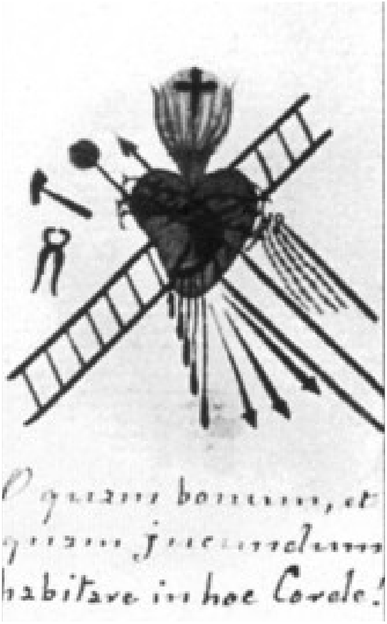

القلب والصليب شعار ميلاني

(رسم يدها)

مزار لاساليتّ

الكاتب ج.ك. هويسمان

الكاتب ليون بلوا

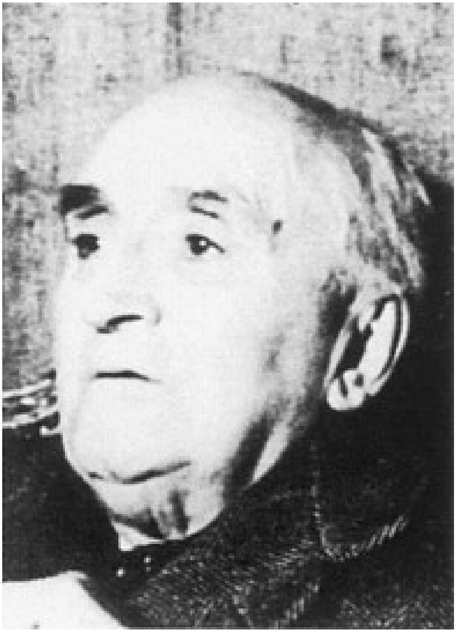

الشاعر پول كلوديل

المستشرق الصوفيّ لوي ماسينيون

مدفن ميلاني

فهرس ظهورات لاساليتّ

«ميلاني»	٧
ماكسيمان والرؤيا	١٢
مسيرة ظاهرة لاساليتّ	٣٣
وصف ميلاني لعذراء الرؤية	٨٢
ميلاني ومكسيمان: درب صليب طويلٌ	٩١
مكسيمان	٩٤
ميلاني	٩٧
إنَّ للصدق نبرةً لا تخدع...	١٠٧
رسالة لاساليتّ	١١٢

ظهورات الإسكوريال

إسبانيا ١٩٨٠

طفولةٌ بائسةٌ وتدخُّلٌ سماويٌّ

السيّدة «أمپارو كويڤاس» (Amparo CUEVAS) وُلدت بتاريخ ١٣ آذار ١٩٣١ في قرية «الپيسيپري» (El Pesepre)، التابعة لمقاطعة «الباثيتي» (Albacete)، التي تبعد نحو خمسين كيلومترًا عن العاصمة الإسبانيّة مدريد. وكانت أسرتها تعيش في حالة فقرٍ مدقع.

وما إن بلغت شهرها السادس عشر، حتّى فقدت أمّها، فأودعها والدها، مع أختها الكبرى كارمن، في ميتمٍ. وتزوّج ثانيةً، غير أنّ زوجته الثانية تُوفّيت في أثناء وضعها صبيًّا. وعندما بلغت «أَمپارو» السادسة من العمر، تبنّتها أُسرةٌ ما لبثت أن رُزقت ولدًا، فأعادتها إلى والدها.

وأَجبرت العازةُ والدَها على السفر بعيدًا، سعيًا وراء لقمة

العيش، بعد أن أوكل «أَمپارو» وشقيقتها إلى جدٍّ لهما عجوزٍ، يعمل راعيًا، وإلى ابنة عمٍّ لوالدتهما.

ثمّ تزوّج والدها، ثالثةً، من امرأةٍ لها ولدان، ما زاد فقر الأُسرة حدَّةً، فأُكرهت «أَمپارو» وأختها على جمع الأعشاب والأحطاب من الجبل، وإلى بيع سلعٍ صغيرةٍ في الشوارع، مساعدةً في توفير خبز الأُسرة. وكان الحرمان والجوع يدفعان الشقيقتين، أحيانًا، إلى الفرار من المنزل، واللّجوء إلى بيت خالةٍ لهما، التماسًا لشيءٍ من الحنان والطعام. وفي إحدى مغامرات الفرار هذه، وقعت «أَمپارو» ضحيّة الثلج والجليد، وأعادها بغّالون عابرو سبيلٍ إلى البيت، فاقدة الوعي، وهي في الرمق الأخير.

ومع أنّه لم يتسنّ للطفلة «أَمپارو» تلقّي مبادئ الدين، وتعلّم الصلاة، غير أنّها كانت شديدة التعلّق بالسيّدة العذراء، ولا تني تتوسّلها أن تأخذها إلى حيث تقيم والدتها.

هَرَبًا من ضنك العيش، ارتضى والد «أَمپارو» العمل، في قريةٍ أُخرى، بصفة حارسٍ، ومراقب ورشة بناءٍ، في حين

استخدم مزارعون شقيقتها الكبرى، فباتت في مأمنٍ من الجوعِ والعوز. وأمست «أَمپارو» وحيدةً، تنفق لياليها باكيةً، نادبةً حالها. ففي المنزل الوالديّ، الذي أوى، أيضًا، زوجة أبيها الثالثة وولديها، لم يكن لأَمپارو سريرٌ ترقد فيه، فكانت تحشر نفسها في خزانةٍ، مع أخيها الأصغر، وترقد متقوقعةً على ذاتها، إذ لم يكن لها متّسعٌ من المكان تمدّ فيه ساقيها.

مرّةً أخرى، تبنّت «أَمپارو» أسرةٌ في المنطقة التي يعمل فيها والدها، فظلّت تعمل لديها، لقاء سكنها وطعامها، إلى أن أعادتها تلك الأُسرة إلى والدها، الذي أكرهه فقره إلى إيداعها في ملجأ للأولاد المشرّدين، أمضت فيه الفتاة سنةً، وتعلّمت فيه مهنة الخياطة. ثمّ لجأت إلى خالةٍ لها تقيم في مدريد، حيث عملت خادمةً، إلى أن تزوّجت «نيكازيو براڤو»، في الثامن والعشرين من شباط ١٩٥٧، وكان لها من العمر ستٌّ وعشرون سنةً.

غالبًا ما يُخيّل للفتاة المحرومة أنّ الزواج يؤتيها الفرج، ولكنّه، في أحيانٍ كثيرةٍ، لا يجلب لها سوى مزيدٍ من

الحرمان والشقاء. هكذا كان مصير «أَمپارو»، فزوجها كان أكثر منها إغراقًا في الفقر والحرمان، وكان يقرن إلى الفقر الكسل. ولكنّ «أمپارو» التي أَلِفت العمل الشاقّ، وقسوة العيش، واجهت، بشجاعةٍ، وضعها الجديد، وتمكّنت من الجمع بين العناية بزوجها وبيتها والأولاد السبعة الذين أنجبتهم تباعًا، وخدمة سيّدةٍ ميسورةٍ، كي ترفد دخل الأسرة الهزيل.

بيدَ أنّ هذه الوتيرة من العيش المرهق، ما لبثت أن نالت من صحّتها الهشّة. فمنذ وضعها طفلها الأوّل، ظهرت عليها أعراض عِللٍ قلبيّةٍ، راحت تتفاقم، مع كرّ الأيّام، إلى أن أكرهتها على التزام الفراش. واعتلّ زوجها، أيضًا، وأُلجئ إلى بطالةٍ مُكرَهةٍ. فاضطُرّت «أمپارو» إلى العمل غسّالةً لأمتعة الآخرين في بيتها، رغم مرضها، بغية توفير الخبز اليوميّ لأُسرتها. غير أنّ جهودها البطوليّة لم تكن كافيةً لتأمين مستلزمات العيش الأساسيّة، وباتت الأُسرة عرضةً للموت جوعًا، لو لم تتداركها مساعداتٌ كريمةٌ من أفرادٍ، ومن مؤسّساتٍ خيريّةٍ. بعضهم كانوا يسدّدون إيجار المسكن، في حين كان كاهن الرعيّة يوفّر للأُسرة الخبز والحليب، وكان

صاحب بقّاليّةٍ يقدّم الموادّ الغذائيّة الأساسيّة، والجيران والجارات يساعدون بما يتيسّر لهم.

وقد أودى الفقر والمرض بزوج «أَمپارو» إلى مصحّةٍ، خرج منها منهكًا، ومن الهزال والوهن بحيث لم يرتضِ أحدٌ استخدامه، فاكتفى بزراعة رقعة أرضٍ صغيرةٍ، منحته إيّاها البلديّة، فكان يستنبتُ فيها الخُضَر اللاَّزمة لغذاء أسرته.

وتكاثفت طائفةٌ من العلل على النيل من «أَمپارو». فإضافةً إلى علل القلب، أُصيبت بقرحةٍ في الاثني عشر، كانت تسبّب نزفًا دمويًّا، وبفتقٍ معويٍّ، فنُقلت إلى مستشفى يسوع الملك في مدريد، حيث أُجريت لها عمليّةٌ جراحيّةٌ. وفي ذلك المستشفى شرعت تتجلّى لها ظواهر خارقة.

فذات ليلةٍ، رأت طبيبًا ملتحيًا، مرتديًا معطفًا أبيض، له عينان خضراوان، وبشرةٌ ذهبيّة اللون. كان يسهر عليها، جالسًا عند طرف سريرها، ولكنّه لم يتفوّه بكلمةٍ. وخُيّل إليها أنّها كانت قد شاهدته، في قاعة العمليّات، بين أعضاء فريق الجراحة. وعندما زارها الأطبّاء المناوبون في الصباح،

استوضحوها عمّن أجرى لها العمليّة، فأجابت، بلا تردّدٍ:

– الطبيب الملتحي!

هذه الإجابة شحذت فضولهم، فسألوا:

– وما اسمه؟

– لست أدري. ولكنّي أعلم أنّه مكث هنا، الليل كلّه.

وبما أنّ المرضى الذين كانوا يقاسمون «أَمپارو» القاعة، أكّدوا أنّهم لم يشاهدوا أحدًا يسهر عليها، فقد ظنّ الجميع أنّ ما حدث لها كان نتيجة تأثير التخدير. وتبنّت «أَمپارو» هذا التفسير عينه إلى حين. غير أنّ صورة الطبيب الزائر السرّيّ ظلّت ملازمةً خيالها، بعد أن عادت إلى بيتها. وقد حدث ذلك نحو شهر أيّار من عام ١٩٧٠.

وما لبث وضع «أَمپارو» الصحّي أن ازداد سوءًا، وتفاقمت علل قلبها ومعدتها ونزفها، وامتقع لونها، وصارت تنتابها نوبات دوار، تجعلها تترنّح، وترتمي أرضًا. وفي إحدى سقطاتها، كُسرت ذراعها وترقوتها. وعندما أغرقت حالتها

الصحّيّة في الانهيار، خطر لها أن تشترك في حجٍّ إلى لورد نظّمه الكردينال «تارانسون»، بين ١٨ و٢٢ حزيران **١٩٧٢**.

في القطار كانت راقدةً، منهكةً، تتقيّأ بغزارةٍ. وفي لورد تفاقم وضعها سوءًا، وتواترت أعراض التقيّؤ، والدوار، والنزف. لم ترَ «أَمپارو» السيّدة العذراء في لورد، ولكنّها كانت تشعر بوجودها إلى جانبها، وتبكي فرحًا وتأثّرًا. كانت تصلّي ملتمسةً شفاء الآخرين، ولم تلتمس شفاءها الشخصيّ. ولّما عادت إلى موطنها، لم يكن قد طرأ على وضعها أيّ تحسّنٍ، ولكنّها كانت لا تكفّ تتلفّت إلى الوراء، إلى حيث ودّعت العذراء، وفي أغوار نفسها تضجّ مشاعر فرحٍ مبهمةٌ.

ولكن سرعان ما بارحتها أعراض الدوار والقيء، والسقوط على الأرض، وباتت تستطيع الاضطلاع بالعمل، في غير حاجةٍ إلى قوارير الأوكسيجين التي لم تكن تقوى على العيش إلاّ بمساعدتها. وترسّخ لديها اليقين بأنّ العذراء تواكبها، وتسهر عليها، وأنّها هي التي منَّت عليها بالشفاء.

في شهر نيسان ١٩٨٠، استخدمها زوجان هما «ميكيل

مارتينيز» و«خوليا سويتّو». كانا يملكان حانوتاً في مدريد، يقصدانه يوميًّا، تاركين في المنزل ولديهما الصغيرين، «خيزوس ميكيل» و«بياتريس»، وكانا قد اطمأنّا إلى ما توسّما في «أَمپارو» من بساطةٍ، وطيبةٍ، ورقّة تعاملٍ مع الأطفال.

كانت «أَمپارو»، حينذاك، قد شارفت الخمسين من العمر، ولم تتميّز إلاّ بفقرها المفرط، وبدأبها على العمل، رغم هشاشة صحّتها، في سبيل القيام بأَوَد أُسرتها. وكان إلمامها بالقراءة والكتابة ضئيلاً.

أمّا في ما يتّصل بالدين والتقوى، فكانت مؤمنةً، ولكنّها، من جرّاء افتقارها إلى التربية الدينيّة، وإلى أوقات فراغٍ، لم تكن تمارس واجبات إيمانها، وطقوسه. غير أنّها قد حافظت، منذ طفولتها، على تعلّقٍ شديدٍ بالسيّدة العذراء. وكانت أمّ الله سندها الوحيد، عندما كانت ترزح تحت وقر الفاقة والمرض.

ومنذ شهر تشرين الثاني من عام ١٩٨٠، اندفعت حياتها كلّها في منحًى جديدٍ. وكانت أعمار أبنائها السبعة تتراوح بين عشرة أعوامٍ واثنين وعشرين عامًا.

ظواهر خارقةٌ

منذ يوم الأربعاء الواقع في ١٩٨٠/١١/١٢، إذ كانت «أَمپارو» عائدةً إلى منزلها، عقب فراغها من العمل في بيت مستخدِميها، انتابها شعورٌ بأنّ رجلاً يتعقّب خطاها، سائرًا وراءها على مسافة بضعة أمتارٍ منها، صامتًا. حدّقت إليه، فإذ بملامحه ليست غريبةً عنها تمامًا. ولكنّها لم تستطع تعرُّفه بدقّة. وتابعت سيرها. وبغتةً تذكّرت أنّها تركت في بيت مستخدميها دراهم كانت في حاجةٍ إليها، فقفلت راجعةً من أجل استرجاعها، وظلّ الرّجل المجهول يتعقّبها. لم تُخفِ الأمر عن حارس البناء، وقالت له:

– أمرٌ عجَبٌ! إنّ رجلاً على قسطٍ كبيرٍ من الوسامة، يرتدي قميصًا وبنطالاً رماديًّا، قد تعقّبني في ذهابي وإيابي. ملامحه ليست غريبةً عنّي، ولكنّني لم أستطع تحديد هويّته.

سألها الحارس:

- هل قال لك شيئًا؟

- كلاّ! لم يتلفّظ بكلمة!

وتطوّع الحارس لمرافقتها حتّى زاوية الشارع، عندما همّت بالعودة إلى منزلها. ولم يرَ أحدٌ منهما الرجل الغريب الذي تحدّثت عنه «أَمپارو». ولكنّها ما كادت تخطو بضع خطواتٍ وحدها، حتّى برز الرجل من بين السيّارات، وظلّ يتعقّبها حتّى باب منزلها، ملتزمًا الصمت.

في الساعة الثامنة والنصف من اليوم التالي، أي يوم الخميس الواقع في ١٩٨٠/١١/١٣، قصدت منزل مستخدِميها، فتعقّبها الرجل اللغز عينه، حتّى زاوية الحيّ. وأحاطت بالأمر حارس المبنى، الذي هرع مستطلعًا الأمر، ولكنّه لم يعثر على ضالّته. غير أنّ «أَمپارو» ظلّت تؤكّد الواقع العجيب، واستأنفت أعمالها المعتادة. وفي أثناء النهار، عرض التليفزيون تحقيقًا عن أطفال بيافرا، الذين يموتون جوعًا، فتأثّرت المرأة أبلغ تأثّر، وقدّمت أجر عمل يومها

ذلك، لهم، إكرامًا للسيّدة العذراء، أمّ الحزانى. وعندما همّت بلمّ الغسيل سمعت اصطفاق باب غرفةٍ في المنزل، مع أنّه لم يكن، ثمّة، أثرٌ لريحٍ. وعندما شرعت ترتّب الغسيل المكويّ في أماكنه، سمعت صوتًا جهورًا، جليًّا، يقول لها:

– «**يا ابنتي، صلّي من أجل السلام في العالم، ومن أجل ارتداد الخطأة، فالعالم مهدّدٌ بأخطارٍ جسيمة**».

ارتعدت «أَمپارو» خوفًا، فألقت وعاء الغسيل أرضًا، وهبطت سلّم البناء قفزًا، تاركةً باب المنزل مفتوحًا، والمفاتيح معلّقةٌ عليه.

لحظ حارس البناء ما هي عليه من رعبٍ، واستفسر عن سببه، فانفجرت «أَمپارو» بالبكاء، موضحةً:

– «سمعتُ صوتًا يطالبني بالصلاة من أجل السلام في العالم، وارتداد الخطأة، لأنّ خطرًا مستطيرًا يحيق بالعالم».

وتساءل الحارس مستهجنًا:

– «ومن يستطيع فعل ذلك، في حين تؤكّدين، أنت

نفسك، أنّه لا يوجد، في المنزل، أحدٌ سواك؟».

– «لست أدري، ولكنّني سمعته حقًّا!».

حينئذٍ عزم الحارس على تحرّي الأمر بنفسه، عن كثبٍ، وواكب «أَمپارو» إلى بيت مستخدميها، مستصحبًا زوجته، وابني أصحاب المنزل اللذين كانا يلعبان مع أولاده، فوجدوا الباب الذي تركته «أَمپارو» مفتوحًا، وقد أُغلق، وغابت عنه المفاتيح التي تركتها عليه، كي تتيح للولدين الدخول عندما يشاءان. وجاء الحارس بالمفاتيح الاحتياطيّة، فدخلوا وفتّشوا البيت كلّه، ولم يعثروا على أثرٍ لأحد. عاد الحارس إلى محرسه، وتلبّثت زوجته مع «أَمپارو»، وفجأةً، سمعتا رنين المفاتيح، وتطلّعتا، فإذا بها معلّقةٌ على باب شقّةٍ مقابلةٍ، وهي ما زالت تتحرّك، وكأنّها استُخدِمت للتوّ. فهتفت زوجة الحارس:

– «من المؤكّد أن هذا البناء مسكون. ربّما روح من بناه – وكان قد تُوفّي منذ سنةٍ – تحوم في أرجائه».

استولى على المرأتين خوفٌ قاتلٌ، ولكنّهما جهدتا في

إخفائه، لكي لا ترعبا طفلَي أصحاب المنزل. ثمّ انحدرت زوجة الحارس إلى منزلها.

حينئذٍ عاد الكلب إلى البيت، وخطر لأمپارو، تلقائيًّا، أن تطرده، خشية أن يمزّق الغسيل الذي كانت قد انتهت من كيّه، أو أن يوسّخه.

ولكنّها، درءًا للخوف، استبقته، وأمسكت بيد طفلة أصحاب البيت. وإذ بالصوت عينه، يقرع سمعها ثانيةً، ملحًّا، عذبًا، جهورًا، قائلاً:

– «**يا ابنتي، لا تخافي!**».

في ذلك الآن عينه، امتلأ المنزل بأنوارٍ من كلّ لونٍ يغلب فيها الأزرق، وتكوّنت غمامة نورٍ كثيفةٌ، تجلّى، في وسطها، طيف الطبيب الذي كانت «أمپارو» قد رأته ساهرًا عليها في المستشفى، وإذ به هو عينه الرجل الذي كان يتعقّبها في ذهابها وإيابها. فاستحوذ عليها الاضطراب، وهتفت:

– «هل أنت أبي؟».

وأجاب الطيف اللغز، بنبرته المميّزة:

– **«أجل، يا ابنتي، أنا أبوك السماويّ. وتأكّدي أن ليس في هذا البيت سحرٌ»**.

أخذ روع «أَمپارو» يسكن، وشرع يترسّخ في يقينها أنّ كلّ ما حدث لها لم يكن نتيجة التخدير، بل كان ناجمًا عن واقعٍ لم يخطر ببال أحدٍ.

واستأنف الطيف اللغز كلامه:

– **«صلّي من أجل السلام في العالم، وارتداد الخطأة. أحبّوا بعضكم بعضًا. وأمّا أنتِ، فستتعرّضين لمِحَنٍ موجعةٍ»**.

وبما أنّ «أَمپارو» كانت أمًّا لسبعة أولادٍ، فكان أوّل ما طاف بخاطرها أنّها ستُمتحَن بفقدان أحدهم، ثمّ خطر لها احتمال مصائب أُخرى شتّى.

وشيئًا فشيئًا، تلاشت هواجسها، واستفسرت الطفلة بياتريس هل شاهدت شيئًا أو أحدًا. فأجابت الفتاة دهشةً:

– «وهل يحدث شيء؟».

فحرصت «أَمپارو» على طمأنتها.

وهرعت منحدرةً إلى حارس المبنى، وبادرته بالقول:

– «أنت مخطئ في ادّعائك أنّ ما يحدث لي هو نتيجة انخفاض ضغطي الدمويّ. فالصوت الذي سمعتُه هو صوت يسوع. لقد رأيته منذ لحظاتٍ، وهو نفسه الذي رأيته في المستشفى، والذي كان يتعقّبني في الشارع».

سخر الحارس من كلّ أقوالها السابقة والحاضرة، مؤكّدًا عدم تصديقه لأيٍّ منها، وأصرّ على أنّ لما يحدث أحد احتمالين: أو إنّها فقدت صوابها، أو إنّ ضغطها الدمويّ منخفضٌ جدًّا. وارتأت زوجته أنّ كل ما يجري هو قصص سحر.

وعندما تبيّنت «أَمپارو» موقف القوم ممّا يحدث لها، قرّرت التزام الصمت، وعزمت، في قرارة نفسها، على ألاّ تحدّث، في الأمر، أحدًا، أيًّا كان.

حدث ذلك في ١٣/١١/١٩٨٠، وبعد يومين جرت أحداثٌ أخرى أكثر مدعاةً للاهتمام.

سمات الصلب

يوم السبت، ١٩٨٠/١١/١٥، في نحو الساعة العاشرة صباحًا، فيما كانت «أَمپارو» ترتّب إحدى الغرف في بيت مستخدِميها، وبجانبها طفلتهم بياتريس، رأت، وسط نورٍ ساطعٍ، صليبًا، وقد سُمّر عليه يسوع، نازفًا من جبينه، وجنبه، وركبتيه، ويديه، وقدميه، وقد تشعّث شعره الملطّخ بالدماء، وانتشرت كدماتٌ زرقاء حول عينيه. وسألت «أَمپارو» الطفلة بياتريس هل ترى شيئًا، فأجابت بالنفي. وعرضت عليها «أَمپارو» أن يركعا معًا ويصلّيا. وبغتةً حانت من الطفلة التفاتةٌ، فهتفت، في دهشةٍ وذعر:

– «أَمپارو»، إنّك تنزفين دمًا!

ولمّا شاهدت المرأة الدم يتفجّر من جبينها ويديها، هتفت مرتعبةً:

– «ما هذا، يا إلهي؟».

كانت الآلام المواكبة للنزف من الحدّة بحيث خُيِّل إلى «أَمپارو» أنّ ساعة أجلها أزفت. ولكنّ المصلوب قال لها:

– «يا ابنتي، هذه هي آلام المسيح. إنّها محنةٌ عليك مقاساتها كاملةً».

– «ولكنّني، لا أقوى على احتمالها».

– «ألا تستطيعين احتمال الآلام بضعَ ثوانٍ، مع أنّي قاسيتُ آلامًا مبرّحةً، على الصليب، ساعاتٍ طوالاً، افتداءً لأولئك الذين كانوا عاكفين على صلبي؟ إنّك بآلامك، تستطيعين إنقاذ نفوسٍ كثيرةٍ».

وسألها هل هي راضية بتلك التضحية الفدائيّة، فأجابت:

– «بمعونتك، يا ربّ، سأحتمل».

ثمّ لاحظت الطفلة أنّ الدم كان يتلاشى، شيئًا فشيئًا. فتوسّلت إليها «أَمپارو» ألاّ تخبر أحدًا بما شهدت. غير أنّها، في قرارة نفسها، كانت تتوجّس من كلّ الأحداث التي

تتخطّى إدراكها. ولذلك، لم تتمالك، في اليوم التالي، من إطلاع حارس المبنى عمّا جرى، فسخر منها قائلاً:

- «لم يعُدْ لكِ سوى الجري سريعًا صوب طبيبٍ نفسيٍّ. فربّما ما زال أمامك فرصةٌ للشفاء. وإلاّ فستتفاقم حالك سوءًا».

شعرت «أَمپارو» أنّها غدت موضع تهكّمٍ، فجدّدت عزمها، بحزمٍ، على ألاّ تطلع أحدًا على ما يجري لها. وغدت، كلّما لطّخ الدم المتفجّر منها ثيابها، تسارع إلى غسلها، حريصةً على ألاّ يلاحظها أحد.

يوم الخميس ١٩٨٠/١١/٢٠، فيما كانت «أَمپارو» صاعدةً نحو منزل مستخدميها، سألها حارس المبنى، متهكّمًا:

- «هل راجعتِ الطبيب النفسيّ؟».

- لستُ بحاجةٍ إلى طبيبٍ نفسيٍّ!

وفي تلك اللحظة عينها لحظ الحارس دمًا ينزف من يدي «أَمپارو»، وشاهدها جاهدةً في إخفائه، ضامّةً راحتيها،

وارتاب بأنّ المرأة كانت تصطنع النزف، فتجرح يديها بأظافرها. فحاول فكّ راحتيها إحداهما عن الأخرى. غير أنّ ذهوله بلغ ذروته، عندما شهد الدم ينزف، أيضًا، من جبينها، وجنبها، وركبتيها، وقدميها، فتيقّن أنّها لم تكن تحاول الخداع، واتّضح له أنّها كانت تقاسي، في الواقع، آلامًا لا تطاق. فهوى على ركبتيه هاتفًا:

– «ربّاه! ربّاهَ! ماذا فعلتُ! وكيف سخرتُ من هذه المرأة؟!».

وانطلق يصلّي، بعد أن كان قد هجر الصلاة منذ صباه. كان قد نسي كلّ نصوص الصلوات، فحار في ما يتوجّب عليه قوله.

وكانت «أَمپارو» قد استعادت روعها، فقالت له:

– «إذن، لست أنا المجنونة الوحيدة. واعلم أنّ الطفلة بياتريس سبق لها أن رأت ما أنت تراه الآن. ولكن أرجوك ألاّ تطلع أحدًا على ما شاهدت».

وقد دوّن الحارس، لاحقًا، شهادةً اعترف فيها أنّه كان قد

أقلع عن ممارسة واجبات دينه، منذ صباه، وانزلق إلى عادة التجديف على الربّ والعذراء. وأقرّ أنّه سخر من السيّدة «أَمپارو»، عندما أخبرته بأنّها رأت يسوع، الذي أنبأها بأنّها ستعاني مثل آلامه، واتّهمها بالجنون، وفيما كان يسخر منها، رأى، بأمّ عينه، نزف الدماء من مختلف أعضائها، ثمّ رأى التئام جراحها تلقائيًّا، فندم على كلّ ما بدر منه، واستعاد إيمانه بالله، لأنّ ما شاهده يتعذّر على بشرٍ فعله، ورجع إلى ممارسة طقوس دينه بقناعة، ونَعِم بسلامٍ داخليٍّ لم يعهد له مثيلاً من قبل.

القلب المطعون

يوم الخميس، ١٩٨٠/١١/٢٣، كان مستخدِمو «أَمپارو» وذووهم مجتمعين في المنزل، وحضرت «أَمپارو»، وقد تجلّى الحزن على محيّاها. فاستفسرت ربّة المنزل عن سبب حزنها، ولكنّ المرأة اعتصمت بالصمت. وحينئذٍ، روت والدة ربّة البيت أنّ «أَمپارو» تعرّضت، يوم الأمس، لألمٍ ناجمٍ عن تحسّسٍ في صدرها. وأصرّت ربّة المنزل على رؤية ذلك بعينيها، ولمّا أسفرت «أَمپارو» عن صدرها، ظهر في وسطه قلبٌ نافرٌ محمرٌّ، مطعونٌ بما يشبه حربةً بارزةً من كلّ جانبٍ، وقد علا القلب ما يشبه لهيب نارٍ. فسألت ربّة البيت مذهولةً:

– «كيف فعلت ذلك، يا أَمپارو؟».

لم تُحرِ المرأة جوابًا، غير أنّ ربّ المنزل، حيال هذا المنظر،

دفن رأسه بين راحتيه، وقد أخذ به التأثّر كلّ مأخذ، وهو يردّد: «إلهي، إلهي!».

إكليل الشوك

دعت ربّة البيت، بإلحاحٍ، «أَمپارو» إلى تناول الإفطار، على أن ترافقها، بعدئذٍ، إلى طبيبٍ. ولكنّ «أَمپارو» كانت واثقةً أن ليس للطبّ دورٌ في ما يحدث، ولم تستطع ازدراد أيّة لقمة طعام، إذ كان ينتابها شعورٌ بأنّ مسامير تثبَّت في صدرها. وآثرت مغادرة البيت في الحال، فقبّلت الطفلين، مودّعةً، وما إن انتهت إلى عتبة البيت حتّى استدعت الطفلة بياتريس أمّها، قائلةً إنّ «أَمپارو» بحاجةٍ إلى من يغيثها. وهرعت الأمّ، فوجدت المرأة جالسةً، تذرّف دموعًا حرّى، وقد استحوذت عليها خشية إفشاء سرّها، فتُطرَد من العمل. ورجت مستخدمتها ألاّ تخبر أحدًا بما يحدث لها. ولكنّ المرأة كشفت عن صدر خادمتها، فإذ بالقلب الذي شاهدته منذ لحظاتٍ، ينزف من نواحٍ عديدةٍ، وكأنّه يتعرّض لنخزٍ شديدٍ،

وقد ظهرت في أعلاه، شعلة نورٍ. خرجت ربّة المنزل، وقد أخذ بها التأثّر كلّ مأخذٍ، ولحظ زوجها حالها، فهرع مستطلعًا، وعمد الزوجان إلى نقل «أَمپارو»، إلى سريرهما الزوجيّ، وأعلنا عزمهما على استدعاء طبيبٍ. ولكنّ رفض «أَمپارو» لهذا الاستدعاء كان قاطعًا.

حينئذٍ، شرعت «أَمپارو» تئنّ من ألمٍ في يديها، وسرعان ما لحظ الزوجان أنّهما كانتا تنزفان نزفًا غزيرًا. وأعلمت ربّة البيت حماتها، فهرعت كي تشدّد عزيمة «أَمپارو». وأُحيط الضيوف علمًا بما يحدث، فطلب أحدهم التأكّد من وجود جراحٍ في يدَي «أَمپارو» وقدمَيها.

وفي الآن عينه، خرج ربّ البيت معلنًا أنّ في جبين «أَمپارو» ما يشبه إكليل شوك. وطالبت زوجته «أَمپارو» بإيضاح ما كان يحدث لها، ولكنّ هذه اقتصرت على إجابتها: «اسألي صغيرتك بياتريس».

كانت الطفلة ما برحت حريصةً على كتمان سرّها، فضاقت

ذرعًا بالأسئلة التي حوصرت بها. ولكنّها سرعان ما تبيّنت أنّ ما كانت تعدّه سرًّا، بات مكشوفًا للجميع.

لقد ماتت

رجت «أَمپارو» الجميع ألاّ يخبروا أسرتها بما جرى، تفاديًا لإقلاقهم. بيد أنّ مستخدِمها، آثر إعلام ذويها بأنّها تعاني آلامًا، كي يُبرّر سبب تأخّرها في العودة إلى المنزل. وفيما كان يهمّ بالانطلاق، لحظ حارس المبنى تشنّجه، واحمرار عينيه المنبئ بأنّه بكى قُبَيْل قليلٍ، فاستوضح السبب، وأجابه ميكيل:

– «لقد عهدتُ «أَمپارو» دائمًا مفعمةً طيبةً، ولكنّني لم أكن أعلم أنّها قدّيسةٌ حقيقيّةٌ».

ثمّ تمتم ببضعِ عباراتٍ ساردًا نتفًا ممّا كان يحدث في منزله. وفاجأه ماركوس الحارس بقوله:

– «لا تقلق، يا سيّد ميكيل، فقد حدث مثل ذلك مرارًا، أمامي، قبل الآن».

هذا البوح بعث الطمأنينة في نفس ميكيل، فصعد، مع الحارس ماركوس، إلى المنزل، حيث انتزعا من جميع الحاضرين وعدًا بعدم إفشاء ما شاهدوا.

في هذه الأثناء، كان قد ألمّ بأَمپارو انخطافٌ أفقدها الوعي، فتجمّدت ذراعاها المبسوطتان على شكل صليب، وتوقّف نزف دمها. وخُيّل لمستخدِمتها أنّها فارقت الحياة، وشاركها زوجها هذا الظنّ، فاستدعى طفليه كي يلقيا عليها النظرة الأخيرة.

ثمّ انحدر ميكيل، ثانيةً، بُغية إطلاع ذوي «أَمپارو» على ما يجري، وفي الطريق التقى ابنتها «أَمپاريتا»، فجهد في إخفاء تأثّره، ودعا الفتاة إلى مرافقته لشراء خبزٍ، وتمهيدًا لإطلاعها على ما يجري قال لها:

– «إنّ أمّك قدّيسةٌ».

هذا القول لم يفاجئ الفتاة، فقد ألف ميكيل امتداح أمّها، وإطراء طيبتها. ولكن، بعد أن خرجا من المخبز، أضاف ميكيل:

- «لقد عانت أمّك القدّيسة آلام صلب يسوع، وحتّى إكليل الشوك».

هذه الظواهر الخارقة شهدها، وشهد عليها، لاحقًا، عشرات الأشخاص، منهم زوج «أمپارو»، وابنتها، ومحلّلٌ كيميائيٌّ وزوجته. ولاحظ جميعهم تضوّع شذا وردٍ عذبٍ، فيما كانت «أَمپارو» في حال انخطافٍ، ودماء سمات الصلب تنثال من مختلف أعضائها.

يوم الإثنين، ١٩٨٠/١١/٢٤، عادت «أَمپارو» إلى عملها، ورغبت مستخدِمتها في الإطلاع على ما آلت إليه سماتها، فإذا بها قد زالت، ولم تخلّف أثرًا، ولا ندبةً، وبات بمكنة «أَمپارو» استئناف عملها المعتاد.

ولكن، بعد ظهر ذلك اليوم، أمّت «أَمپارو» كنيسةً في مدريد، وما إن ركعت، وشرعت تصلّي أمام إيقونة يسوع، حتّى عاد الدم يتفجّر من جبينها، وجنبها، ويديها، وركبتيها، وقدميها. فارتعدت، وفزعت إلى حانوت مستخدِميها، ولكن، في تلك الأثناء، كان النزف قد توقّف، ولم يخلّف

سوى لطخاتٍ على جواربها. غير أنّ النزف تجدّد بحضور مستخدَمي الحانوت، وكان نزف الخاصرة من الغزارة، بحيث كان الدم يتدفّق من بين أصابعها الضاغطة على مصدر النزف.

وبما أنّ تلك الظواهر كانت تتكرّر يوميًّا، فقد خشيت السيّدة خوليا ألاّ تتمكّن «أَمپارو» من مواصلة العناية بطفليها. ولكنّ المرأة طمأنتها بأنّ نزفها يحدث، غالبًا في المساء، وأنّها ستظلّ ترعى الطفلين بأرقّ عنايةٍ.

توافق جميع شهود هذه الأحداث على إحاطتها بالكتمان، تلبيةً لرغبة السيّدة «أمپارو»، ولا سيّما أنّ ظواهر السمات باتت لا تحدث إلاّ في أيّام الجمعة. وكانت «أَمپارو»، كلّما لحظت، عند استيقاظها، لطخةً سوداء على راحتها أو على ظهر يدها، تدرك أنّها ستتعرّض لانخطافٍ ونزفٍ، فتتدبّر أُمورها وفقًا لذلك. لكنّها، في عصر أحد الأيّام، وفيما خُيّل إليها أنّ موعد النزف ما زال بعيدًا، قصدت المخبز لابتياع خبزٍ، وهناك فوجئت بتفجّر الدم من كلّ أعضاء جسمها،

التي اعتادت أن تنزف، فاستندت إلى واجهة المخبز، ورفعت يدًا إلى جبينها، وباليد الأخرى حاولت الضغط على جنبها، منعًا لانسياب الدم إلى الخارج. وتكاتف الحاضرون في المكان، فأجلسوها على كرسيٍّ، إلى أن توقّف النزف، بغتةً. وهكذا أصبح ما طالما حرصت، هي والمقرّبون منها، على إحاطته بالكتمان، مشاعًا، وانتشرت أخباره في كلّ أنحاء إسكوريال، انتشار اللهب في الهشيم.

كانت تلك هي المرّة الأولى التي يحدث لها نزفٌ علنيٌّ، وكان ذلك في يوم الجمعة الأوّل من شهر كانون الأوّل ١٩٨٠. وفي يوم الجمعة التالي أُنبئت «أَمپارو» أنّ راهبةً، سبق لها أن قدّمت لها مساعداتٍ، معتلّة الصحّة، فقصدت ديرها لعيادتها، برفقة زوجها، ومستخدِمتها «خوليا». وفي أحد ممرّات الدير، فاجأها نزف السمات، فالتمست مستخدِمتها أن يُسمَح لها بالاستراحة في قاعة استقبالٍ، وهرع عددٌ من الراهبات مستطلعاتٍ، وللوهلة الأولى خُيِّل إليهنّ أنّ المرأة دجّالةٌ عمدت إلى إحداث جرحٍ سبّب النزف. وبلغت بهنّ الظنون أن فتّشنَ كلّ جيوبها بحثًا عن الأداة

الحادّة التي كنّ يتخيّلن أنّها استخدمتها في محاولة خداعها. وخابت ظنونهنّ عندما لم يعثرنَ على أيّة أداةٍ من هذا النوع. وبلغت دهشتهنّ ذروتها، عندما توقّف النزف بغتةً، واندملت الجراح اندمالاً تامًّا، تلقائيًّا.

يوم الجمعة التالي، ١٩٨٠/١٢/١٩، كانت ربّة المنزل قد عزمت على المكوث في البيت، خشية ألاّ تقوى «أَمپارو» على العناية بالطفلين، من جرّاء النزف والانخطاف. ولكنّ «أَمپارو»، عندما وصلت إلى المنزل قالت لها:

– «لا مبرّر لإهمالك عملك. فما يحدث لي هو عمل الربّ الذي وعد بأن يشدّني بمعونته».

وبعد ظهر ذلك اليوم سُمع، حيث كانت «أَمپارو» تعمل، صوتٌ غريبٌ، وفاح عطر وردٍ نفّاذٌ، استلفت انتباه المارّة بالحيّ.

واحتدم النقاش حول مصداقيّة ما كان يحدث للسيّدة «أَمپارو»، بين مصدّقٍ ومكذّبٍ، بين مؤيّدٍ مندفعٍ ومناوئٍ مستنكرٍ، وكثر عدد الفضوليّين الراغبين في مشاهدة الظواهر

العجيبة عن كثبٍ، وتبليل مناديلهم بدم السمات. ويبدو أنّ هذا الأمر لم يرُق للربّ، فاستنكره، وتوقّفت الظواهر الخارقة مدى أُسبوعين، ثمّ غدت تجري أيّام الخميس، بديلاً عن أيّام الجمعة. ولكن بعد مضيّ خمسة عشر يومًا، عادت سمات الصلب للظهور أيّام الجمعة.

وبمناسبة أسبوع الآلام من عام ١٩٨١، أخطر الربّ «أَمپارو» رغبته في أن تقاسمه آلام صلبه في الخفاء والعزلة، بعيدًا عن عيون المراقبين والفضوليّين. وهذا ما اتّضح لمستخدِميها الذين تبيّنوا أنّ آثار الدماء على ملاءات سريرها كانت ترتسم على الأماكن المقابلة لمواضع يديها، ورأسها، وجنبها، وركبتيها، وقدميها. ولم يكن يشاهد نزفها أحدٌ.

الصليب النازف

روى المحلّل الكيميائيّ، «أنطونيو لوپيز كونزالس»، الذي سبق له أن شهد تفجّر الدماء من سمات الصلب لدى «أَمپارو»، ما شاهده بتاريخ ١٩٨١/١٢/١٩، يوم الجمعة السابق لعيد الميلاد، وما عدّه أبلغ الأحداث، التي شاهدها في حياته، تأثيرًا. قال:

«هبّت على دسكرة إسكوريال عاصفةٌ مصحوبةٌ ببروقٍ ورعودٍ، حرمت الدسكرة كلّها من الكهرباء. وفي هذا الوقت بالذات، كانت تتفتّح في جسم «أَمپارو» سمات الصلب، في حين شرع صليبٌ خشبيٌّ معلّقٌ على عارضة سريرها، ينزف من جبين المصلوب، ومن كلّ مواضع جروحه.

«وفي الغداة، فيما كنّا نستمع إلى رواية هذا الحدث، شهدنا خشب الصليب يصطبغ بالدم. وشاهدنا هذا اللون

القاني يتكثّف عند جبين المصلوب، وعلى يديه، وركبتيه، وقدميه، فيما ظهرت بقعةٌ بيضاويّة الشكل، شديدة الحمرة، على الجنب الأيسر، وامتقع كلّ جسد المصلوب بألوانٍ بنفسجيّةٍ، أي بألوان الجسد المعرّض للتعذيب...».

سمات الجلد

يوم الخميس العظيم، ١٦ نيسان ١٩٨١، جاءت «أَمپارو» إلى العمل، وقد استحوذ عليها القلق، لأنّها كانت تقاسي آلامًا حادّةً، ووجعًا حارقًا في عظامها. وظنّت مستخدِمتها، خوليا، أنّ هذا الوضع ناجمٌ عمّا تكبّدته المرأة من تعبٍ، في اليوم الفائت، إذ تعطّلت آلة الغسيل، فاضطرّت «أَمپارو» إلى الغسل بيديها. ولكنّ «أَمپارو» كانت موقنةً أنّ، ثمّة، سببًا آخر، مبهمًا. ورغبت مستخدِمتها، خوليا، في تقصّي الأمر، وكشفت عن ظهرها، فإذ به محروثٌ من جانبٍ إلى آخر، بضرباتٍ وحشيّةٍ، حديثة العهد، سبّبت، في مواضعَ، خدوشًا، وفي مواضع أخرى، سحجاتٍ داميةً، وغشت لطخات الدم كلّ ظهرها. وأوضحت «أَمپارو» أنّها، فيما كانت راقدةً، ليلاً، شعرت بجلداتٍ شرسةٍ تنهال على

ظهرها، وتكاد تسلخ جلدها عن لحمها. وقد ذُهل زوجها، الذي كان راقدًا في الغرفة عينها، من قسوة ذلك الجلد.

وتذكّرت السيّدة خوليا مناسبة ذلك اليوم المقدّس، فعرضت عليها أن تنتحي، إن شاءت، وتختلي وحيدةً في غرفة، وتنصرف إلى تأمّل آلام يسوع، آخذةً على عاتقها النهوض بأعمال المنزل.

اختلت «أَمپارو» في غرفةٍ، حيث جلست أرضًا. وعند الظهر، تفقّدها ربّ المنزل، وفي الحال استدعى زوجته التي وجدت «أَمپارو» جالسةً على حافّة السرير، وقد امتقع محيّاها من شدّة الألم، وقد تجلّت عليها سمات الصلب. حينئذٍ تمتمت «أَمپارو»:

– يا سيّدتي خوليا، إنّي أُعاني سكرات الموت».

وظنّت خوليا أنّ مستخدَمتها كانت تعاني الآلام المعتادة، فتعاونت مع زوجها ومدّداها على السرير. كانت ما برحت تنزف، وآلامها تتفاقم حدّةً. وشاهد هذا الحدث أقرباء لأصحاب المنزل، كانوا يزورونهم، فبكوا تأثّرًا. وفي ذلك

اليوم، دام انخطافها الموجع خمس ساعاتٍ، وقد أفادت، عندما أفاقت، أنّها رأت يسوع على الصليب ينتفض، بفعل تشنّجات الألم، وكانت، هي، تقاسمه هذه الآلام.

في أثناء انخطافها، كانت خوليا قد استصحبت أبناء أشقّائها إلى مدريد، بغية حضور التطواف التقليديّ بالمصلوب. وما إن أفاقت «أَمپارو» من انخطافها، حتّى استعادت وضعها الطبيعيّ، وطلبت من مستخدِمها، ميكيل، أن يمضي بها، كي يلحقا بزوجته في مدريد. وعندما وصلا إلى الكنيسة، هناك، كان التطواف قد انتهى، ولكن تبيّن أنّ «أَمپارو» كانت قد تابعت، بالروح، وهي في الإيسكوريال، كلّ مراحله، ورأت مشاركة خوليا وأبناء أشقّائها فيه. وعندما أبدت خوليا ارتيابها في صحّة أقوال «أَمپارو»، ذكّرتها هذه بشذا عطر الورد الذي تنسّمته في أثناء التطواف، وحدّدت المكان الذي طالعها فيه هذا العطر، وهو العطر عينه الذي كان ينبعث من «أَمپارو»، في أثناء انخطافاتها. وكان آخرون، أيضًا، من الحضور، قد تنشّقوا

هذا العطر، ودهشوا، لأنّ المصلوب الذي كان يُطاف به، كان مزيّنًا بزهور القرنفل، في حين كان الشذا الفائح، هو شذا ورد.

العذراء المتوّجة

في الأوّل من أيّار ١٩٨١، وكان يوم الجمعة الأوّل من الشهر، قصدت «أَمپارو» وزوجها وابنها، وأصدقاء لهم، مزارًا للعذراء مقامًا في الهواء الطلق، في ضاحية «كورتيس». وكان تمثال العذراء، في ذلك اليوم، قد نُقِل، زائرًا ومباركًا أماكن أخرى في المنطقة. فجلس الحجّاج على مقعدٍ، وبغتةً سمعوا صوت فتاةٍ، مع أنّه لم يكن بجوارهم أحدٌ. وحينئذٍ التفتت «أَمپارو»، فرأت السيّدة العذراء، في زيّ سيّدة الآلام، مرتديةً معطفًا أسود كان يغطّي رأسها المتلفّع بغطاءٍ أبيض، يظهر من جانبي القلنسوة، وكانت تضمّ يديها عند صدرها.

أفادت «أَمپارو»، لاحقًا، أنّ العذراء كانت تصلّي ملتمسةً من ابنها الرأفة بالخطأة، ومنحهم مزيدًا من فُرص الخلاص، لأنّهم أبناؤها، وهي تحبّهم جميعًا حبًّا جمًّا.

وفي مساء ذلك اليوم، إذ كانت تتلو صلواتها المعتادة قبل النوم، رأت العذراءَ ثانيةً، في زيٍّ الحداد عينه، وقد ارتسم الحزن على محيّاها، والدموع تتدحرج على محيّاها. كانت راكعةً، متلفّعةً بمعطفٍ أسود، تعلوه قلنسوةٌ. وقد ألقت على «أَمپارو» نظرةً مفعمةً أسًى. كانت تحمل، في كلّ يدٍ، شمعةً، وتصلّي من أجل سلام العالم. كان محيّاها فائق الجمال، وكانت تبدو في الثامنة عشرة أو العشرين من العمر. وقالت لأمپارو:

«يا ابنتي، لا تكفّي عن تلاوة المسبحة الورديّة... فللورديّة، عندما تُتلى بورعٍ، مفاعيل جسيمة. لست أطلب منكم سوى القليل، سوى الصلاة. فبصلواتكم، وكفّاراتكم، ستساعدون ابني، وتساعدونني على خلاص نفوسٍ كثيرةٍ تائهةٍ، تنتظر من يؤتيها الخلاص».

في العاشر من أيّار ١٩٨١، ظهرت لها العذراء ثانيةً، في ثيابٍ بيضاء. عيناها اللوزيّتان كانتا خضراوين، وحاجباها المقوّسان كانا ساحري الجمال، ومتقاربين. أنفها أشمّ، وفمها

صغيرٌ ودقيقٌ، يتوسّط محيًّا مستطيلاً، ذا وجناتٍ بارزةٍ. نحيلة القدّ، وطول قامتها يناهز مترًا وسبعين سنتمترًا، يداها وقدماها رقيقةٌ. كانت تنتعل، في ذلك اليوم، خفًّا رماديّ اللون. وكان كلّ جسمها يشعّ نورًا ساطعًا...

في ذلك اليوم أدلت العذراء برسالةٍ شدّدت فيها على عظمة شأن الإفخارستيّا. وفي شهر أيّار ذاك، قُدّمت لأَمپارو لائحةٌ تتضمّن أسماء عدّة كهنةٍ معرِّفين، كي تختار أحدهم معرِّفًا لها؛ فوقع اختيارها على الأب «ألفونسو ماريّا لوپيز سيندين»، وهو دكتورٌ في اللاهوت، وكاتبٌ، وصاحب خبرةٍ عريقةٍ، وسبق له أن كان رئيس ديرٍ.

وفي تلك الفترة من عام ١٩٨١، تألّفت جماعةٌ من نساء أهل الحيّ، تلتئم مرّتين في الأسبوع، لتلاوة المسبحة معًا.

وفي ١٤ حزيران من ذلك العام، تناولت أسرة «أَمپارو» مع عائلة حارس مبنى مستخدِميها، الغداء في الهواء الطلق. وبعد الغداء، شوهدت غمامةٌ بيضاء تنهض من داخل شجرة دردارٍ كبيرةٍ، وتتصاعد حتّى قمّتها. وساور «أَمپارو» شعورٌ بأنّ

تلك الغمامة تنطوي على شيءٍ كان يشدّها، فحدّقت إليها مليًّا، وتنسّمت، وتنسّم مرافقوها، شذا وردٍ ممتزجًا برائحة بخور. فدنت «أمپارو»، وهوت راكعةً، ولكنّها اصطدمت بحجرٍ، صدمةً عنيفةً، حتّى ظنّ مرافقوها أنّها جُرحت. ولكنّها تجمّدت في مكانها، ولبثت نحو ساعةٍ بلا حراك، وقد اعتراها انخطافٌ. وأفادت، لاحقًا، أنّ الغمامة التي كانت تراقبها، ما لبثت أن اتّخذت شكل كائنٍ بشريٍّ برز منه بوضوحٍ طيف العذراء مريم، كلّيّة القداسة، مرتديةً ثيابًا سوداء، وقد غطّت رأسها قلنسوةٌ داكنة اللون، وانسدل على كتفيها نقابٌ أبيض.

ثمّ توارت الشجرة عن أنظارها، التي ما عادت تشهد سوى سحابةٍ تقوم مقام موطئ قدمٍ للعذراء التي خاطبتها بقولها:

«**أنا العذراء المتوجّعة. أريد أن يُبنى مصلًّى هنا** (وحدّدت المكان بإشارةٍ منها) **تكريمًا لاسمي. وأودّ أن يُؤتى إليه من كلّ أرجاء العالم من أجل التأمّل في آلام ابني التي باتت**

منسيّةً. إذا تحقّق طلبي، ستحدث هنا أشفيةٌ، وسيساعد هذا الماء على شفاء مَن سيقدمون إلى هنا كلّ يومٍ للصلاة. وستنال الورديّة المقدّسة بركتي، وستظهر دمغة الصليب على جباه كثيرين. توبوا وصلّوا».

ثمّ توارت العذراء رويدًا رويدًا، وعندما أفاقت «أَمپارو» من انخطافها، كانت العذراء قد غابت كلّيًّا. ولكنّ رائحةً طيّبةً نفّاذةً انتشرت فوق الحقل، واستمرّت أيّامًا عديدةً.

وسرعان ما ذاع نبأ ما حدث، فهرع إلى المكان مستخدِمو «أَمپارو» وآخرون، واستمعوا، عند أقدام شجرة الدردار، إلى تفاصيل الرؤيا، مأخوذين برائحة العرف الطيّب المنتشر، ثمّ صلّوا الورديّة معًا. ولاحظت السيّدة خوليا أنّ أنظار مستخدَمتها «أَمپارو» كانت تلاحق شيئًا لا تراه هي، ولا يراه الحاضرون الآخرون. وأفادت «أَمپارو» أنّها رأت العذراء تدمغ بصليب مسبحتها جَبين اثنتين من النساء الحاضرات. وبالفعل شاهد الحاضرون آثار ذراعي المصلوب محفورةً على جبين كلٍّ من المرأتين. ثمّ أرت «أَمپارو» للحاضرين رقعة الأرض

المستطيلة حيث طلبت العذراء إشادة مصلًّى، تكريمًا لها.

ومنذئذٍ، تواترت ظهورات العذراء لأَمپارو، في مختلف أيّام الأسبوع، ولكن غالبًا ما كانت تحدث في السبت الأوّل من كلّ شهرٍ. واستمرّ ظهور الربّ لها، أيضًا. وكان يسوع وأمّه يبلّغانها رسائل خلاصيّة ويكلّفانها بتعميمها.

بتاريخ ١٩٨١/٩/٢٥، اشترك يسوع وأمّه في توجيه رسالةٍ. فقال الربّ:

«أعلني، يا ابنتي، أنّني، مثل والد الابن الضالّ: كلّ من يأتي إليّ، سيخلص، لأنّ ذراعيّ ممدودتان. إنّي حزينٌ جدًّا...».

وقالت العذراء:

«لا تعيري انتباهًا للنصائح الأرضيّة، فقد تقودك إلى الضلال. بل أصغي إلى أقوال مرشدك الروحيّ. تابعي المسيرة مع قطيع ابني، يا ابنتي. قاومي العدوّ. إنّ ابني مسرورٌ منك، لأنّك أعدتِ خرافًا عديدةً إلى قطيعه.

تألّمي، يا ابنتي، وابسطي ذراعيك، كما بسط ابني ذراعيه على الصليب، من أجل خلاص البشريّة. واصلي الكفاح، فسبيلك هو سبيل الألم... خذي هذا الصليب، واحمليه على ظهرك، وتعقّبي خطى يسوع، مثلما اتّبعتُه أنا إلى الصليب، والألم يعتصر قلبي، في حين كان ابني يتألّم من أجل إنقاذ البشريّة. وفي هذه الأثناء، معظم البشر يلهون ويتمتّعون. يا لجحودهم، ونكرانهم للجميل!...

«قلبي يتألّم وأنا أشاهد كثيرين من أبنائي يُجَرّون إلى أعماق الجحيم... كثيرون سيهلكون بيد العدوّ. ولكنّ سلطان العدوّ لن يدوم طويلاً. أبرياء كُثُرٌ سيموتون، وأنا أنتظرهم في مسكني. مساكن المختارين جاهزةٌ. وكذلك سجون الجحيم... سيبدو لكم الصراع طويل الأمد، وفي أثنائه سيكون العدوّ متغلّبًا... ولكنّ أبناء الله الحقيقيّين سيواصلون الصلاة، ولن ينسوا الله. وستكون أيّامٌ عصيبةٌ. وحينئذٍ سيتّضح من هم المتمثّلون بالمسيح.

«أدعوكم، يا أبنائي، إلى حمل الصليب، واتّباع ابني.

إنّه متعبٌ جدًّا. وعليكم أن تخفّفوا وطأة عبئه، بالصلاة والتضحيات.

«**أخبري الجميع أنّ ابني في جوعٍ إلى نفوسٍ تأتي إليه. إنّه ينتظرهم، مثلما انتظر، السامريَّة، عند بئر يعقوب، كي يردّهم إلى السراط القويم.**

«**اجهدوا في أن تكونوا إلى يمين الآب... كم من الحزن يقاسي الآب، وهو يشهد طغمات النفوس التي تودي بذاتها إلى الهلاك! ولكنّك، أنتِ يا ابنتي، تقومين برسالةٍ على جانبٍ كبيرٍ من الخطورة. فكم من خرافٍ ضالّةٍ عادت إلى قطيع يسوع! وكم من ورودٍ تزرعينها على درب ابني! ابني مسرورٌ جدًّا، لأنّك تنتزعين منه أشواكًا كثيرةً. إنّك تلمّين شمل قطيعه المبعثر**».

وقد كرّرت السيّدة العذراء طلب إشادة مصلًّى، تكريمًا لها، زهاء ثلاثين مرّةً. وبتاريخ ١٩٨١/١١/٦، قالت:

«**إذا تحقّق طلبي سأظهر، علنًا، وسط أبنائي، عند مجيء ابني يسوع، الثاني**».

بتاريخ ٨ نيسان **١٩٨٤**، وفي أثناء انخطافٍ انتابها، اجتازت «أَمپارو»، حافيةً، فوق الوحل والحجارة، موقع المصلّى الذي طالبت به العذراء، وحدّدته بقولها:

«**يا أبنائي، امسحوا هذا المكان طولاً وعرضًا، بحيث يبلغ طوله ٢٨ مترًا، وعرضه ١٤ مترًا**».

وبتاريخ ١٩٨٤/٧/١٤، قالت العذراء: «**لست آتيةً لإخافتكم، يا أولادي. بل جئت لتنبيهكم فقط. أنتم تعرفون أنّني حدّدت أبعاد رقعة الأرض، وإنّي أريد أن يكون الهيكل موجّهًا صوب الغرب**». وفي الواقع، في اتّجاه الغرب كانت تحدث ظواهر رقصات الشمس منذ خريف عام ١٩٨١، وقد تكرّرت في ربيع **١٩٨٤**، ثمّ في ١٩٨٤/٥/٦، وفي ١٩٨٥/٥/٧. وقد شاهد كثيرون علاماتٍ في القمر وفي السماء، مثل صورة قلب يسوع، والصليب، وحمامةٍ بيضاء...

ومنذ البدء أعربت الملكة السماويّة عن رغبتها في أن يؤمّ ذلك المكان حجّاجٌ من كلّ أرجاء العالم، لأنّ قدميها

وطئتاه، مؤكّدةً أنّ ملائكتها ساهرةٌ على حمايته، و«**أنّ كثيرين يقدمون إليه، وهم مجرّدون من الإيمان، ولكنّ قلوبهم تتفتّح وتذوب بفعل الحبّ الذي أُسبغه عليهم**».

ولطالما حذّرت العذراء من مراوغات الشرّير، ومن محاولات خداعه، موضحةً أنّه دائبٌ على دمغ أتباعه.

وفي ١٩٨٨/٥/٧، جدّدت أمّ الله تحذيرها بقولها: «**لقد نسي البشر أقوالي**» ثمّ وعدت: «**لقد طلبتُ أن يُشادَ، في هذا المكان، مصلًّى مكرّسٌ لاسمي، يُؤتى للصلاة فيه من كلّ أقطار العالم. وكلّ من يؤمّه سينال البركة، وسيُدمغ جبينه بعلامة الصليب... لكيلا يستطيع الخبيث السيطرة على نفسه...**».

وقد أوضحت العذراء، في مناسباتٍ عديدةٍ، أنّ سبب زياراتها للأرض هو رغبتها الحارّة في خلاص أكبر عددٍ من أبنائها، لأنّها تستهول العقاب الذي سينزل بأولئك الذين يصمّمون، بعنادٍ، على عصيان مشيئة الله، والعيش على هواهم».

وسرعان ما انقلب الحقل الذي جرت فيه انخطافات «أَمپارو» ورؤاها، بدءًا من ١٩٨١/٦/١٨، ملتقًى للكثيرين، يجتمعون فيه لتلاوة الورديّة. وبات يُعرف باسم «پرادو نويڤو»، أي «المرج الجديد».

وقد لاحظ كثيرون ممّن كانوا يؤمّون ذلك المكان أحداثًا فلكيّةً غريبةً. فمنهم من كانوا يحدّقون إلى الشمس، وهي في عزّ سطوتها، ولا تبهرهم أشعّتها، ومنهم من رأوها تبعث ألوانًا متعدّدةً، تتعاقب وتتبدّل، ومنهم من شاهدوا، داخلها، ساعةً تدور عقاربها، وأشكالاً متنوّعةً. وشهد كثيرون أنّهم رأوا دمًا يتفجّر من شجرة الدردار، التي تمّت عندها، أو عليها، الظهورات.

يوم عيد الميلاد لعام ١٩٨١، تفتّحت سمات الصلب على جسد «أَمپارو»، وأُعطيت أن تشهد آلام الصلب، وطُلب منها أن تروي تفاصيلها، والذين استمعوا إلى روايتها، تهيّأ لهم أنّهم يحيون مراحل الصلب، متأثّرين أبلغ تأثّرٍ.

وغالبًا ما فسّر «**ربّ الآلام**» معاناته على الصليب. فقال ذات مرّةٍ: «**إنّ ناكري الجميل يسمّرونني على الصليب كلّ يومٍ**». ومن جهتها، أكّدت والدة اللّه أنّها شاركته آلامه، وأنّها شريكته في الفداء، وأنّها «**أمّ الخطأة التائبين**».

ولطالما تعرّضت «أمپارو» لهجماتٍ جسديّةٍ ونفسيّةٍ من قبل الشرّير، عدوّ اللّه والبشر، الذي غالبًا ما وسوس لها بالانتحار. ولكنّ العذراء أعانتها ونصرتها وأنقذتها من براثنه. غير أنّ المرأة المسكينة لم تسلم من ألسنة البشر السامّة، التي ألصقت بها نُعوت «أسيرة الشيطان»، «المجنونة»، «الساحرة»، «المصلوبة»، «الممثّلة الهزليّة»، الخ... وفي جميع هذه المِحَن، كانت الصلاة، ولا سيّما تلاوة الورديّة، هي سلاحها وملجأها. ومع ذلك لم يقنط الشرّير، بل مضى قدُمًا في محاولاته الوسوسة في ذهنها أن لا جدوى من الصلاة.

وغالبًا ما تراءى لها في هيئة ملاكٍ متلألئٍ لكي يقنعها بعدم جدوى الاعتراف، ولكنّها، من خلال أقواله المغايرة

لكلّ ما آمنت به، كانت تكتشف هويّة الشرّير، فتستنجد بأمّ الله لطرده.

ومع مرّ الأيّام، اشتدّت هجمات إبليس شراسةً، وقد جهد إبليس في تسريب الريبة إلى نفسها حول الرسائل التي كانت تتلقّاها من يسوع وأمّه. ولدى تبيّنه فشل مساعيه هذه، حاول القضاء على حياتها.

شهادة معرّفها

روى الأب «ألفونسو ماريّا»، مرشد «أَمپارو» الروحيّ، مشاهدته لانخطافها، ولتفجّر الدم من سمات الصلب في جسمها، فكتب:

«على غرار كثيرين آخرين جديرين بالثقة، تسنّى لي أن أتنشّق العرف الطيّب المنبعث من السيّدة «أَمپارو»، مرارًا عديدةً. ولكنّني لم أكن قد شهدت، يومًا، انفتاح سمات الصلب لديها، الذي يتكرّر حدوثه، ويسبّب لها آلامًا. غير أنّها، يوم الخميس الواقع في ١٩٨٢/٣/١١، وافت كي تعترف، جريًا على عادتها الاعتراف كلّ خمسة عشر يومًا، يرافقها مستخدِمها «ميكيل»، الذي كان قادمًا إلى حانوته في مدريد... في السكرستيّا كان العرف الطيّب الفائح منها نفّاذًا وعذبًا، فسألتها:

– «يا «أَمپارو»، هل لك يدٌ في بعث هذا العرف الطيّب، وهل بوسعك إطلاقه وإيقافه متى شئت؟».

فأجابت تلقائيًّا، وببساطتها المعهودة:

– «يا أبت، لا شأن لي في إرساله ولا في إيقافه!».

ثمّ، فيما كنّا ندوّن نصّ رسالةٍ سابقةٍ كانت قد تلقّتها، سمعتها تهتف، بنبرة ألمٍ شديدٍ:

– آخ! يا إلهي! يا إلهي! آه، يا يسوعي!

وحدّقتُ إليها، فإذ بعينيها جاحظتان، وبذراعيها متدليّتان.

وهتف السيّد «ميكيل» الذي كان معنا:

– «لقد بدأ انخطافها، يا أبتِ!»

حينئذٍ، بسطت «أَمپارو» ذراعيها على شكل صليبٍ، وشهدتُ الدم يتفجّر من عدّة مطارح في جبينها، وينتشر على راحتيها وظهر يديها. ولكنّه كان أكثر غزارةً في راحتيها. وحاولتُ مسح الدم بمنديلي، ولكنّها، لا شعوريًّا، أطبقت يديها، بصلابةٍ منعتني من إبعاد إصبعٍ واحدةٍ من أصابعها.

وبما أنّها، في غمرة تأوّهها، كانت تطلب ماءً، سألتُ أخواتنا الراهبات اللائي خَففنَ، في الحال، وخشينا، أنا و«ميكيل»، أن تهوي من كرسيّها، فتعاضدنا على وضعها فوق مقعدٍ عريضٍ. وبغتةً توقّفت صيحاتها وتأوّهاتها، وشرعت تتكلّم ببطءٍ، ورقّةٍ، وسمعناها تقول:

– «يا ابنتي، كوني شديدة التواضع. إن لم يبدّل الناس سلوكهم، وإن لم يكفّوا عن إهانة اللّٰه، فستحدث ظـواهـر تـرعب سكّان الأرض، فـيـدوّي الجوّ بـجـلـبـةٍ شديدةٍ... كلّ العيون ستشاهد، ولكنّ كثيرين لا يؤمنون، لأنّ قلوب البشر قد أمعنت في القسوة. توبوا، وصلّوا، واقتربوا من الإفخارستيّا. اعترفوا بخطاياكم، والتمسوا صفح الآب السماويّ، ولا تتردّدوا في الإصغاء إلى أقوالي، فالوقت داهمٌ! صلّوا من أجل الذين لا يصلّون، وكفّروا من أجل الذين لا يتوبون»».

ويوضح الأب «ألفونسو» أنّ المرأة تلت هذه الرسالة بصوتٍ خافتٍ جدًّا، ولم يتمّ تسجيلها إلاّ عندما أعادت تلاوتها، يوم

عيد القدّيس يوسف، في حقل «پرادو نويڤو»، حيث أَلِفَت تلاوة الورديّة مع كثيرين يشاركونها هذه الصلاة، ويقدم بعضهم من كلّ صوبٍ، ويحتشدون خاصّةً أيّام السبت الأوّل من كلّ شهر.

ويتابع الأب «ألفونسو» شهادته قائلاً:

«بما أنّه كان عليّ النهوض بمهامّ أُخرى، ألححتُ أن تسأل «أَمپارو» اللّه إعادتها إلى وضعها الطبيعيّ سريعًا، كي ننصرف إلى أعمالنا. وسمعت صوتًا هاتفًا:

- «**يا ابنتي، تكفيرًا عن خطايا البشر، قبّلي الحضيض!**».

وحدث أمرٌ عجبٌ. ففيما لبثت أعضاء المرأة متصلّبةً، انحنت ببطءٍ، إلى الأمام، حتّى لامست شفتاها الأرض، ولكنّها لم تلامسها بيديها اللتين ما برحتا متصلّبتين. ثمّ بالحركة الغريبة عينها، ومن غير أن تلوي جسدها، أو ذراعيها وساقيها، جلست، وسمعتُ الصوت يكرّر القول:

- «**قبّلي الأرض، ثانيةً، يا ابنتي!**».

فأعادت الكرّة، بالطريقة عينها.

وعندما جلستْ، شكت بمرارةٍ، وهي تصيح:

– «يا للبرد! يا إلهي، عظامي تصطفق!»

وطلبت ماءً. ولكن، منذ ارتشافها الجرعة الأولى، انتابتها نوبات تشنّجٍ. وخُيّل إليّ أنّها توشك أن تتقيّأ، فطلبت من الراهبات إحضار طشتٍ، ولكنّ ميكيل لم يتخلَّ عن هدوئه، مؤكّدًا أنّها لن تتقيّأ، فما نوبات التشنّج سوى نتيجةٍ لرجفات البرد التي انتابتها. وقد أكّد الواقع توقّعه. وشيئًا فشيئًا، زال تصلّب أعضائها، واصطكاك أسنانها، ولمّا فتحت عينيها، كانت أنظارها غريبةً، وسرعان ما عادت إلى طبيعتها. وزالت آثار الدم عن جسمها، وجبينها، ويديها، ولم يبقَ من أثرٍ سوى ما صبغ منديلي والمنشفة. ولم يخلّف الجرح سوى ثقبٍ صغيرٍ في الجبين، عند منبت الشعر. وبعد وقتٍ قصيرٍ، ومع أنّها كانت ما زالت متعبةً، قصدتْ كرسيّ الاعتراف، تاركةً السكرستيّا عابقةً بعرفٍ طيّبٍ، تنشّقه جميع الموجودين في الكنيسة.

وقد علمتُ أنّ حالات انخطافٍ عديدةً تنتاب السيّدة «أَمپارو»، وأنّها، غالبًا ما تعاني مثل آلام صلب المسيح، وتقاسمه إيّاها، وتتجلّى آثار الآلام على رأسها أو كتفيها أو جبينها، أو ركبتيها، أو يديها، أو قدميها، وفقًا لمشاهد الآلام التي تراها».

أشواكٌ في قلب العذراء

بتاريخ ١٩٨٢/٧/٣، فيما كانت «أَمپارو» تتلو المسبحة مع مستخدِمتها «خوليا»، وحارس المبنى، «ماركوس»، افترّت شفتاها عن ابتسامة فرحٍ، فاستنتج المحيقون بها أنّها رأت العذراء، وهوت راكعةً، وطلبت منها أمّ اللّه أن تتواضع، وتكفّر عن الخطأة، وتقبّل الأرض مرّتين.

وفي أثناء الانخطاف الذي اعتراها، أرتها العذراء قلبها، وقد غُرست فيه الأشواك. فجهدت «أَمپارو» كي تنتزعها بيدها، وبعفويّةٍ، غرست واحدةً من تلك الأشواك في صدرها، حيث خلّفت ندبةً ظاهرةً. ثمّ تناولت مسبحةً ورفعتها عاليًا، وقد فسّرت، لاحقًا، أنّها فعلت ذلك كي تبارك العذراء المسبحة بقبلةٍ منها، ثمّ شوهدت تمسك شيئًا

وتقبّله، وقد أوضحت أنّها كانت تقبّل يد العذراء، تلبيةً لطلبها.

ولمّا أفاقت من انخطافها، بدا عليها الاضطراب، وراحت تبحث عن غرضٍ ضائعٍ، وهي ترسم على ذاتها إشارة الصليب. وقد أوضحت أنّ إبليس انتزع مِسحها الكتفيّ (Scapulaire)، وساعدها مرافقوها، عبثًا، في البحث عنه.

ولكن، في مناسبةٍ أخرى، أي ليلة **١٩٨٣/١/٢٥**، حرسها ذلك المِسح الكتفيّ. ففي تلك الليلة أيقظها الربّ قائلاً:

– «**لا تنامي في حين يهلك آخرون... أنت تنامين، في حين أنا أتألّم!**».

وأتاح لها أن تشهد حدَثًا في جهنّم، حيث كان يوجد أُسقفٌ سابقٌ.

وقد جهد إبليس في إغوائها، غير أنّ النور الذي كان يشعّ من مِسحها، حال دون اقتراب إبليس منها.

«پرادو نويڤو»

تكثّفت حشود المصلّين في منزل آل مارتينيز (مستخدِمي أَمپارو)، فأوعزت العذراء بالاجتماع في مكانٍ آخر. وقدّمت صاحبة المخبز الذي سبق أن جرى فيه انخطافٌ وانفتاح سمات الصلب للسيّدة «أَمپارو»، مكان مخبزٍ قديمٍ، كان يلتئم فيه المصلّون، كلّ يوم إثنين وخميس، فيتلون الورديّة أمام تمثال سيّدة الآلام. وسرعان ما علت اعتراضات الجيران التي بلغت حدّ التهديد، من جرّاء ما كانت تحدثه تلك التجمّعات من ضوضاء، وتقرّر اعتماد «پرادو نويڤو»، أي الحقل المجاور لرقعة الأرض التي كان يستثمرها زوج «أَمپارو»، وكانت العذراء قد ظهرت على شجرة دردارٍ فيه، والذي ما عتّم أن أمسى ملتقى المؤمنين والمصلّين والحجّاج، وحيث جرت معظم ظهورات العذراء للسيّدة «أَمپارو»، وبُلّغت معظم رسائلها

ورسائل ابنها يسوع. في ذلك المكان شهد كثيرون عذراء التمثال تذرف دموعًا. وفي ٦ آب ١٩٨٢، شهد بعض الحاضرين حدث تجلّي يسوع.

بتاريخ ١٩٨٢/١١/٦، وبمناسبة زيارة قداسة البابا يوحنّا بولس الثاني إلى إسبانيا، ظهرت العذراء ظهورًا متألّقًا، مرتديةً ثوبًا أصفر طويلاً، يعلوه معطفٌ أبيض، رُسمت عليه شعارات ذلك البابا القدّيس.

وفي مناسباتٍ أخرى، ظهرت العذراء في مواقف متعدّدةٍ، تارةً متألّمةً، وتارةً ممجّدةً، مثلما ظهرت العذراء في لورد وفاطمة، وفي الإيقونة العجائبيّة، وكأنّها تذكّر بظهوراتها ورسائلها وأمجادها العديدة.

وقد ظهرت يوم ١٩٨٢/١٠/١٢، بكلّ ألقها، بصفتها «العذراء المجيدة، عذراء العمود» شفيعة إسبانيا. وكانت تعلّق في عنقها إيقونةً بيضاء ترمز إلى الروح القدس.

وفي أحد ظهوراتها، طلبت العذراء أن يُصنع تمثالٌ تكريمًا

لها، باللونين الأبيض والأصفر، وعليه شعار ابنها الحبيب، البابا يوحنّا بولس الثاني، وأن يُرسل إلى روما، تخليدًا لذكرى ذلك الحبر الأعظم. وقد شَدّدت العذراء على واجب تنفيذ هذا التمثال.

مقاومةٌ واضطهاداتٌ

يبدو أنّ تلاوة المسبحة الورديّة، يوميًّا، في «پرادو نويڤو»، التي أسهمت في إنقاذ نفوسٍ عديدةٍ، لم ترُق لقوى الظلام. فدأبت على شنّ هجماتٍ مباشرةٍ، تارةً يضطلع بها الأبالسة أنفسهم، وتارةً أُخرى، بواسطة عملائهم، ملفّقي التّهم الزائفة، ومروّجي التخرّصات الكاذبة عن «أَمپارو»، ومطلقي الرصاص من بنادقهم، على الهيكل الصغير الذي أنشأته التقوى الشعبيّة، بين أغصان شجرة الظهورات.

وفي صبيحة يوم ١٩٨٣/٥/٢٦، استخدم الحقد الشيطانيّ بشرًا متوحّشين للبطش بالسيّدة «أَمپارو»، التي جاءت كي تتفقّد مشكاة تمثال العذراء، بين أغصان شجرة الدردار، التي كانت قد تعرّضت لطلقاتٍ ناريّةٍ. وفيما كان زوجها يراقب الحقل الصغير الذي كان يستثمره على مقربةٍ من «پرادو

نويڤو»، جاءت هي وركعت أمام شجرة الدردار، وشرعت تتلو السلام الملائكيّ، وإذ بثلاثة رجالٍ مقنّعين بعنايةٍ ينقضّون عليها، وينتزعون سترتها عن كتفيها، ويغطّون بها رأسها ووجهها، ويشدّون بأكمامها عنقها. ثمّ عرّوها من ثيابها التي ألقوها في منهلٍ للسائمة، قائلين، بتهكّمٍ، إنّها لن تحتاج إلى ارتدائها، بعد ذلك.

ثمّ جرّوها إلى مكانٍ قريبٍ ولكن معزولٍ، حيث أمروها بإنكار كلّ ما كانت ترويه عن الظهورات، وبإعلان بطلانها، وبطلان رسائل السماء، فقالت:

- «وكيف لي أن أُنكر ما هو حقيقةٌ وواقعٌ؟!».

فانهالوا عليها صفعًا وضربًا بالهراوات، ووخزًا، على كلّ مواضع جسمها. وفي هذه الأثناء، كانوا لا ينفكّون عن إطلاق الشتائم والبذاءات المريعة، وهم يقهقهون. وإزاء عجزهم عن حملها على إنكار الظهورات، هدّدوا بشنقها على غصن شجرةٍ، قائلين:

- «سنرى هل ستأتي العذراء لتنقذك!».

وأمعنوا في تعذيبها، وفي محاولة إكراهها على إعلان بطلان الظهورات، وعلى التلفّظ بالشتائم وعبارات التجديف، التي كانوا يتقيّؤونها بلا انقطاعٍ. وكانت تردّ عليهم بالقول:

– «إنّ اللّه أبي وأبوكم، فكيف لي أن أشتمه؟ وهل أنتم تشتمون أمّهاتكم؟».

وكانوا دائبين على وخزها بقضبانهم، فتصرخ ألمًا، ولذلك ألقموها حجرًا كي يخرسوها، ويكمّوا صراخها. ولمّا باءت كلّ محاولاتهم وتعدّياتهم بالفشل، عقدوا العزم على اغتصابها، وراح كلٌّ منهم يتبجّح بضروب القذارة التي سيمارسها، ولكأنّهم في مباراة سفالةٍ وحقارةٍ. ثمّ تشاوروا، جهارًا، حول طريقة القضاء عليها، وتصفيتها، خنقًا أم شنقًا.

وعندما همّ أحد المجرمين بتنفيذ مخطّطه الأثيم، بلغ جزع الضحيّة أوجه، فهتفت:

– «إلهي، إلهي، هذا مستحيل! فهل ستسمح بهذه الجريمة، أيضًا؟».

وفي تلك اللحظة، سُمعت جلبةٌ، وكأنّ حجرًا وقع على مقربةٍ من المكان، فارتعد المجرمون خوفًا، وظنّوا أنّ هناك شخصًا قادمًا نحوهم، فقذفوا بضحيّتهم أرضًا، وهي فاقدة الوعي، ولاذوا بالفرار.

كرّت ساعتان، ولم تظهر «أَمپارو»، فهرع زوجها، بحثًا عنها. ولدى مشاهدته ثيابها مرميّةً في المنهل، أطلق صيحات جزعٍ واستنجادٍ، وسمع عاملٌ صراخه، وحضرت النجدة، فوجدت «أَمپارو» نصفَ ميتةٍ، وقد انتشرت على كلّ جسمها الجراح، والدماء، والكدمات. فحُملت على محفّةٍ إلى مستشفًى، حيث ظهرت آثار الضرب على رأسها وعلى كلّ جسدها، وقد تورّم وجهها. وبعد أن ضُمّدت، أُعيدت إلى منزلها، نزولاً عند رغبتها.

ذُهل جيرانها ومعارفها لهذا الاعتداء الوحشيّ، وتصاعدت آلاف الصلوات عن نيّتها، ولكنّ شفاءها التامّ كان بطيئًا. وقد صرّحت، وهي على سرير الألم، متوجّهةً إلى المعتدين:

– «إنّني أصفح عنهم، وأنا متأهّبةٌ لبذل حياتي عنهم، إن

استلزم الأمر. فالمهمّ هو خلاص النفوس». ولكأنّها تصدي لصيحة المصلوب: «يا أبتِ، اغفرْ لهم!».

وقد اعترفت، لاحقًا، أنّها، في حومة محنتها، لم ترَ لا الربّ، ولا العذراء، ولا الملاك جبرائيل، بل كانت غارقةً في ظلماتٍ دامسةٍ، فحقّ لها أن تهتف مع المصلوب:

– «إلهي، إلهي، لمَ تخلّيت عنّي؟».

واتّفق، ذات يومٍ، إذ كانت «أَمپارو» تتلو الورديّة وسط نحو خمس مئة مؤمنٍ، أن شرع الشرّير يدفعها بعنفٍ كي يوقعها أرضًا. وخُيّل إليها، بادئ الأمر، أنّ القوم يزحمونها. ولكن عندما اتّضح أنّ ما يحدث هو عمل الشرّير، أحاطت بها ثُلّةٌ من الرجال، يدرأون عنها الأذى، وظلّوا يحيقون بها، بعد انتهاء الصلاة، وانتهاجها طريق العودة إلى منزلها. ومع ذلك، دفعها الشرّير، حينذاك، دفعةً من العنف بحيث كاد يوقعها.

لقد أظهر عدوّ الله والبشر حقده للربّ وأمّه. ولكن الربّ وأمّه أثبتا أنّهما لا يتخلّيان عن أصدقائهما الأوفياء.

مناولةٌ بيد «پادري پيو»

بين ٤ و٨ تمّوز، اشتركت السيّدة «أَمپارو» في رحلة حجٍّ إلى روما، بقيادة معرّفها الأب «ألفونسو ماريّا». وقد انتابها انخطافٌ، ونزفت سمات الصلب من جسمها، في كنيسة السيّدة العذراء، بروما، أوّلاً، ثمّ في محلّة «سان جيوڤاني روتوندو»، موطن القدّيس «پادري پيو»، الذي أسدى إليها بنصائح انفردت بسماعها، ثمّ ناولها بيده، وقد شهدها بعض رفاق الرحلة تمدّ لسانها، ورأوا القربانة تستقرّ عليه، وسمعوها تقول: «شكرًا، يا أبتِ».

موقف الإكليرُس

في البدء، كان موقف الإكليرس مناوئًا. ولكن، كما حدث في فاطمة، تغلّب إيمان الشعب، وطغى على تردّد المسؤولين الكنسيّين.

عام ١٩٨٥، تحرّك الكردينال «أنخيل سوكيرا» (Angel SUQUIRA) وأصدر بيانًا جاء فيه:

– لم تثبت صفة فائق الطبيعة في ما يحدث من ظهوراتٍ وإيحاءاتٍ.

– نصح الكهنة والرهبان والراهبات بعدم المشاركة في التظاهرات المتعلّقة بالحدث.

– منع نشر أيّ شيءٍ له صلةٌ بالحدث، إلاّ بموافقة الرؤساء الكنسيّين.

ومع ذلك دأبت الراهبات الكرمليّات على توزيع خمسة آلاف نسخةٍ من جميع الرسائل التي تتلقّاها السيّدة «أَمپارو» تباعًا، مترجمةً إلى معظم اللغات الرئيسة، ومرسلةً إلى شتّى بلدان العالم، حتّى روسيّا. وقد حرصت أولئك الراهبات اللواتي شهدنَ الانخطافات ونزف الدم من سمات الصلب، وتولّين نشر الرسائل، على إيضاح أنّ هذه النشرات لم تنلْ، بعدُ، موافقة الكنيسة الرسميّة، وأنّها ليست موضع إيمانٍ ملزمٍ، ولكنّها شهادةٌ على واقع.

واكتفت الكنيسة بغضّ النظر.

الكهنة الذين قاوموا، والذين ألّفوا جلّ أعضاء لجنة التحقيق، كان يغيظهم ما جاء في الرسائل السماويّة من استنكارٍ ولومٍ لمسلك الكثيرين من المكرَّسين، من حيث الانضباط العقائديّ، واللباس، والترف، وتراخي الأخلاق.

وكان الربّ قد أعلن في ظهور ١٩٨٤/٥/١٥:

«لا تخافي، يا ابنتي، فإذا كان اللّه معك، ماذا تخشين؟ كونوا ثابتين، يا أبنائي، ولا تحجموا عن ارتياد

هذا المكان، فهو مقدّسٌ، لأنّ قدَمَي أمّي وطئتاه».
وسألت «أَمپارو»: «ولكن إن منعونا، ما عليّ أن أفعل؟»
فأجاب: «أنتِ اخضعي. ولكن على المؤمنين، راسخي الإيمان، أن يثبتوا ويثابروا على أَمِّ هذا المكان. ولا تفتّ من عضدهم حِيَل العدوّ. وحينئذٍ سيتّضح أنّ هذا المكان مقدّسٌ».

وقالت العذراء في ١٠ و١٤ حزيران:

«عندما سيسعى العدوّ إلى تدمير هذا العمل، استمرّوا أنتم في المجيء من أجل تلاوة الورديّة».

بيد أنّ رئيس الأساقفة أعلم «أَمپارو» أنّه سيوعز إلى الكهنة والراهبات بالإقلاع عن الشخوص إلى مكان الظهورات في «پرادو نويڤو»، بثيابهم الكهنوتيّة، ونصحها ألاّ تشخص، هي نفسها، إليه، أثناء الحشود، على أن تتابع، مع بعض الأشخاص، تلاوة الورديّة، يوميًّا. وادّعى رئيس الأساقفة أنّ طلبه هذا نابعٌ من رغبته في التأكّد هل سيستمرّ الشعب في زيارة «پرادو نويڤو» في غياب «أَمپارو».

ولكنّ أسقف رعيّةٍ أُخرى أمعن في مقاومته، فأصدر أمرًا جازمًا بمنع أفراد رعيّته من المثول إلى «پرادو نويڤو»، ومن تلاوة الورديّة فيه. غير أنّ منعه قوبل بالرفض واللامبالاة.

امتثلت «أَمپارو» لرغبة رئيس الأساقفة، فامتنعت عن المثول إلى «پرادو نويڤو»، في أثناء الاحتشاد الشديد. ولكن في صباحِ السبت الأوّل من شهر حزيران **١٩٨٥**، أيقظها ملاكٌ قائلاً: «انطلقي فورًا إلى «پرادو نويڤو»، فهرعت إليه برفقة ثلّةٍ من ذويها، واستمرّ الأمر، على هذا المنوال، في السبت الأوّل من كلّ شهر.

وكان الاعتراض الشعبيّ على موقف رئيس الأساقفة عارمًا، ولا سيّما من قِبَل الذين نعموا بأشفيةٍ عجيبةٍ، وبنعمٍ سنيّةٍ، أثبتوها بوقائعها، وظروفها الراهنة، وأماكنها وتواريخها الدقيقة.

وكان من ثمار الإقبال الشعبيّ، أن شاهد آلافٌ من المصلّين في «پرادو نويڤو»، علاماتٍ غريبةً في الشمس، ولم تتأذَّ عيونهم. وشمّوا روائح طيّبةً، أريج وردٍ، ونرجسٍ، وبخورٍ.

وكثيرون اعترفوا بما تحقّق فيهم من تحوّلٍ روحيٍّ، وتقرّبٍ من اللّه، والامتلاء حبًّا له وللعذراء. وكثيرون نعموا بنصائح السيّدة «أَمپارو» التي أسهمت في تقدّمهم الروحيّ، وعديدون منهم كانوا شهودًا على سمات الصلب، وعلى نزف الدم منها، وعلى انخطافاتها، وعلى أشفيةٍ عجيبةٍ جرت أمامهم.

وجديرٌ بالتنويه أنّ أولئك الشهود ينتمون إلى طبقاتٍ اجتماعيّةٍ ونزعاتٍ فكريّةٍ متباينةٍ.

مسيرة الظاهرة وثمارها

بعد لأيٍ، اقتنع الكردينال، رئيس الأساقفة، بصحّة الظاهرة، وبعظمة شأنها، من جرّاء ما شهده من ثمارٍ يانعةٍ. فبين عامي ١٩٨٥ و١٩٩٠، ما انفكّت العذراء تدعو إلى ترجمةٍ عمليّةٍ لدعواتها، فتأسّست، حول «أَمپارو»، جمعيّاتُ أُسَرٍ، وبيوتُ محبّةٍ ورحمةٍ، ونَمت جماعات «رُسُل الأزمنة الأخيرة»، التي كان قد دعا إليها القدّيس «غرينيون دي مونفور»، وشجّعت سيّدة «لاساليتّ» تأسيسها.

وانتهى الأمر بأن أصدر الكردينال، رئيس أساقفة مدريد، قراراتٍ تسمح بتأسيس جماعاتٍ مستوحاةٍ من رسائل سيّدة الإسكوريال، وأهمّها «رابطة المكفّرين، تكريمًا للسيّدة عذراء الآلام». وقد انبثق عن هذه الرابطة مؤسّساتٌ عديدةٌ منها:

– جمعيّة الأُسَر، التي تأسّست عام ١٩٩٠، وقد ضمّت

ثلّةً من المتزوّجين مع أبنائهم، الذين اعتزموا العيش على غرار المسيحيّين الأوائل، فباعوا كلّ ممتلكاتهم، وجعلوا ناتج مبيعاتهم مشتركًا بينهم، وابتاعوا بناءً دعوه «المجدليّة»، حيث جعلوا محور حياتهم وجوهرها حبّ الله وحبّ القريب. وبعدئذٍ، طلبت منهم العذراء، فضلاً عن التضحية بمقتنياتهم، التضحية برفاههم وراحتهم الشخصيّة، فتخلّوا عن غُرَفهم المريحة لمسنّين معوزين مهجورين، كي يعيشوا عيشة تقشّفٍ، عيشة التطويبات، في أماكن الخدمة الملحقة بالغُرَف التي تخلّوا عنها، محقّقين على أرض الواقع، قول يسوع: «الأوّلون يصبحون الأخيرين»، ومقتفين خطى مستخدِمي «أَمپارو» الذين، بعد أن أصغوا إلى رسائل العذراء، وتأثّروا بحضورها في منزلهم، ارتضوا أن يضعوا أنفسهم في خدمة مستخدَمتهم. وقد قرن أعضاء هذه الجمعيّة العمل الاجتماعيّ السخيّ، بالنشاط الروحيّ الدؤوب، المتمثّل، خاصّةً، في تلاوة الورديّة، والتأمّل في أسرارها، وبالعمل الرسوليّ.

– جمعيّة العلمانيّات المكفّرات، خادمات الفقراء،

ومهمّتهنّ، فضلاً عن أعمال المحبّة، عيش رسائل يسوع والعذراء في العمق.

– مؤسّسة العذراء سيّدة الآلام، المستقلّة، وهي تضمّ نحو خمسين فتاةً كرّسن ذواتهنّ لخدمة المسنّين. ويحدو المنتسبات إلى هذه المؤسّسة تطلّعٌ إلى الحياة الرهبانيّة.

– مؤسّسة العذراء سيّدة الآلام الخيريّة، وهي بيت محبّةٍ ورحمةٍ، للعناية بالمرضى والمعوزين.

– جمعيّة الدعوات التي تحضن الراغبين في التخشّع والتأمّل، تمهيدًا لانتهاج دربٍ يلبّي دعوة كلٍّ منهم الخاصّة: تأسيس أسرةٍ، أو الانضمام إلى جمعيّة الأُسَر، أو الانضواء إلى إكليريكيّةٍ تمهيدًا لاعتناق الكهنوت.

– المؤسّسة الدوليّة لأصدقاء «پرادو نويڤو» في الإسكوريال، استجابةً لدعوة الربّ إلى «الاتّحاد»، وغايتها:

* الدفاع عن ظاهرة الإسكوريال، ونشر قيَمها الروحيّة والاجتماعيّة.

* عقد محاضراتٍ وحواراتٍ، والقيام بشتّى النشاطات الإعلاميّة، والثقافيّة، والاجتماعيّة، والدينيّة.

* التعاون والتشاور والحوار مع الكنيسة ومع الإدارات العامّة.

* الدفاع عن صورة الظاهرة، والناشطين في سبيلها، والحجّاج والمؤمنين، وفي وسائل الإعلام، ولدى الرأي العامّ.

ولكن قبل أن تنتهي الظاهرة إلى هذا المآل، كان عليها أن تواجه ألوانًا من المقاومة والاضطهاد. فرئيس الأساقفة، متأثّرًا بموقف أحد كهنته، تلكّأ في التعاطف مع الظاهرة. غير أنّ الكاهن المشار إليه، وهو على عتبات الموت، اعترف بخطئه. وكذلك فعل رئيس الأساقفة، عندما دنا من سنّ التقاعد، فزار «أَمپارو»، واحتفل بالذبيحة الإلهيّة، في مصلًّى تابعٍ لمؤسّسات الظاهرة.

ورغم موقف رئيس الأساقفة الذي بدأ سلبيًّا، ثمّ ترجرج، استمرّت الجموع في التقاطر إلى «پرادو نويڤو»، وتكثّف تدفّقها في أيّام السبت الأوّل من كلّ شهر، متحدّيًا كلّ

محاولات التخويف والردع. فقد جرت محاولة تلويث مياه النبع العجائبيّ، التي جرت، بواسطتها، طائفةٌ من الأشفية العجيبة، وذلك بتسريب مياه الصرف الصحّي القذرة إليها.

وابتاعت البلدّية مكان الظهورات، بحججٍ واهيةٍ زائفةٍ، وسارعت إلى إحاطتها بشريطٍ حديديٍّ شائكٍ، في الثاني من شباط ١٩٩٤، ثمّ أغلقت مداخله بجدارٍ أُطلق عليه اسم «جدار العار»، تشبيهًا له بجدار برلين. فلم يبقَ للمصلّين سوى الطريق العامّ، حيث كانوا يُفَرَّقون باستمرارٍ، من أجل إفساح المكان لعبور السيّارت، فضلاً عن إخضاعهم للتفتيش والتحقّق من هويّاتهم، ولطيران الهيلوكوبتر المتواتر فوق رؤوسهم، وفضلاً عن تعرّضهم للشتيمة والضرب. ومع كلّ ذلك، ما انفكّت الجموع تتراصّ في أرجاء «پرادو نويڤو» وجواره، متحدّيةً السلطات البلديّة وتدابيرها الغاشمة. وتمكّنت الجماهير من جمع مئة ألف توقيعٍ على شكاوى من تعسّف تلك السلطات، مطالبةً بإعادة فتح المكان للصلاة، عوضًا عن تحويله إلى ملاهٍ وحاناتٍ، مكتفين باقتطاع اثني

عشر هكتارًا لهذه الغاية، من أصل مجمل المساحة البالغة ستّ مئة هكتارٍ.

وقد أفلح أصدقاء الظاهرة والمدافعون عنها، في إثبات استغلال رئيس البلديّة لنفوذه، وتصرّفاته الكيديّة، واستصدروا أحكامًا عليه بالغرامة والسجن. وفي عام **١٩٩٥**، نشرت الصحافة فضائح أخلاقيّةً تصمه، فأُكره على الاستقالة، ومُنع من الترشّح لأيّ منصبٍ في المستقبل.

وكان يسوع وأمّه قد أهابا بالمؤمنين أن يكافحوا، ويذودوا عن حياض مكان الظهورات المقدّس، ولطالما ردّدت العذراء رغبتها في هذا الشأن:

«**يا أبنائي، لا تسمحوا باستغلال هذا المكان. ها قد آن وقت العمل... هبّوا، كافحوا كي يتحقّق مطلبي. أريد أعمال محبّةٍ ورحمةٍ، هنا، وإشادة مصلًّى تكريمًا لي، حيث يقدم الناس من كلّ أرجاء العالم، كي يصلّوا وينالوا النعم. تشجّعوا، يا أولادي، ولا تسمحوا أن يزول اسمي من هذا المكان**».

استمرّ يسوع والعذراء في تبليغ رسائل، بواسطة السيّدة «أَمپارو»، في السبت الأوّل من كلّ شهرٍ، واستمرّ تقاطر الجموع إلى «پرادو نويڤو»، من كلّ أنحاء إسبانيا ومن العالم. أيّةً كانت حالة الطقس، ومهما بلغت مقاومة السلطات من عنتٍ وعنفٍ، ظلّوا يتوافدون ويحتشدون. وكلّما اشتدّت المقاومة عنفًا، ازداد إقبالهم تدفّقًا، وغالبًا ما تخطّى عدد المحتشدين عشرين ألفًا. وفي معظم الأحيان، تكون شجرة الدردار التي ظهرت عليها العذراء مرارًا، مزدانةً بالشموع والزهور. وقد بلغ الحقد بأعداء الظاهرة أن حاولوا حرق تلك الشجرة المباركة.

ومن أبشع أحداث الاضطهاد اغتيال أصغر أبناء «أَمپارو»، المدعوّ «جيزوس» (يسوع)، والبالغ السادسة والعشرين، في ظروفٍ غامضةٍ. ومن المرجّح أنّ قاتليه كانوا من أعداء الظاهرة، وقد سبق لهم أن أنفذوا إليه رسائل تهديدٍ مغفلةً. وعلى إثر اغتياله، ظهر الربّ وأمّه لوالدته المفجوعة معزّيَيْن، قائلين: «الآن تَخبَرين ما هو ألم أمٍّ عند أقدام صليب ابنها». وقد أُعطيت «أَمپارو» أن ترى مشهد اغتيال ابنها، ودخوله

الأوطان السماويّة. ولكنّها أُمرت بإغلاق فمها حتّى الممات، وبالصفح، تاركةً الإدانة للعدالة الإلهيّة.

ولكن، لم يحرمها اللّه العزاء في سائر أبنائها، الذين تزوّجوا وأعطوها أحفادًا، وقد أصبح ابنها غبرييل طبيبًا. أمّا بناتها اللواتي تزوّجن، فقد حرصنَ على التأهّب لسرّ الزواج، في فترة الخطبة، بالصلاة، والتأمّل، والطهر والعفّة.

وفي تلك الأثناء، ما انفكّت «أَمپارو» تعاني من علّةٍ في القلب، حالت دون متابعتها العمل في منزل مستخدِميها، فاقتصرت على العناية بمنزلها، مستعينةً بمساعدة زوجها.

وغالبًا ما ظلّت أيّام الجمعة موعد انخطافاتٍ، أو نزف سمات الصلب منها. في حين بقي يوم السبت الأوّل من كلّ شهرٍ، هو اليوم الذي تنتظره السيّدة «أَمپارو»، وأفراد أسرتها، وأصدقاؤهم، وحجّاجٌ يتوافدون من كلّ صوبٍ إلى «پرادو نويڤو»، حيث يتلون الورديّة جماعيًّا، ويتأمّلون أسرارها. وغالبًا ما ينتاب «أَمپارو»، في أثناء ذلك، انخطافٌ، وتتلقّى رسائل خلاصيّةً. ولكنّها، نزولاً عند رغبة رئيس الأساقفة،

استمرّت في الامتناع، مُكرَهةً، عن الشّخوص إلى ذلك المكان الأثير على قلبها، في ساعات الازدحام الجماهيريّ. وقد دأبت على حضور القدّاس، في كابيلاّتٍ صغيرةٍ، في تكتّمٍ تامٍّ، حيث يقلّ من يعرفونها أو يعيرونها اهتمامًا. ولكنّها، ذات يومٍ، فوجئت بتفجّر الدم من جبينها، أثناء مشاركتها في قدّاسٍ، وأمام الحاضرين.

وغدت تختلف إلى مقرّ الاتّحاد الدولي لأصدقاء «پرادو نويڤو»، حيث تتحدّث، ببساطةٍ ورقّةٍ إلى الزائرين، وفي بعض أيّام السبت، ترتجل أحاديث دينيّةً ملهمةً، ولكن، دائمًا، في منأًى عن الصحافة والإعلام والمصوّرين.

وأخيرًا هجرت مسكنها السابق، وأقامت على مقربةٍ من المؤسّسات التي نشأت بوحيٍ من الظاهرة، كي تدعمها، وراحت تجوب البلاد، في سبيل إنشاء مؤسّساتٍ جديدةٍ مماثلةٍ.

ظواهرُ خارقةٌ

إنّ عمليّة الفداء التي بادر إليها الربّ منذ ألفي عامٍ، ما زالت مستمرَّةً، وقد أُعطيت «أَمپارو» المشاركة بها، ولو بقسطٍ ضئيلٍ، باقتسامها آلام الربّ وأمّه، تكفيرًا عن خطايا البشر. ولا مراء أنّ هذه المشاركة قد مكّنتها من المضيّ قدُمًا على دروب الحياة الروحيّة.

وفضلاً عن ذلك، أُعطيت «أَمپارو» كراماتٍ خاصّةً، وهذه الكرامات هي نِعَمٌ خارقةٌ يهبها الله أشخاصًا لمنفعة الآخرين. وأبرز هذه الكرامات:

– **سمات الصلب**: التي أسهبنا في الإشارة إليها. ظهرت منذ بدء الظاهرة، واستمرّت، غالبًا، في أيّام الجمعة، وخلال أسبوع الآلام. كانت الجراح تُشرَع وتنزف في جبينها، ويديها، وقدميها، وجنبها، وأحيانًا في ركبتيها، وكانت، في بعض

الأوقات تنزف من فمها، وفقًا لمشاهد آلام الربّ التي كانت تطالعها. وكانت، أحيانًا، تذرف دموعًا من دمٍ. ولا مفرّ من الملاحظة، أنّ الدماء النازفة كانت تتوارى تلقائيًّا، بلا حاجةٍ إلى اغتسالٍ، ولا تترك أثرًا إلاّ على الأقمشة التي تلوّثها. وقد أوضحت «أَمپارو» أنّ ملاكًا كان يمسح الدماء عن جسمها.

وإلى جانب هذه السمات الظاهرة، تحدث لها سماتٌ خفيّةٌ، تسبّب ألامًا، ولكنّها لا تحدث جروحًا ولا نزف دماءٍ. وكان الربّ قد أنذرها: «ستُمنَيْنَ بجراحٍ لن تكون لها علاماتٌ ظاهرة». ثمّ قال، لاحقًا: «**قدّمي كلّ ذلك من أجل خلاص العالم، بالاتّحاد معي. سأهبك، كلّ يومٍ، ساعتَي نزاعٍ، قدّميهما عن نيّة الكهنة. فإنّي أتألّم، دائمًا، بسببهم. ولا تخافي من الألم، فالألم كنزٌ**».

وكلّما وُجد، بين الحضور، أشخاصٌ مرتابون في صدق ما يحدث، كان يتكوّن على جبين «أَمپارو» إكليلُ شوكٍ نازفٌ.

ولطالما ظهر وسط صدرها قلبٌ ناتئٌ، وقد اخترقه سهمٌ من اليمين إلى اليسار.

سمات الصلب هذه كانت تحدث، غالبًا، عندما تكون «أَمپارو»، في حالة انخطاف. ولدى استيقاظها من انخطافها كانت ترتعد قرًّا، وتعاني آلامًا مضنيةً، وكأنّ عظامها قد تهشّمت أو سُحقت، وتصطكّ أسنانها بعضها ببعضٍ، وتشكو من الاختناق والدوار، وكانت حينئذٍ تتلظّى عطشًا، ولكنّها لا تجسر على شرب الماء، لأنّه يحدث تشنّجاتٍ لمعدتها، فتكاد تتقيّأ. ولذلك كانت تكتفي بتبليل شفتيها بمنديلٍ أُشبع ماءً، أو برشفاتٍ خفيفةٍ من كأسٍ. تلك كانت تُعدّ مرحلة الانخطاف الثانية المتّسمة بالقشعريرة، والرعدة، وألم العضلات والمفاصل. وحينئذٍ يبدو فمها ملطّخًا بالدم، ولسانها جافًّا مسودًّا، وقدماها وساقاها منتفخةً.

وقد اعترف كثيرون ممّن شهدوا انخطافات «أَمپارو» ونزف سماتها، أنّ حياتهم كلّها انتهجت منحىً جديدًا، وأنّهم اقتربوا من اللّٰه. والذين كانوا يرونها، بعد وقتٍ قصيرٍ من انتهاء الانخطاف، عاكفةً على الخدمة، أو في السوق تبتاع احتياجاتها واحتياجات مستخدِميها، كانوا يؤمنون أنّ ما يجري لها يفوق الطبيعة، بلا ريبٍ.

وقد أدلى طبيبٌ كان شاهدًا على نزف سماتها، بالشهادة التالية:

«استدعِيتُ، على عجلٍ، إلى المنزل الذي كانت تعمل فيه... لدى وصولي، كانت الجراح قد بلغت مرحلة النزف، وقد خلّفت لطخًا على ملاءات السرير الذي استلقت عليه. كنّا ستّة شهودٍ من حولها. ومنذ دخولي المكان، طالعتني رائحة وردٍ نفّاذةٌ. كان الحاضرون يبكون ويصلّون، وقد تجلّت عليهم أمارات الذهول والتأثّر العميق. ومع أنّ هذه المشاعر داخلتني، إلاّ أنّني حرصت على أن أظلّ متيقّظًا، كي أراقب، بعنايةٍ، ما كان يحدث تحت أنظاري. وعكفتُ على دراسةٍ دقيقةٍ للجراح، وتحليلٍ لحالة «أَمپارو».

«وظهرت جراحٌ على يديها، ولكنّها كانت أكثف على يدها اليمنى من يدها اليسرى. يداها كانتا متصلّبتين، وذراعاها تشكّلان زاويةً من خمسٍ وأربعين درجةً. ولكن كان يمكن رؤية الدم يتفجّر، بوضوحٍ، من الجراح، وكذلك الأمر

من رجليها اللتين ركبت إحداهما فوق الأخرى. وكان الدم الذي نزف منها، قد لطّخ ملاءات السرير.

«وظهر أثر جرحٍ في جنبها، ولكن، حسب ما أذكر، كان أقلّ وضوحًا من سواه. وكانت «أمپارو» في حالة اضطرابٍ شديدٍ، تحرّك رأسها بعنفٍ، ويتّضح من حركاتٍ أُخرى، أنّها كانت تعاني آلامًا حادّةً.

«لبثَت على هذه الحال نحو ثلاثين دقيقةً. ثمّ، في لحظةٍ، اضمحلّت آثار الدم عن أبصارنا، وفي غضون دقائق معدوداتٍ، استعاد جلدها نظافةً تامّةً، ولم يخلّف ما حدث لها أيّة علامةٍ.

«وقد أخذتُ بمنديلي عيّنةً من الدم، أظهر تحليله أنّه دمٌ بشريٌّ.

«هذا تقريرٌ موضوعيٌّ لما راقبتُه. ولا بدّ لي من الاعتراف بحيرتي وعجزي عن تفسير هذا الحدث. فهو ليس طبيعيًّا، ولستُ أملك أيّ تفسيرٍ طبّيٍّ له. وأنزع إلى وصفه بأنّه فائق الطبيعة».

ومن الظواهر الخارقة والكرامات الأُخرى التي تميّزت بها «أَمپارو»:

- **شذا الورد**: الذي كان يفوح منها، خاصّةً في أثناء انخطافاتها ونزف سماتها، ويعطّر، أحيانًا، حتّى الأشياء التي تلامسها، كالمسابح والصلبان التي يُطلب منها مباركتها. وقد يدوم فوح هذا الأريج ساعاتٍ، وينتشر إلى مسافاتٍ بعيدةٍ. وغالبًا ما انتشرت منه أمواجٌ من حول «أَمپارو»، وهي تصلّي.

وقد شهد أشخاصٌ أنّ شذا الورد فاحٍ من أيديهم إثر مصافحتهم السيّدة «أَمپارو»، وبقي عالقًا بها، بعد غسيل أيديهم. وشهد آخرون أنّهم تنشّقوا هذا الشذا من نُسَخ رسائل العذراء، التي بُلّغت إلى «أَمپارو»، وتمّ توزيعها.

ومن الظواهر والكرامات الأُخرى:

- **انتزاع الأشواك من قلب مريم المتألّم**، الذي شرعت «أَمپارو» تقوم به، اعتبارًا من **١٩٨٢/٧/٣٠**

- **نهلها من كأس الآلام**، التي كان يقدّمها لها يسوع أو أمّه، اعتبارًا من **١٩٨٢/٨/١٩**.

– **التكلّم بلغةٍ مجهولةٍ، أو «اللغة السماويّة»**، اعتبارًا من ١٩٨٢/٣/٢٥.

– **تسجيل أسماء أشخاصٍ أعزّاء، في كتاب الحياة**. كان يحدث ذلك في نهاية بعض الظهورات، إذ كان يُقدّم لها كتاب الحياة، كي تدوّن فيه أسماء من تتمنّى خلاصهم. وقد دوّنت، تباعًا، بضع عشراتٍ من الأسماء. وكانت تُشاهَد، حينئذٍ، تكتب من اليمين إلى اليسار. وقد فسّر يسوع ذلك عام ١٩٨٤: «هكذا كنت أكتب».

– **قراءة مكنونات الضمائر**: تلك النعمة أتاحت للسيّدة «أَمپارو» أن تتحدّث إلى أشخاصٍ لم تكن تعرفهم، مذكّرةً بأحداثٍ من ماضيهم، كاشفةً حاضرهم، مسديةً نصائح تساعدهم على مواصلة مسيرتهم أو إصلاح المعوجّ فيها، أو داعيةً إيّاهم إلى النهوض بمهمّاتٍ خاصّةٍ. كلّ ذلك كان يتمّ في كتمانٍ، ودرايةٍ، ورقّةٍ.

وقد حرصت «أمپارو» في هذا المضمار، على التأكيد بأنّها لا تتميّز بأيّة موهبةٍ خاصّةٍ، وأنّ كلّ ما يحدث هو فعل

السماء الذي يتخطّاها. وقد دأبت، دائمًا، على الامتناع عن الإجابة على أيّ سؤالٍ يتعلّق بماضي السائل أو بمستقبله، مؤكّدةً جهلها لذلك. ذاك كان موقفها، أيضًا، من كلّ الكرامات الأخرى التي مُيّزت بها، والتي كانت تعزوها إلى قوىً عليا، ولا يد لها فيها.

- رؤيتها لمراحل عديدةٍ من حياة يسوع وأمّه على الأرض:

فهي رأت، مثلاً، إليصابات تبلّغ العذراء النفساء أنباء العالم، وتزوّدها بمالٍ وثيابٍ لها وليوسف. ورأت زيارة المجوس ليسوع الوليد، وقد جاؤوا بأغطيةٍ صوفيّةٍ، وثيابٍ ودمًى للطفل، وقدّموا حلًى ثمينةً للأمّ، فاعتذرت عن قبولها لأنّها لم تألف التحلّي بمثلها... ورأت يسوع يكلّم أمّه معبّرًا عن شكره لولادتها له، وعن حبّه لها.

وأُعطيت «أَمپارو» أن تشهد انتقال العذراء إلى السماء. فعندما أُبلغت باقتراب موعد مغادرتها الأرض، كلّفت ملائكتها بتبليغ الرسل، وبجلبهم إليها، وبجمعهم من حولها.

وطلبت من كلٍّ منهم أن يباركها. وقد رأوا في صدرها نورًا، وكأنّه مخبأ القربان المضاء، الذي حملته على امتداد حياتها. وقد أخبر يسوع أن جسد أمّه، مع أنّه لم يمتْ بل كان في حالة مجرّد سُباتٍ، سيمكث في القبر ثلاثة أيّامٍ، ثمّ سيُحمل إلى الفردوس.

وقد فسّرت لها العذراء بعض الأسرار اللاهوتيّة. فعن سرّ بتوليّتها الدائمة قالت في ١٩٨٢/١٢/٨: «**دافعوا، يا أبنائي، عن عقيدة بتوليّتي. فعندما تجسّد سرّ الله الآب في أحشائي كنتُ بتولاً، وظللتُ بتولاً. لقد دخل شعاع شمسٍ إلى أحشائي، وفيه تكوّن ابني. وكان ذلك سرّ جلالته السماويّة. إنّ بتوليّتي هبةٌ خاصةٌ حباني بها الله خالقي. وحدهم الملائكة يحيطون بسرّ التجسّد، وبسرّ بتوليّتي، وتواضعي على الأرض، ومحبّتي للبشر**».

– **ظهورُ «أَمپارو» في أماكن مختلفةٍ في آنٍ واحدٍ**: هذه الظاهرة حدثت لقدّيسين ومختارين عديدين، قدماء وحديثين، ولصوفيّين كُثُر. نذكر من قدماء القدّيسين

أمبروسيُس، وبينديكتُس، وبيرنار، وتيريزا الأڤيلاّويّة، ومن الحديثين: دون بوسكو، وپادري پيّو، ومارت روبان، و«ماريّا إسپرانزا بيانكيني» رائية «فينكا بيتانيا» في ڤينزويلاّ، و«غلاديس دي موتّا» رائية «سان نيكولاس» في الأرجنتين.

على سبيل المثال، وُجدت «أَمپارو» في منزل مستخدِميها، وأعدّت لهم العشاء، وتعشّت معهم، وفاح عطرها المميّز، وفي الآن عينه، كانت في منزلها، مع ذويها، ولكأنّ ملاكًا كان يتزيّا بزيّها في إحدى الحالتين. وكانت «أَمپارو» حينئذٍ، تبدو مشرقةً، تضجّ فرحًا، ولكنّها تتجنّب كلّ اتّصالٍ جسديٍّ، كالتحيّة، والقبلات...

وشهدت مستخدِمتها خوليا أنّها كانت في منزلها، ومع ذويها في بيتها الخاصّ، في آنٍ واحدٍ.

وإلى جانب هذه الظواهر الخاصّة، ثمّة إشاراتٌ موجّهةٌ إلى جميع الآخرين، مثل بركاتٍ جماعيّةٍ من أجل «ارتداد الخطأة البائسين»، و«شفاء المرضى المساكين»، و«المحتضرين

المساكين»، وعلاماتٍ غريبةٍ في السماء، وانسكاب الزيت من صُورٍ لسيّدة الآلام.

وهناك شهاداتٌ لا تُحصى أدلى بها أشخاصٌ من مشارب وتوجّهاتٍ متباينةٍ، اعترفوا، من خلالها، برؤًى ليسوع وأمّه.

تنبّؤاتٌ

كثيرًا ما حذّرت «أَمپارو» من أُمورٍ، قبل حدوثها، فبلّغتها للمعنيّين بها، وتحقّقت فعلاً، كما أوردتها.

أهمّ هذه التنبّؤات نصيحةٌ طلبت العذراء، في ١٩٨١/٥/٧، تبليغها للبابا يوحنّا بولس الثاني، بإصلاح أخطاء رؤساء كنسيّين رفيعي المستوى، يُحزنون، بسلوكهم المشين، قلب أمّ اللّه، وقلب ابنها، مضيفةً: «في هذا الشهر ستحدث اغتيالاتٌ عديدةٌ، يتعرّض أحدها للبابا نفسه، ولكنّه لن يقضي عليه».

ولطالما تنبّأت بأحداثٍ ستجري لها ولمستخدمِيها، ولآخرين، وقد تحقّقت فعلاً.

أشفيةٌ عجيبةٌ

تجمّعت مئات الشهادات الموقّعة ممّن نعموا بشفاءٍ من شتّى ألوان الأمراض والعلل. واللافت أنّ كثيرين ممّن كانوا يلتمسون من «أَمپارو» أن تصلّي من أجل شفائهم، كانوا ينالون الشفاء، ولكن كانت عللهم تنتقل إلى «أَمپارو» نفسها، ولكأنّها كانت تفتديهم بذاتها. وهذا ما حدث، على سبيل المثال، مع مستخدِمتها «خوليا سوتيّو»، التي كانت تشكو من ورمٍ في رجلها يعيق حركتها، ومن ثؤلُلٍ في جفنها الأيمن، وطلبت مساعدة «أَمپارو»، وفوجئت، في اليوم التالي، بزوال ورم رجلها، وبانتقال الثؤلُل إلى جفن «أَمپارو»، حيث استقرّ طويلاً.

الشفاء الأوّل نعمت به «أَمپارو» نفسها، إثر عودتها من حجٍّ إلى لورد، بين ١٩ و١٩٨٣/٦/٢٢. كانت عاجزةً عن

السير، ولا تستغني عن قوارير الأوكسيجين كي تتنفّس. وحتّى أثناء وجودها في لورد، انتهت إلى أسوأ حالٍ، ولكنّها، عقب عودتها، شفيت شفاءً تامًّا مدهشًا.

وعندما كانت تعاني علّةً في قلبها، أوعز إليها طبيبها بالتزام الراحة، وبتناول نصْف حبّة دواءٍ معيّنٍ، كلّ يومٍ. وإذ كانت منشغلةً، ذات يومٍ، بالعناية بطفلةٍ لها موجوعةٍ، سكب أحد أبنائها الآخرين كلّ محتوى علبة الحبوب في فنجان قهوتها. ولدى تبيّنها ذلك، هرعت إلى الطبيب، وكانت قد مضت ساعةٌ على تناولها ملء علبة الحبوب. وارتأى الطبيب أنّ دمها، في هذه الأثناء، وبعد مضيّ كلّ تلك المدّة، يكون قد استوعب الموادّ الدوائيّة، وأنّها تواجه خطرًا محقّقًا، فاكتفى بتقطير مصلٍ في عروقها، مع أملٍ ضئيلٍ جدًّا بإنقاذها، واستقرّ في يقين الجميع أن ساعة نحبها أَزفت. ولكنّها تعافت على نحوٍ غير مفهومٍ. وقد أفادت، لاحقًا، أنّها، وهي في هوّة انهيارها، عاينت ألقًا غريبًا لم تُعِرْه اهتمامًا.

تحوّلاتٌ روحيّةٌ

تؤكّد «أَمپارو» نفسها أنّ «المعجزة الكبرى»، والأكثر مدعاةً للإعجاب من الظواهر الفلكيّة العجيبة، ومن الأشفية، ومن فوح الروائح العذبة، تكمن في التحوّلات الروحيّة العميقة الغور التي خَبَرها كثيرون بتأثيرٍ من ظاهرة الإسكوريال.

وكانت «أَمپارو» طليعة المرتدّين. فهي، قبل الظاهرة، كانت تكتفي بتكريمٍ قلبيٍّ لوالدة الله، وبمحبّة القريب، بمنأًى عن ممارسة الأسرار. ورغم حياتها المحفوفة بالحرمان والتضحيات، كانت تعُدّ نفسها من كبار الخطأة، ولا سيّما بسبب إهمالها لواجباتها تجاه الله. وقد أفضى ارتدادها وما حدث لها، إلى تحوّل مستخدِميها، وكثيرين ممّن عرفوها، نحو ممارسةٍ صحيحةٍ لواجبات دينهم.

وبالإجمال، اتّسمت ظاهرة الإسكوريال بوابلٍ من النعم

والشهادات التي وصفتها العذراء بشموعٍ مضاءةٍ لإرشاد الآخرين، وبإشاراتٍ إلى تنازل السماء نحو الأرض، كي ترفعِ البشر إليها، بحيث تصبح السماء أدنى قربًا، وأوثق صلةً، والجوّ أكثر شفافيّةً، والله أوفر حميميّة. وقد أوضحت العذراء: «**كثيرون يقدمون إلى هنا، مجرّدين من الإيمان. ولكنّ الحبّ الذي أفيضه عليهم يذيب قلوبهم ويشرعها**».

بين الدم والأنوار، ومن خلال مداعباتٍ رقيقةٍ، جاءت السماء إلى الإسكوريال، منذرةً بزمن مِحَنٍ للكنيسة وللجميع. مشدّدةً على ضرورة التوبة والارتداد، والتحوّل، ما دام في الوقت فسحةٌ، مبلّغةً رسائل خلاصيّةً خطيرةً للعالم أجمع.

ومع أنّ ظهورات الإسكوريال تزامنت مع ظهوراتٍ أُخرى، جرت في عدّة أماكن من المعمورة، إلاّ أنّها لم تحظَ بمثل ما حظيت به الظهورات الأخرى من تغطيةٍ إعلاميّةٍ، مع أنّ الرسائل التي بُلّغت فيها، لا تقلّ شأنًا عن رسائل الظهورات الأخرى.

رسائل الإسكوريال

منذ مطلع الظاهرة، عام ١٩٨١، كانت «أَمپارو» تتلقّى، يوميًّا تقريبًا، رسائل من العذراء ومن يسوع، وأحيانًا من الملاك ميخائيل، تهدّد بكوارث مريعةٍ ستنقضّ على البشريّة، محذّرةً من أنّ الكثيرين، مع ذلك، لن يؤمنوا، لأنّ قلوبهم قد تيبّست.

هذه الرسائل تبلّغ من خلال السيّدة «أَمپارو»، وهي في حالة انخطافٍ، وغالبًا في أثناء تلاوة المسبحة الورديّة، وخاصّةً عند تأمّل السرّ الرابع (تقدمة يسوع إلى الهيكل، وتطهّر العذراء). وحينئذٍ تكون «أَمپارو» غير واعيةٍ لما تقول، وآخر يتكلّم بلسانها (يسوع أو العذراء)، فتنطق بما يتخطّى مداركها، مستخدمةً عباراتٍ وألفاظًا لا مكان لها في قاموسها المألوف. وغالبًا ما تستفسر، لاحقًا، عن معنى ما تلفّظت به.

وقد لوحظ أنّ نبرتها لا تتغيّر، ولا تتميّز بمزيدٍ من المهابة أو الحدّة، في أثناء تبليغها الرسائل. ولكن عندما تعتريها الرعدة، يخفت صوتها، فيصعب سماعه. وقد تغيب بعض العبارات عن الأسماع، فيضطرّ مرافقوها إلى استخدام مكبّرات صوتٍ شديدة الحساسيّة، أو يُطلب منها إعادة الإدلاء بها، بعد أن يهدأ روعها. وتسجّل هذه الرسائل وتذاع على الجموع المحتشدة في «پرادو نويڤو»، في السبت الأوّل من كلّ شهرٍ. ثمّ تترجم إلى لغاتٍ عديدةٍ، وتنشر في العالم. وغالبًا ما يتعاقب يسوع وأمّه على تبليغ رسائل في وقتٍ واحدٍ.

تشترك، عمومًا، رسائل الإسكوريال مع رسائل الظهورات الأُخرى بالدعوة الملحاح إلى الصلاة، والتوبة، والعودة إلى دروب اللّه، والتسامي فوق المغريات الأرضيّة، وممارسة فضيلة المحبّة، والسخاء في البذل والتضحية. وكثيرًا ما شدّدت العذراء في دعوتها إلى الاقتراب المتواتر من مائدة الإفخارستيّا والتغذّي بها، والتمهيد إلى ذلك بالاعتراف والمشاركة في الذبيحة الإلهيّة. ولطالما أكّدت العذراء: «**ابني**

وحيدٌ وحزينٌ في مخبأ القربان»، ودعت إلى زيارته باطّرادٍ ولهفةٍ.

وشدّدت العذراء على جدوى تقديس يوم السبت الأوّل من كلّ شهرٍ، بحضور القدّاس وبالاعتراف والمناولة، واعدةً بإسباغ نِعَمها على من يقوم بذلك، وعلى مساندته، ساعة موته، وعلى إعفائه من آلام المطهر، والاكتفاء بإظهاره له، وهي تقوده إلى الفردوس.

وكثيرًا ما جدّدت العذراء دعوتها إلى تلاوة صلاتها الأثيرة، أي المسبحة الورديّة. وفي هذا السياق أعربت عن رغبتها في إدخال إضافةٍ على القسم الثاني من «السلام»، بحيث يقال: «يا قدّيسة مريم، يا أمّ الله وأمّنا»، ورغب يسوع أن تضاف العبارة التالية: «**يا ابنة الآب وزنبقة الطهارة، يا أمّ الكلمة المتجسّد وبنفسجة التواضع، يا عروس الروح القدس ووردة المحبّة**»...

وما أكثر ما تطرّقت رسائل الإسكوريال إلى تفاقم الشرور التي يشيعها إبليس في العالم، وحذّرت من سطوته، وتسلّله

إلى محراب الكنيسة، وإلى الشبيبة التي يجهد في دفعها على دروب الفسق، والملذّات المدمّرة، المؤدّية إلى هلاك نفوسهم! وقد نصحت العذراء بمقاومة عمل إبليس بتلاوة الورديّة، وبالتوبة، والتضحية، والمحبّة.

هذه الدعوة لا تني العذراء تطلقها، في كلّ أرجاء العالم، تمهيدًا لفجرٍ جديدٍ، فجر عهدٍ روحيٍّ مجيدٍ متألّقٍ، ألمح إليه يسوع وأمّه، في مناسباتٍ عديدةٍ.

وقد تميّزت رسائل «سيّدة الآلام» في الإسكوريال عن رسائل سائر الظهورات، بالدعوة الملحّة إلى التضحية والتكفير عن الخطايا التي تدمي قلب يسوع، وتحزن قلب أمّه.

وكما كانت قد فعلت العذراء في «لاساليتّ»، وجّهت دعوةً خاصّةً إلى الصلاة من أجل الكهنة والمسؤولين الروحيّين، والأشخاص المكرَّسين، الذين يخونون العهد ويتراخون في النهوض بالرسالة التي تطوّعوا لخدمتها. واستخدمت عباراتٍ عنيفةً، تقطر مرارةً، للتنديد بسلوك طائفةٍ واسعةٍ منهم، باتوا يؤثرون العالم على الله، ويسلكون

سلوكًا مشينًا، أو يخجلون من التبشير بالإنجيل بكلّ صرامته ومقتضياته، ويحجمون عن السلوك وفقًا لهذه المقتضيات، وينتهون إلى تشويه الإنجيل.

ولطالما وصف الربّ هؤلاء «**بالموظّفين المأجورين**» فكثيرون منهم «**يستخدمون الكنيسة ولا يخدمونها**». وهو يهيب بهم: «**دعوا وظائف العالم المادّيّة، من أجل كنيستي. أجل، يا أبنائي، ألا ترون أنّ إبليس يدمّر ما بنيته أنا؟ وكم سيكون حسابكم عسيرًا، يا أبنائي، أكثر من العلمانيّين، لأنّكم التزمتم بنذرٍ، وقطعتم عهدًا!**».

والعذراء، من جانبها، تشكو: «**وا أسفاه، يا أبنائي! سابقًا، كان كبيرًا عدد النفوس التي كان بوسع قلبي السكون إليها. ولكن الآن، حتّى في داخل الأديرة، ذبلت الزهور.**»... وأكّدت العذراء، المرّة تلو المرّة، حزنها بسبب إعراض المكرَّسين عن واجب الرعاية الروحيّة، وتخاذلهم حيال واجبات الصلاة، والانضباط، والالتزام، وروح الفقر، والوفاء المطلق لتعاليم الإنجيل والكنيسة، حتّى

باتوا يجرّون رعاياهم إلى الضلال والتهلكة، عوضًا عن إرشادهم وقيادتهم على دروب الخلاص.

ولطالما شدّدت العذراء على ضرورة الإكثار من الصلاة عن نيّة إسبانيا وروسيّا، والكهنة المكرَّسين لخدمة الربّ. وما أكثر ما أشادت بنائب ابنها، البابا القدّيس يوحنّا بولس الثاني، الذي كان يحتلّ، في قلبها وقلب ابنها يسوع، مكانةً أثيرةً.

وثمّة رسائل شخصيّةٌ موجّهةٌ إلى الرائية «أَمپارو»، داعيةً إيّاها إلى التواضع، والتألّم، تكفيرًا عن الخطأة، من أجل ارتدادهم، و«**من أجل النفوس المكرّسة**»، و«**من أجل خلاص البشريّة**»، و«**من أجل النفوس المتألّمة في المطهر**». وكثيرًا ما دعتها، في سبيل هذه الغاية، إلى تقبيل الأرض، بحضور الجماهير. وكثيرًا ما أسمعتها مثل هذا القول: «**التجئي إلى قلبَينا، يا ابنتي، وهما سيريحانك. اذكري أنّك لم تولدي من أجل التمتّع بالحياة، بل لكي تتألّمي، يا ابنتي. بعدئذٍ، ستتمتّعين بالأبديّة، إلى جانب الطوباويّين. اتّضعي، وقدّمي ذاتك ضحيّة تكفيرٍ عن**

الخطأة، يا ابنتي. قبّلي الأرض تكفيرًا عن الخطايا العديدة التي يقترفها العالم... اعتصمي بالصبر، وباركي أولئك الذين يفترون عليك، وتشفّعي بلاعنيك».

موجزٌ لفحوى رسائل الإسكوريال

لا بدّ من التنويه، بدءًا، بأنّ يسوع، بصفته إلهًا، ينعم بسعادةٍ لا يعكّرها معكّرٌ، ولكنّه، لكونه قد تأنّس لفداء البشر، يؤلمه جحودُ مَن بذل ذاته عنهم، وإهانتُهم له بخطاياهم. ومن ثمّ، فإنّ أعمال فدائه لم تنتهِ بصعوده إلى السماء، بل ما زالت مستمرّةً، وكذلك هي حال أمّه، التي مع أنّها تنعم بسعادةٍ فائقةٍ في السماء، إلاّ أنّها ما برحت تقاسمه أحزانه على خطايا العالم، وسعيه الدائب إلى افتداء البشر. وبالتالي فقد انطوت رسائل يسوع وأمّه في الإسكوريال، على:

– شكوى مريرةٍ ممّا انتهى إليه وضع البشريّة الروحيّ، وضعٌ يديم نزاع يسوع، ويغرس أشواكًا في قلب أمّه.

فقد ابتعد البشر عن الله، وحصروا اهتمامهم في المادّة،

وفي المتع الوبيلة المميتة. والشبيبة غارقةٌ في مستنقعات المخدّرات، والكحول والجنس.

– شكوى من خيانة الأشخاص المكرَّسين لعهودهم، ومن ضربهم المثل السيّئ، ومن جرّهم رعاياهم في تيّارهم المميت.

قلّةٌ هم الذين يتبعون سبيل الإنجيل الكفيل بإيصالهم إلى الخلاص. هؤلاء تُطلَب منهم التضحية، تكفيرًا عن خطايا إخوانهم، وتعزيةً لقلبَيْ يسوع وأمّه.

– رزايا جسيمةٍ تهدّد العالم، إذا ظلّ البشر سادرين في غيّهم. ولكن بوسع المؤمنين أن يطمئنّوا. العلاج هو ما طُلِب في لاساليتّ، ولورد، وفاطمة، وحديثًا في ميديوغورية، وفي العديد من الأماكن التي ظهرت فيها العذراء: صلاة القلب، والتضحية، والتوبة، والتجرّد، والزهد في متاع الدنيا، وأعمال المحبّة، والاعتراف، والتناول باطّراد، وتلاوة المسبحة الورديّة، وتكريس الذات لقلبَيْ يسوع ومريم.

وثمّة دعوةٌ إلى مؤازرة الحبر الأعظم، والثناء عليه، ودعوةٌ إلى الأمّهات للحفاظ على أجنّتهن، وإلى الآباء والأمّهات

للسهر على أولادهم، وتجنيبهم دروب الضياع.

ودعوةٌ ملحّةٌ إلى المحبّة، والتعاضد، ومساعدة البلدان الواقعة ضحيّة القوى المسيطرة، والرازحة تحت وقر العوز.

دعوةٌ إلى التواضع والتضحية، وإلى الفضائل الكفيلة بإيقاظ البشر من نشوة التقدّم التكنولوجيّ، وإيلاء الروح اهتمامًا أوفر جدّيّةً.

ومن المواضيع التي شدّدت عليها رسائل الإسكوريال، مسؤوليّة كلّ فردٍ في خلاصه، وفي المكافأة التي يستحقّها، أو العقابات الأَبديّة التي يودي بنفسه إليها، بإرادته ورغبته.

هذه الرسائل هي إنذارٌ واستنفارٌ من أجل التيقّظ والتأهّب للآخرة. وهي تتضمّن مشاهد من السماء، ومن جهنّم، ولوحاتٍ عن حياة يسوع وآلامه، وتعاليم المحبّة والرحمة والممارسات التقويّة، وتثقيف «رسل الأزمنة الأخيرة».

وفي ما يلي مختاراتٌ من تلك الرسائل.

مقتطفاتٌ من رسائل الإسكوريال

رسائل عام ١٩٨٠

رسالة يسوع في ١٩٨٠/١١/٢٢:

«مَن يخَفِ اللّه، يُكافَأ في السماء. مَن يزدرِ اللّه، ويجدّف، لا يدخل ملكوت السماوات... إنّ اللّه يغرس البذار في القلوب. ولكنّ معظم القلوب مليئةٌ بأشواكٍ تحول دون نموّ البذار. وإنّه لخيرٌ لهؤلاء ألاّ يكونوا وُلدوا، فأنا، الآن، أُفسح لهم فُرَص خلاصٍ كثيرةً. ولكن عندما تأزف اللحظة الرهيبة، سيتأوّهون، ولكنّي لن أُصغي. طوبى لمن يتوبون، فسبيل ملكوت السماوات مشرَعٌ أمامهم، إذ إنّ اللّه على كلّ شيءٍ قدير... لقد بذلتُ

حياتي لافتدائهم جميعًا، ولكي لا يكونوا على هذا القسط من الجحود. قولي لهم إنّ اللّٰه، بقدرته الكبرى، يستطيع إضرام الأرض، وإحراق كلّ الدنسين... قولي لهم إنّ اللّٰه سيطارد جميع مروّجي التعاليم الزائفة. وقولي لهم أن يلتزموا بالعقيدة المسيحيّة. وليتقيّد الكاهن أو الراهب بنذور الفقر، والعفّة، والطاعة. وإن لم يفعلوا، فسيؤدّون الحساب.

«أكثري من الصلاة، يا ابنتي، من أجل السلام في إسبانيا، وفي العالم أجمع. أمعني في التضحيات. وادعي الآخرين إلى حذو حذوك. واطلبي منهم ألاّ يهينوا قلب يسوع الإلهيّ، وأن يلتمسوا شفاعة أمّي فائقة الطهر، التي تطعن قلبَها الإهاناتُ الجمّةُ الموجّهةُ إلى ابنها.

فليتلوا، كلّ يومٍ، الورديّة المقدّسة، من أجل سلام العالم، وليقدّموا تضحياتٍ كثيرةً».

رسائل عام ١٩٨١

رسالة العذراء، في ١٩٨١/٥/١:

«يا ابنتي، لا تكفّي عن تلاوة الورديّة المقدّسة. قولي لهم إنّه، إن لم يصغوا إليّ ستتكاثر الوفيّات، وستضعف الكنيسة، وستعمّ البطالة، وألوان البؤس.

«يا ابنتي، للورديّة المقدّسة التي تتلى بورعٍ وتقوى، قدرةٌ كبرى. إنّما أطلب منكم أن تصلّوا: فبصلاتكم وتوبتكم، ستساعدوننا، ابني وأنا، على خلاص نفوسٍ كثيرةٍ ضالّةٍ...

«لقد ظهرتُ في أماكن عديدةٍ، ولكنّ القوم فارغون، ويأبون الإصغاء... أكثروا من الصلاة، ومن أعمال التكفير، لكي تخلصوا جميعكم. أُحبّكم جميعًا لأنّكم

أبنائي. ثابروا على الإفخارستيّا المقدّسة. من الأهمّيّة بمكانٍ التناول يوم الجمعة الأوّل من كلّ شهر، بكثير من الورع. أطلب من الكهنة أن يكونوا كاثوليكيّين جيّدين، وقدوةً صالحةً، وأن يهتدوا بإلهام الروح القدس لخدمة اللّٰه، وأن يحبّوا القريب، ويسهموا في خلاص النفوس.

«صلّي، وقولي لهم أن يقدّموا تضحياتٍ كثيرةً، فبقدر ما تقدّمون تضحياتٍ، تساعدوني على احتمال الألم، وعلى التشفّع بالخطأة الكُثُر المحتاجين إلى شفاعة».

وفي ١٠/٥/١٩٨١، أدلت العذراء بالرسالة التالية:

«يا ابنتي، قولي لجميع أبنائي أن يولوا اهتمامًا كبيرًا للرسالة التي أوجّهها إليهم، داعيةً إلى تلاوة الورديّة المقدّسة، وأنّ عليهم أن يزدادوا تقرّبًا من الإفخارستيّا، إذ إنّ كثيرين منهم لم يلبّوا مطلبي. قولي لهم أن يتناولوا، يوم الجمعة الأوّل من كلّ شهر، وليصلِّ كلُّ مَن يتناول في هذا اليوم من أجل الكنيسة، لكي يكون المسيحيّون أكثر اتّحادًا.»

وفي ١٩٨١/٦/١٤، بلّغت العذراء:

«**أنا عذراء الآلام. أريد أن تشاد، في هذا المكان، كنيسةٌ صغيرةٌ تكريمًا لاسمي، يؤتى إليها من كلّ أرجاء العالم، من أجل التأمّل في آلام ابني، التي غدت منسيّةً. إن تحقّق مطلبي، ستحدث أشفيةٌ...**».

وفي ١٩٨١/١١/١٣، قال يسوع:

««**أنا ملكٌ شهيدُ محبّتي**». **وأضاف**: «**فَليَسمُ البشر بأعمالهم، متشبّهين بي، فأنا، منذ لحظة حياتي الأولى، حتّى اللحظة الأخيرة، توخّيت التضحية، والفقر، والتواضع، وانعدام الراحة في كلّ شيءٍ. لذلك وُلدتُ، ليلةَ شتاءٍ، في القرّ والصقيع**».

في ١٩٨١/١١/٢٠، شكت العذراء، بمرارةٍ، من كهنةٍ خانوا العهود، فقالت:

«**إنّ بعض الكهنة، بسلوكهم السيّئ، وبأضاليلهم، ووقاحاتهم، وبالخواطر الباطلة التي تراودهم، وهم**

يحتفلون بالأسرار المقدّسة، وبشغفهم بالمال، والأمجاد، والملذّات، يفتقرون إلى الطهر الضروريّ... إنّ خطايا المكرَّسين تجأر نحو السماء، وتستدعي العقاب. إنّ فئةً من شعب اللّه، ومن قادته، أهملوا التوبة، وقد أعمى إبليس عقولهم... ستتعرّض الكنيسة لاضطهاداتٍ كبرى، وسيعمّ زمن الظلمات، وستجتاز الكنيسة أزمةً مريعةً».

وفي رسالة١١/١٢/١٩٨١، أوضح الربّ محور رسالة الإسكوريال بقوله:

«**لا بدّ من التألّم سبيلاً إلى خلاص النفوس**». وفي هذا السياق لقّن «أَمپارو» صلاةً جاء فيها: «**فليكن وقر الصليب على منكبَي ابنكَ السماويّ، دافعًا للنفوس على تفريغ ذنوبها في كرسيّ التوبة**»، ودعا إلى التواضع، شاكيًا من تسلّل الماسونيّة إلى عقر دار الكنيسة.

في ١٩/١٢/١٩٨١، أنذر الربّ بظلمةٍ تسود الأرض التي ستحاكي قفرًا. غير أنّه بشّر: «**في آخر المطاف، ستتألّق المحبّة**

في كلّ مكانٍ، وسيكون الملوك الجدُد الذراع اليمنى للكنيسة، وسيُبشّر بالإنجيل في كلّ مكانٍ... ولكنّ كنيستي ستكون قويّةً، متواضعةً، ورعةً، في خطى غيرة يسوع»...

وفي **٢٥/١٢/١٩٨١**، أرى الربّ «أَمپارو» الجلجلة وقال: «**يجب أن نتألّم كلانا معًا... إنّ آلامي مستمرّةٌ، بسبب خطايا الكثيرين**».

رسائل عام ١٩٨٢

في رسالةٍ بتاريخ ١٩٨٢/٨/١٢، قالت العذراء:

«... أكثري من التكفير عن نيّة النفوس المكرّسة، ففي أديرةٍ كثيرةٍ، تفاقم التراخي، وتضاءلت الصلاة والتضحية.

«إبليس هو العدوّ الذي يحوم حول كلّ ذلك، وقد تسلّل إلى داخل كنيسة المسيح المقدّسة، بحيث دأب أعضاؤها على تدميرها بأيديهم...

«وأنت لا تدَعي الذئاب المموّهة بثياب حملانٍ تغدر بك.

«ما الذي جرى لكنيستي؟ كنيسة ابني تنهار، شيئًا فشيئًا، بعد أن فقدت التواضع. إنّها تحتاج إلى الصلاة والتضحية، فاضطلعي بهما من أجلهم جميعًا، ومن أجل البشريّة التي دبّ فيها الفساد، ومن أجل جميع أبنائي.

«هؤلاء الرعاة الزائفون يصلبون ابني...

«وأنا، أيضًا، أتألّم. انظري حال قلبي، بسبب هذه النفوس المكرّسة. يا لهم من أنبياء كاذبين! إنّ المسيح الدجّال موجودٌ داخل كنيستي، بينهم، ولم يسفر، بعدُ، عن هويّته...

«لا بدّ من الصليب سبيلاً إلى السماء. فأقلّيه على كتفيك، يا ابنتي. إنّ قلبي يتوجّع، غير أنّه سيسود العالم أجمع، وسيكون، هو، خلاص البشريّة. إنّه يرتجف ألَمًا بسبب آلام يسوع ونزاعه. تأمّلوا، يا أبنائي، في آلام يسوع التي غدت منسيّةً. كم من نفوسٍ ستخلص إن هي تأمّلت في هذه الآلام! ولكن أيّ جحودٍ في دنيا البشر!

«مسكينٌ نائب ابني! سيتألّم كثيرًا بسبب فئةٍ من حاشيته. كم هم جاحدون، وناكرو جميل! إنّهم فرّيسيّون ومراؤون، ومدمّرو تعاليم ابني. ولا يدرون أيّ عقابٍ مريعٍ ينتظرهم.

«وأنتِ، يا ابنتي، كرّسي يوم الجمعة بكامله، للتأمّل في آلام الربّ التي نسوها.».

وبتاريخ ١٩٨٢/١١/٦، أرت العذراء «أَمپارو» قلبها مزروعًا أشواكًا، نازفًا دمًا، وقالت:

«يا ابنتي، شاهدي ألم قلبي الطاهر، بسبب جميع الخطأة. ساعديني، يا ابنتي، على تحقيق خلاص النفوس. أنت، أيضًا، أمٌّ. فتخيّلي ما قد تكابدينه من ألمٍ، إن هوى أحد أبنائك إلى أعماق هوّةٍ. وفكّري بي، وأنا أشهد، كلّ يومٍ، طغماتٍ من أبنائي يهوون إلى الجحيم.

اُنظري قلبي، وقدّري ألمي، بسبب جميع أبنائي، من كلّ جنسٍ. إنّ آلامي مستمرّةٌ، يا ابنتي، وأدركي أنّي لم أتألّم فقط أمام الصليب، بل ما زلت أتألّم، يومًا إثر يومٍ، بسبب البشريّة كلّها...

«لا تسمحوا للعدوّ أن يستحوذ عليكم، يا أبنائي، بل استنجدوا بي... وأنا سأكون، دائمًا، إلى جانبكِ، يا

ابنتي. فكما سبق أن قلت لك، هل من أمٍّ صالحةٍ، تستطيع التخلّي عن أبنائها؟».

وفي رسالةٍ ١٩٨٢/١٢/٤، قالت أمّ اللّه:

«أيّة مرارةٍ تتكبّدها قلوبنا، بسبب الجنس البشريّ قاطبةً، وبسبب هذه النفوس المدعوّة رعاة كنيستي، وما هم إلاّ ذئابٌ مموّهون بجلود خرافٍ. صلّوا من أجلهم، يا أبنائي، فهم يُنزلون بي غمًّا شديدًا.

«يا ابنتي، أنا أمّ جميع سكّان الأرض. آتيكم مفعمةً ألمًا، وفي الآن عينه، مفعمةً رحمةً وحبًّا لجميع أبنائي. إنّي أسكب نعمًا على البشريّة كلّها، ولكنّ البشريّة تردّ عليّ بكلّ ألوان الخطايا، والجرائم، والسخرية...

«... جهنّم موجودةٌ، والسماء، أيضًا، موجودةٌ، وكلٌّ ينال حسب أفعاله. كم من أبنائي قدموا جريحي النفوس، وعادوا متعافين، بفضل نعمتي!...

«... **ماذا فعل بعض رعاة كنيستي ببعض كنائسي، حتى باتت بيوت لصوصيّةٍ وخطيئةٍ؟!**

«**إنّني أحبّكم جميعًا، ولكنّني أُريد أن تجعلوا أنفسكم صغارًا، صغارًا، لكي تقيكم أمّكم من فخاخ العدوّ**».

رسائل عام ١٩٨٢، اتّسمت بالتشديد على واجب الصلاة والتوبة، وعلى واقع استمرار آلام الربّ، بسبب خطايا العالم. ومن أقوال الربّ في هذا السياق: «**الصليب يُثقل كاهلي... لذلك جئت كي تساعدوني. أودّ أن تقتسم الصليب جميع النفوس التي اخترتها... سبيلي هو سبيل الألم... أعطيتُهم الصليب، وهم ازدروه... ومع أنّهم مختارون، فهم يؤثرون متعة ملذّات الحياة، ويهلكون. هذه الخيانة تفعم قلب الربّ مرارةً**».

وشدّدت العذراء على ضرورة العودة إلى المسبحة الورديّة، وعلى الوفاء لها وتعميمها.

في ١٩٨٢/٣/٥، وعدت العذراء: «**أعد جميع الذين**

يتلون المسبحة، يوميًّا، ويتناولون يوم السبت الأوّل من كلّ شهرٍ، بمساعدتهم في ساعة موتهم».

وفي ١٩٨٢/٣/٢٦، قالت: «**سيسرّنا أن تبذل النفوس المكرّسة مزيدًا من الجهود، وأن تكون أوفر وفاءً في أوقات المِحَن، وأكثر مثابرةً على الصلاة، وأكثر فقرًا وتضحيةً**».

رسائل عام ١٩٨٣

في رسالة ١٩٨٣/١/٢٠، قالت العذراء:

«قليلةٌ هي الأديرة الملتزمة بقوانينها الخاصّة. بعض الأديرة تهين اللّه، وتعيش حالة تراخٍ. بعضها لم تعُدْ بيوت صلاةٍ، بل أمست بيوت متعةٍ. ما الّذي فعلوه بقوانينهم؟».

رسائل عام ١٩٨٣ تضمّنت دعوةً إلى الصلاة من أجل البابا، وشكوى من تقاعس فئةٍ من المكرَّسين، وتخاذلهم، وإهمالهم الصلاة والتضحية، وإيثارهم المتاع الدنيويّ، والمُتع الأرضيّة.

في ١٩٨٣/٢/٥، قالت العذراء: **«لقد ظهرتُ في أماكن عديدةٍ من العالم، ولكنّ بعض ممثّلي كنيستي دائبون على إزالة اسمي... إنّهم لا يدركون أنّني أظهر لأناسٍ وضيعين كي أخزي الأقوياء»**.

وفي **١٩٨٣/٣/٥**، طالبت العذراء بنشر رسائلها، وجدّدت دعوتها إلى تلاوة المسبحة الورديّة، وإلى الصلاة من أجل النفوس المكرّسة.

وفي **١٩٨٣/٥/١**، قالت: «**كونوا طاهرين، وارتدوا ثيابًا محتشمةً. إنّ جهنّم مكتظّةٌ بخطايا الفسق**».

وفي **١٩٨٣/٧/٢**، شكت: «**لقد استولى إبليس على مراكز عليا حتّى في قمّة الكنيسة... اطلبي من الجميع تغيير سلوكهم...**».

في شهر أيلول **١٩٨٣**، قالت: «**عشت ٧٣ سنةً، ضاربةً المثل في التواضع، والفقر، والطهر، منصرفةً إلى الصلاة والتضحية**». وكانت «أَمپارو» قد شهدت انتقال العذراء، فهتفت: «ماتت العذراء» ولكن أمّ الله اعترضت: «**لا، لم أمُتْ، بل رقدتُ ونُقلتُ على أيدي الملائكة**».

وجديرٌ بالإشارة أنّ عوامل الشيخوخة لم تنلْ من العذراء، منذ بلوغها سنّ العشرين.

رسائل عام ١٩٨٤

في ١٩٨٤/٤/٢٢، وإثر الاعتداء الأثيم على «أَمپارو»، أرتها العذراء المعتدين الثلاثة، وقالت لها: «**قدّمي، عن نيّتهم، تضحياتٍ، واعتبريهم أصدقاء. الشرّ ليس في الخوف، بل في الحقد**».

وبتاريخ ١٩٨٤/٤/٢٨، وعلى مدى خمسين دقيقةً، استطاع الحاضرون في «پرادو نويڤو» التحديق إلى الشمس، حيث توالت طائفةٌ من الألوان المختلفة. وقد كرّرت العذراء دعوتها إلى الصفح وحبّ الأعداء.

بتاريخ ١٩٨٤/٥/٦، الموافق لعيد الأمّهات، قالت العذراء:

«كم هم منكم من لا يهتمّون إلاّ بأجساد أبنائهم! أنشئوهم على تعاليم يسوع، في خوف اللّه المقدّس. ستُسألون عنهم عندما ستمثلون أمام الآب... أمّا الأُمّهات، فمن جرّاء انصرافهنّ إلى اللهو، لا يُعنَيْنَ بأبنائهنّ، ولا يجهدنَ إلاّ في إظهار أناقتهنّ، وفي تبذير ما وهبهنّ اللّه... يا أبنائي، طوبى للذين أُعطَوا اكتساب ثرواتٍ، ونعمة توزيعها على الفقراء، عوضًا عن إنفاقها على ترفٍ باطلٍ».

وفي ١٣/٥/١٩٨٤، كانت السيّدة «أَمپارو» قلقةً، إذ كان عليها أن تمثل، في اليوم التالي، أمام لجنة تحقيقٍ أُسقفيّةٍ. كانت تبكي، فقالت لها العذراء:

«... لا تظنّي، يا ابنتي، أنّ الأمور ستجري بيُسرٍ، غدًا. كثيرون منهم ذئابٌ في جلود خرافٍ. سيتّهمونك بالجنون، وبما هو أسوأ. ولكن قدّمي ذلك ليسوع... فلن تدخلي ملكوت السماوات قبل أن يصقلك ابني خير

صقلٍ... ولا تظنّي أنّ الخلاص أمرٌ هيّنٌ. قليلون هم الذين يلجون من الباب الضيّق، في حين يندفع الألوف عبر الباب الواسع».

ومن الأقوال التي أدلت بها العذراء في تلك الفترة:

١٠/٦/١٩٨٤: «**عندما سيجهد العدوّ في تدمير هذا العمل، لا تكفّوا عن المجيء من أجل تلاوة الورديّة، والويل لمن سيدمّر عملي!**».

١٦/٦/١٩٨٤: «**أغضوا عن أخطاء الكهنة. وشاهدوا المسيح فيهم. واعلموا أن لا الملائكة، ولا أمّ اللّٰه نفسها، يمكنهم الحلول مكان الكهنة**».

٢٣/٦/١٩٨٤: «**بالتواضع تبلغون كلّ شيءٍ... فكّروا في المسيح على الصليب، تجدوا أنْ لا وقتَ لديكم للاهتمام بأمور العالم البشريّة. كان يسوع يموت على الصليب من أجل أولئك الذين كانوا يصلبونه، وبأيّ حبٍّ كان يرمقهم!... انشروا الإنجيل لدى كلّ أمم الأرض،**

ولا تجبنوا. أختم بدعوتكم إلى التوبة. بالتوبة والتضحية، تحولون دون انتصار العدوّ».

١٩٨٤/٧/٢: «تواضعي... إنّها لفضيلةٌ كبرى أن تصمتي عندما تُشتَمين».

١٩٨٤/٧/١٤: «أنا أمّ الكنيسة».

١٩٨٤/٩/١: قال يسوع: «بمنأًى عن الصليب لا تنالين السماء. أنا لا آخذ من ضحايا إلاّ تلك التي تقول للألم «نعم»».

١٩٨٤/١٠/٧: «لن أسمح بهلاك مَن يتلو الورديّة».

رسائل عام ١٩٨٥

١٩٨٥/٢/٢، قالت العذراء مخاطبةً المكرَّسين:

«**كفاكم إهانةً لابني. كفّوا عن إحزان قلبه الذي تكدّره النفوس المكرّسة بإحجامها عن النهوض بواجباتها... إنّ أكثر ما يُحزن قلبي خطايا الفسق والدنس التي يقترفها المكرَّسون.**» (وأعربت العذراء عن أسفها لتخلّي الكهنة عن اللباس الكهنوتي المميّز، الذي كان لهم حماية).

«**إنّ رحمة الله عظيمةٌ، ولكنّ عدله رهيبٌ**». «**تمثّلوا بأمّكم، يا أبنائي، كونوا فقراء ومتواضعين**». «**لقد أهملوا الصلاة، فاستولى العدوّ على نفوسهم**». «**لا تنتقدوهم بل صلّوا من أجلهم، فهم عزيزون جدًّا على قلبي**». «**أنتِ، يا ابنتي، كوني صغيرةً جدًّا، كي أرتقي بك عاليًا جدًّا**». «**أطلب منك، يا ابنتي أن تكثري من**

الصلاة، فالصلاة قادرةٌ على كلّ شيءٍ... واقرني الصلاة بالتضحية».

وقال يسوع لأَمپارو: «**ابنتي، الجئي إلى قلبَينا، فهما لن يتخلّيا عنك، إن لم تنأَي، أنتِ، عنهما**».

ويوم الخميس المقدّس، ١٩٨٥/٤/٤، قال يسوع:

«**«يا ابنتي، لم يدُمْ نزاعي ثلاث ساعاتٍ فحسبُ، بل هو مستمرٌّ حتّى نهاية العالم. أتعلمين من هم مسبّبو هذا النزاع؟ عددٌ غفيرٌ من كهنتي، من النفوس المكرّسة لي. لقد أجزلتُ لهم العطاء، وهم، الذين نالوا النصيب الأوفر، هم الأسوأ. إنّهم يستجيبون لحبّي، أسوأ استجابةٍ.**

«**اعلموا أنّني سجين مخبإ القربان، من أجل البشر.**

«**أدعوكم إلى حبّ أمّي حبًّا كبيرًا. فمن يحبّ أُمّي يحبّني، أيضًا، لأنّني أُحبّها حبًّا جمًّا. أحبّوا أُمّي، وهي ستقودكم إليّ، وأنا سأقودكم إلى الآب. سآتي ديّانًا، ولن آتي صديقًا، لذلك أدعوكم إلى الاجتهاد في عمل الصالحات.**

«أطلب منكم، أيضًا، الصلاة من أجل الكهنة. وألتمس من الكهنة شيئًا من الحبّ. أستجديه منهم. ملكٌ، خالقٌ، يستجدي قليلاً من الحبّ! يا أبنائي، صلّوا من أجلهم.

«وأقول لكِ حازمًا: أيقظيهم من سباتهم. لقد أوصلهم إبليس إلى هذا المبلغ من الوهن، لكي يستحوذ على نفوسهم. إنّ قلبي يحبّهم حبًّا جمًّا. فلمَ استجابتهم لحبّ قلبي هزيلةٌ؟! إنّهم ناكرو الجميل، وقد أهملوا الصلاة والتضحية، ومع ذلك لا أكفّ عن حبّهم، وعن إغداق نِعَمي عليهم، لعلّهم يتوبون.

«أنا، الآن، أُغدق النِعَم، ويأتيكم قلبي، صديقًا، مفعمًا رحمةً. ولكن عندما ستأزف الساعة الرهيبة، لن أصغي إلى التأوّهات.

«كونوا متأهّبين، فالظرف خطيرٌ... حبّي لكم كبيرٌ، يا أبنائي، فلا ترفضوه.

«أنا عَطِشٌ إلى الحبّ، هبوني حبًّا، يا أبنائي، فقلبي

يتلظّى ظمأً. ولا تكونوا جاحدين، وناكري جميل.

«يا ابنتي، أطلب منكِ أن تضحّي بذاتك من أجل الكهنة. اصلبي ذاتك، كلّ يومٍ من أجلهم، فأنا أريد أن ينهجوا السبيل القويم، ويمكن تحقيق ذلك بالتضحية والتوبة. وقد أسلفت القول مرارًا، يمكنكم، بالمسبحة الورديّة، صلاة أمّي المفضّلة، تجنّب حربٍ كبرى، وكارثةٍ مريعةٍ، والكثير من المخاطر التي تهدّد العالم. أريد أعمال تكفيرٍ عن الإهانات التي يرتكبها كهنةٌ كُثُرٌ.

«كثيرون يدّعون أنّ هذا هو عمل الشيطان، ولكنّ الشيطان لا يبني، بل يدمّر... عمل الشيطان يقوم به من لا يعملون بإنجيلي، الذين يختارون منه ما يروق لهم، وينبذون ما يزعجهم... ولكن حيث يتوفّر التواضع، والمحبّة، والحبّ، لا يستطيع إبليس شيئًا... لذلك، أطلب منكِ، يا ابنتي، أن تكوني متواضعةً، مغرقةً في التواضع، كي تسدّي الطريق أمام إبليس. التجئي إلى قلبَينا، قلب أمّي الطاهرة القدّيسة، وقلبي، كي تتمتّعي بالمنعة».

رسالة العذراء في ١٩٨٥/٦/١:

«**يا أبنائي، لا تخلدوا، يومًا، إلى النوم، قبل تلاوة المسبحة المقدّسة... هذه الصلاة تروق لي كثيرًا**».

وفي السبت الأوّل من شهر أيلول ١٩٨٥، شدّدت العذراء على أخطار خطايا الجسد، خطايا الفسق التي تودي بمعظم الهالكين، وبالعديد من الكهنة إلى جهنّم. وأطلقت هذه الصيحة: «**رحمةً بي، كونوا طاهرين، رحمةً بي، كونوا طاهرين... هذا ما تطلبه أمّكم لأنّها تبتغي خلاصكم... إنّ قلبي يتضوّر ألمًا، فكم قلّةٌ هم الطاهرون!**».

في السبت الأوّل من أكتوبر ١٩٨٥، قال الربّ: «**أنا في حاجةٍ إلى نفوسٍ قادرةٍ على نشر الإنجيل!**» وقال أيضًا: «**كم من مكانٍ تظهر فيه أمّي، فائقة القداسة والطهر. ولكنْ ليس من يُصغي إلى نداءاتها، مع أنّها لا تبتغي سوى خلاص البشريّة. البشر جاحدون، لا يصغون إلى ندائي. لقد أغواهم المجد، والكذب، والحسد، والفسق، والشهوة، والكبرياء، والفوضى. أغواهم الملك الخدّاع،**

الذي يتوهّم تحقيق النصر. أرجوكم، أمسكوا بيد أمّي، وهي ستقودكم إليّ، وسأُعتق النفوس التي أَحكَم عليها إبليس سيطرته، مدّعيًا إحراز النصر».

رسائل عام ١٩٨٦

رسالة يسوع، بتاريخ ١٩٨٦/١/٤:

«**يكاد لا يُقال شيءٌ عن اللّه في البيوت، وفي المدارس! الشبيبة مصابةٌ بمرضٍ مميتٍ لا يقوى أحدٌ على شفائه سواي.**

«**أكاد أكون وحيدًا في الكنائس. البشر يرفضون نِعَمي، وينأَون عن الصلاة والتضحية. الجميع يهجروني، يا ابنتي، جميعهم أو معظمهم. ألا ترأفون بي، يا أبنائي، ألا ترأفون بي، في حين أنا أُبقي قلبي مشرعًا لجميع البشر؟! أنا حزينٌ، يا ابنتي، وقلبي يعاني لوعةً كبرى.**

«**أنا سجين حبّكم، يا أبنائي، فارأفوا بالسجين الذي يبذل ذاته حبًّا بكم. أنا سجينٌ من أجلكم، لكي أهبكم غذاء الحياة الأبديّة.**

«أولئك الذين يزعمون أنّهم مسيحيّون، يرفضون الصليب، ويجبنون عندما يتعيّن عليهم الكلام عن الإنجيل.

«تأمّلوا في آلامي، تتبيّنوا أنّني بذلت حياتي كي أُخلّصكم، وأهبكم الحياة الأبديّة، يا أبنائي.

«يا ابنتي، إنّ قلبي حزينٌ، حزينٌ جدًّا، فالذين كانوا خاصّتي قد هجروني. تلك النفوس المكرّسة، النضرة، المزهرة، قد ذبلت. ما أقلّ الذين يحبّونني حبًّا حقًّا! سابقًا، عندما كان البشر يهينونني، كنت ألوذ بالنفوس المكرّسة. أمّا الآن، فأين الملجأ، يا أولادي؟ وكم قلّةٌ هم الذين يوفّرون لي العزاء!

«إنّي أحبّ الأقوياء القادرين على هجر كلّ شيءٍ من أجلي، الذين لا يخدمون سيّدين، في آنٍ واحدٍ: العالم، والمال، والجسد، من جانبٍ، واللّه من جانبٍ آخر...

«عليكم، أيضًا، أن تُمعنوا في الطهارة، فهي فضيلةٌ كبرى. أميتوا أجسادكم، يا أبنائي، وإن لم تميتوا

حواسَّكم، لن تصلوا إليّ. إنّه لأمرٌ شاقٌّ، وأنا أحبّ ما هو شاقٌّ».

وفي ذلك الظهور عينه، قالت العذراء: «**أحبُّوا أُمّكم حبًّا جمًّا، تعالوا إليّ كي أقودكم إلى ابني، وهو سيقدّمكم للآب**».

في السبت الأوّل من شهر آذار ١٩٨٦، قالت العذراء:

«**أطلب من النفوس المكرّسة أن تكون من نارٍ، وأن تلهب الأرض، وتتجنّب الفتور، أبتغي نارًا في النفوس. ولينتشِ المكرَّسون لي بالمسيح، فهو يحبّهم. وليكونوا ثابتين في رعايتهم. وليعُدْ الذين حادوا منهم عن درب الإنجيل، إلى قلبي الطاهر، فأهبهم نِعَمًا كي يثبتوا في رسالتهم.**

«**إنّ ابني يوفدني إلى بلدانٍ عديدةٍ، في العالم، كي أُحذّرها، وأُذكّرها بواجب الصلاة والتوبة.**

«**يا ابنتي، إنّ الحبّ الذي أكنّه للبشر، من العظمة**

بحيث يذوب قلبي في ناره. اجعلوا قلبي ينتصر. تعالوا جميعكم إليّ، وأنا سأقتادكم إلى ابني. هو سيكون لكم باب السماء، وأنا سأغلق باب جهنّم، كي أحول دون تردّيكم إليها. ولكن لا بدّ من الصلاة. اتلوا المسبحة الورديّة، بكثيرٍ من الورع، والمسبحة الورديّة ستنقذكم...

«**لا تصمّوا آذانكم عن نداءاتي. إنّ قلبي يحبّ النفوس حبًّا جمًّا، ولذلك هو ينذر باستمرار**».

وفي السبت الأوّل من شهر أيّار ١٩٨٦، قالت العذراء لأَمپارو» :

««**ليست رسالتكِ أن تكوني سعيدةً في العالم. رسالتك هي أن تتألّمي من أجل خلاص النفوس. ولكنّني أعِد بجعلك سعيدةً مدى الأبديّة كلّها.**

«**نفوسٌ مكرّسةٌ كثيرةٌ حادت عن درب الصلاة والتضحية. وهؤلاء ليسوا رعاة نفوسٍ، بل هم مدمّرو نفوس**».

وفي السبت الأوّل من حزيران ١٩٨٦، قالت العذراء:

«كلّ حبّةٍ من المسبحة جوهرةٌ ثمينةٌ تقود إلى المساكن السماويّة. وكلّ «سلام» هو وردةٌ تنطلق من فم مَن يتلوها مباشرةً إلى السماء. حاولي تلاوة الورديّة، راكعةً، وبورعٍ جمٍّ. انظري كم من الأنوار تنبعث من حبّات المسبحة!... أكثروا من الصلاة، فأنا أمّ جميع النعم».

وفي المناسبة عينها، قال الربّ: **«أحبّوا أُمّكم كثيرًا، فأمّكم تحبّكم بكلّ قلبها».**

بتاريخ ١٩٨٦/٨/٢، قالت العذراء:

«شرور العالم تتفاقم. أنا لا أكفّ عن التحذير، ولكن البشر لا يغيّرون سلوكهم، ولا ينعتقون من الأرضيّات.

«أنا أبتغي أن أخلّصكم. ولكن عليكم أن تفتحوا آذانكم. فابني قد جعل منّي ملجأً للبشريّة... التجئوا إلى قلبي الطاهر، فهو الذي سينتصر في آخر المطاف.

«صلّوا من أجل ارتداد روسيّا... وصلّوا، أيضًا، من أجل ابني الحبيب، نائب ابني. إنّ له في قلبي حبًّا

جمًّا... كثيرون ممّن يتبوّأون في الكنيسة، مراتب عليا يحتقرونه. وقلبه يتألّم بشدّةٍ، وهو يرى حال الرعاة...».

بتاريخ ١٩٨٦/٩/٦، قالت العذراء:

«**حكّام العالم يزيلون كلّ مبدأ دينيٍّ، لكي تتسرّب الرذيلة والخطيئة إلى القلوب...**

«**الورديّة المقدّسة سلاحٌ فعّالٌ من أجل إنقاذ البشريّة. لا تهملوا الأسرار المقدّسة. أكثروا من زيارة القربان المقدّس. فابني، فيه، حزينٌ ووحيدٌ»**.

وفي رسالة ١٩٨٦/١٠/٤، قال الربّ:

«**تعالوا، يا أبناء آدم، تعالوا إليّ. اتركوا ملذّات العالم، وأباطيله. أُريد أن ألمّ شملكم جميعًا. ولا أُريد أن تنأَوا عن قطيعي. أريدكم، جميعًا، قطيعًا واحدًا، يا أبنائي. تفرّقكم، وزهوكم بذواتكم، وكبرياؤكم، وخلوّكم من المحبّة، كلّ ذلك يؤلمني. أُريد أن أجمعكم، وأُلقّنكم حمل راية صليبي. ولكن لا بدّ من أن تتواضعوا كي**

تحملوا هذه الراية، وأن تمعنوا في التواضع، وألاّ تهتمّوا بشؤون العالم، بل اقصروا اهتمامكم على الشؤون السماويّة.

«**أنا أبحث عنكم، لأنّني أُحبّكم وأريد أن أُلبسكم المجد، بتعريتكم من مجد العالم. أريد نفوسًا تحبّني، وتهبني كلّ ذاتها، بلا تجزئةٍ، ولا تكون ملكًا للعالم**».

وفي ذلك الظهور عينه قالت العذراء: «**بشّروا بالإنجيل في كلّ أرجاء المسكونة**».

وفي رسالةٍ بتاريخ ١٩٨٦/١١/١، قالت أمّ اللّه:

«**أنا أمّ المخلّص، وأتوسّل ابني أن يرأف بجميع النفوس. فهم، جميعهم، أبنائي، أيًّا كان لون بشرتهم، ولغتهم، لجميعهم جزءٌ من ملك ابني...**

«**أحبّ أن تهب النفوس ذاتها بكلّيّتها**».

في رسالة ١٩٨٦/١٢/٦، قال الربّ:

«جميع الذين يحبّون يسوع عرضةٌ للاضطهاد والافتراء».

رسائل عام ١٩٨٧

وفي رسالة السبت الأوّل من كانون الثاني ١٩٨٧، قالت العذراء:

«**أنا أبكي لأنّني أمٌّ، أمّ النعمة، والحبّ، والرحمة، والبشر ينسون اللّه، يحبّون المتعة والعالم. أمّا اللّه فهو في المقام الأخير من فكرهم وقلبهم.**

«**يا أبنائي، ادأبوا على الصلاة. لا تهملوها. لطالما قلت إنّ الصلاة هي غذاء النفس. والنفس التي لا تتغذّى، تعتلّ**».

وفي السبت الأوّل من شهر شباط ١٩٨٧، قالت العذراء:

«**لا تفقدوا الإيمان ولا الرجاء. فإن فقدتموهما، فقدتم كلّ شيء.**

«يا أولادي، أطلب تتويج قلبَيْ يسوع ومريم في البيوت. أريد هذا التتويج لكي لا أُفسح لإبليس فرصة تدمير الأُسر، ولكي يسود قلبانا في كلّ عائلات العالم. يا أبنائي، لا تفصلوا قلبي عن قلب ابني. قلبي قريبٌ من قلبه. وحدة دمي فائق الطهر، هو الذي كرّس وحدتهما.

«عندما صعد ابني إلى السماء، بقي قلبه معي. معًا اجتزنا الأفراح والمشقّات، ومعًا كفّرنا عن خطايا البشر».

وفي السبت الأوّل من نيسان ١٩٨٧، قالت العذراء:

«أنا السبيل إلى يسوع. أجل، عبر مريم تمّ الفداء، وعبرها سيتمّ الخلاص. لقد وُلد المخلّص من هذه العذراء الطاهرة، المنزّهة من كلّ لوثةٍ، والبشر يشتمونها، بإنكارهم النعمة التي خصّها بها اللّه، نعمة الطهر والتنزّه من الدنس. من لا يحبّ مريم، لا يحبّ يسوع.

«أنا أمٌّ، وأحبّ جميع أبنائي، جميعهم، يا ابنتي. أكرّر

القول، إنّي لا أميّز بين الأجناس. وأُحبّ كلّ واحدٍ بكلّ قلبي».

بالإجمال بين **١٩٨٥** و**١٩٩٠** كانت الرسائل تثقيفًا، وتعليمًا، ودعوةً إلى حياةٍ إنجيليّةٍ، جماعيّةٍ ورسوليّةٍ.

في غروب عام ١٩٨٦، قالت العذراء: «إنّني أريد الحبّ، والوحدة، والسلام».

وفي **١٩٨٧/٥/٢** قالت: «**أُريد أن تجتمعوا كي تصلّوا معًا». وفي ١٩٨٧/٦/٧، أبلغت أنّ ابنها يريد تأسيس أُسرةٍ كبيرةٍ... قادرةٍ على التخلّي عن كلّ أمور العالم، وعلى التجرّد».**

هذه الدعوة وهذا التثقيف استمرّا سنتين، أرت العذراءُ، في أثنائهما «أمپارو»، حياة العائلة المقدّسة اليوميّة في الناصرة، القائمة على الحبّ والاحترام والفقر. وفي أيّار ١٩٨٨، قالت: «**اتّحدوا، يا أبنائي، على غرار المسيحيّين**

الأوّلين... لا تتفرّقوا، وصونوا ذواتكم بالصلاة، والصوم والتضحية».

وعام ١٩٨٩، بعد أن نهضت بعض المؤسّسات المستوحاة من الرسائل، قالت العذراء: «**أريد أن تتّحدوا جميعكم في النور. أريد أن أجعل منكم قطيعًا كبيرًا، كي أُلقّن قلوبكم الحبّ، والتواضع، والطاعة، والزهد بكلّ ما هو أرضيٌّ**». ثمّ أضافت: «**أُريد أن يتألّف قطيعٌ كبيرٌ من الرسُل**». وقد أكّد يسوع دعوة أمّه، قائلاً: «**انأَوا عن العالم وعن أباطيله، وملذّاته، وتخلَّوا عن ممتلكاتكم. لا تنشدوا كنوز الأرض، يا أبنائي، فهي لا تفضي إلاّ إلى الهلاك. بل التمسوا كنوز السماوات... ويلٌ لمن ستفنيهم النار...**».

في الأوّل من نيسان ١٩٨٩، كرّرت العذراء دعوتها بقولها:

«**إنّي أوجّه إلى النفوس دعوةً ملحّةً: على جميع الراغبين في الانضواء إلى قطيعي، أن يحيوا في فقرٍ، وتواضعٍ، وعفّةٍ، وطاعةٍ. إنّ الذين لا يتخلّون عن**

مقتنياتهم المادّيّة والجسديّة، لا يستطيعون الانضمام إلى قطيعي. لا تهتمّوا إلاّ بالخيرات الروحيّة. أحبّوا بعضكم بعضًا، متجنّبين الخلافات والمشاحنات».

وفي شهر تشرين الثاني ١٩٨٩، قالت:

«**أريد ألاّ تتعلّقوا بشيءٍ، وأن تعيشوا حجّاجًا على الأرض، مبشّرين بالإنجيل، ومحبّين قلبَينا... أريد أن تكونوا جميعكم واحدًا، وأن يكون ما للجميع لكلّ واحدٍ، وما هو لواحدٍ أن يكون للجميع... لا يكن لكم ملكٌ خاصٌّ، بل أريد أن تحيوا على غرار المسيحيّين الأوّلين**».

وعادت العذراء فأكّدت رغبتها هذه، في ١٩٩٠/١/٦، قائلةً:

«**أنتم، يا جميع من تجرّدوا من مقتنياتهم المادّيّة، انسوها، وفكّروا بالخيرات الروحيّة... أريد متجرّدين... أريد أن تتحابّوا كإخوةٍ، وأن تتواضعوا**».

في أيلول **١٩٩٠**، قال الربّ يسوع: «**قولوا جهارًا للبشر إنّ عليهم أن يموتوا، شيئًا فشيئًا، عن أذواقهم، وأباطيلهم، ونزواتهم، وعن ذواتهم، كي يصلوا إليّ**».

وفيما يلي نصّ التكريس للقلبين الأقدسين، كما طلبه كلٌّ من يسوع وأمّه:

«**يا قلب يسوع الإلهيّ، ويا قلب مريم كلّيّ الطهر، أهبكما ذاتي، وأهبكما قلبي بكلّيّته. أريد الحفاظ على إيماني، والالتزام بوصايا الكنيسة وشرائعها، وأريد الثبات في هذا التكريس**».

في **١٩٩٤/٢/٥**، قال يسوع: «**أُريد أن تُكرَّم أُمّي في كلّ مكانٍ، وأن تُحمَل إلى جميع الشعوب، مؤمنين وغير مؤمنين، مسلمين، وبوذيّين، شبّانٍ وأولادٍ، وشيوخٍ. فليُكرّم الجميع صورة أمّي... هذا الزمن هو زمن مريم**».

وفي رسالتها بتاريخ **١٩٩٥/١١/٤**، قالت العذراء:

«**أريد أن تنبع صلواتكم من أعماق قلوبكم. ثمّة من**

يصلّون، ولكنّ صلواتهم لا طائل تحتها، فهي هزيلةٌ. قد يطلبون ولكنّهم لا يعطون شيئًا. أعطوا اللّه، خالقكم، قليلاً من الحبّ».

وفي المناسبة عينها، قال الربّ:

«**علامَ تهربون منّي، يا أبنائي، أنا الساعي إليكم كي أُلقّنكم تعليمي، فيما أنتم تتهرّبون وتصمّون آذانكم. لا تتهرّبوا، يا أبنائي، في حين أنا آتي لأعلّمكم الحقيقة، وأذكّركم بأنّ الحقيقة مدوّنةٌ في الإنجيل. إنّني أكرّر قولي إنّ البشر يشوّهون الإنجيل. وأنتم، أيّها الرعاة الذين يشوّهون الإنجيل، ولا يعلّمون الناس ما ينطوي عليه من حقائق، الحقائق كلّها. لا تُخفوا عن البشر ما هو مدوَّنٌ في الإنجيل، ولكأنّكم تختلقون إنجيلاً يتوافق وأذواقكمٍ، يا أبنائي! غالبًا ما تحجمون عن إعلان الحقائق كاملةً، خشية أن تظلّوا وحيدين في معبد اللّه. آه، يا أبنائي، إن وافى كثيرون إلى المعبد، ولم تفسّروا لهم الحقائق، ولا التعليم كما هو مدوّنٌ، فأنتم رعاةٌ سيّئون، يا أبنائي.**

كثيرون منكم أضحوا موظّفين في العالم. آه! أيّتها النفوس التي تحبّها قلوبنا حبًّا جمًّا!... إنّه سواءٌ لديكم أن يتبادل الأخيار والأشرار العدوى، وحسبكم أن يمتلئ المعبد، حتّى إن ملأه من لا يحبّون اللّه خالقكم. ويَحْكم، أيّها الرعاة، يوم ستمثلون أمام الجلالة الإلهيّة! لقد أغدق عليكم اللّه النعَم، ومن ثمّ سيحاسبكم عن المسؤوليّات الكبرى التي تخاذلتم دونها، لأنّكم لم تلتزموا بكلمة اللّه، ولم تجرؤوا على المواجهة. يا لجبنكم، يا أبنائي! إنّ الذين لا يعارضونني هم معي، فكيف تقاومونهم، أنتم! ولا يطيب لكم سوى اختيار الفرّيسيّين الذين يكثرون الأقوال، ولا يفعلون إلاّ القليل. يا أبنائي، لقّنوا التعليم كما لقّنكم إيّاه يسوع، وكما أودعه مدوّنًا.

«يا أبنائي، ما أروع اللقب الذي أُطلق عليكم، لقب «العذراويّين»، نسبةً إلى العذراء مريم، أمّ البشر أجمعين!».

«آه! أيّها الكهنة الذين لا يختارون الثمار الطيّبة من

الشجرة الطيّبة!... إنّما أنا آتي كي أذكّركم بضرورة التبشير بالإنجيل كما هو. فعلامَ تخشَون الكرازة به كما هو؟ لا تخدعوا الناس، يا أبنائي، بل علّموهم أن يحبّوا بعضهم بعضًا، وأن يصلّوا، ويضحّوا، ويتوبوا، ويكفّروا عن ذنوبهم. لمَ أتيتُ، أنا، إلى العالم؟ ألم آتِ لكي أُضحّي بذاتي، بسبب البشر؟ فكيف لكم أن تحجبوا مبدأ التضحية؟ أكرّر قولي إنّكم تقتصرون على ذكر الله الحبّ، وتُغفلون الله، ديّان الأحياء والأموات، الديّان الأعظم.

«يا أبنائي الأوفياء لتعليمي، لا تخشوا شيئًا، ولا تخجلوا من زيّكم المميّز. بل كونوا أشدّاء، وقدوةً صالحةً للمتخاذلين.

«إنّي أطلب من البشر أن يحيطوا قلبَينا بشيءٍ من الحبّ، وآتي كي ألقّنهم الحقائق، وأعلّمهم المحبّة. يا أبنائي، لا تكونوا أشجارًا عقيمةً، بل كونوا أشجارًا خصبةً. وحيثما كنتم، يا أبنائي، أعطوا ثمارًا طيّبةً. أنا

أتيت لأعلّم الحبّ، والرأفة بالمعوزين. ولكنّ البشر يعيشون معًا ولا يتعارفون، ولا يتحابّون، ولا يهتمّون بالمُعدمين والمتألّمين. يا أبنائي، ارأفوا بأولئك الذين يمدّون إليكم يدهم.

«**انظري إلى قلبي، يا ابنتي...**

(أَمپارو): «آه!... يا للحبّ الذي يتدفّق من هذا القلب! يا إلهي، أيّة شُعَل حبّ!».

(الربّ): «**يا ابنتي، ليت البشر يمنحونني قليلاً من هذا الحبّ، فيعزّوني! ولكن، ما الذي أتلقّاه؟ نكران الجميل، والازدراء، والاضطهادات... مع أنّه بوسعي إضرام البشريّة بقليل من هذا الحبّ الدافق من قلبي. يا أبنائي، ما أعظم حبّي للبشر، وما أهزل حبّهم لي!**

«**هذا هو، يا ابنتي، حبّ الله الذي يضرم البشر، ولكنّ معظمهم كُتَلٌ من جليدٍ. ولا يتيحون للجليد الذي يحضنونه في قلوبهم، أن يذوب بفعل بركان النار الذي يضجّ في قلبي!**».

(وبعد أن أرى الربّ «أَمپارو» أربع فتيات توفّينَ في حادثٍ، وكنّ دائباتٍ على حياة المتعة، بعيدًا عن اللّٰه، فانتهينَ إلى جهنّم، ثمّ أراها رفيقةً خامسةً لهنّ، أمهلها الموت ساعةً واحدةً، فاغتنمتها كي تتوب إلى اللّٰه، وحدّثتها عن المطهر، تابع الربّ قوله):

«هل ترين، يا ابنتي، كيف أنّ النفس التي تستجير بي، تظفر بالنعمة وبالخلاص الأبديّ. لقد جئت كي أسكب دمي من أجل البشريّة كلّها (حينئذٍ فاح شذا وردٍ مقرونٌ برائحة بخور)... **ولكنّ كثيرين من البشر يدوسون هذا الدم بأرجلهم، فيرذلونني، ويحتقرونني. غير أنّ الذين يتوسّلون، ويختلج في قلوبهم ولو قليلٌ من الحبّ، فقلبي يذوب رغبةً في خلاصهم. وهكذا، أنا رحيمٌ وديّانٌ في آنٍ واحدٍ، وأُريد أن يُحكى عن رحمتي وعن عدلي.**

«يا كهنتي القدّيسين، أنتم الذين يتبعون إنجيلي، ويتعرّضون لاضطهاد مشوّهي تعليمي، تشجّعوا، فلديكم

رسالةٌ خطيرةٌ في العالم. يا رعاة النفوس، بصفتكم رعاةً، علّموا أنّ الكلأ موجودٌ في الكنيسة، وأنّ البشر يخلصون إن هم جاؤوا إليها. من يأكل جسدي ويشرب دمي، له الحياة الأبديّة. ولكنّ كثيرين منكم يكون تناولهم جسدي وشربهم دمي، تدنيسًا لهما، وسينالون دينونةً أبديّةً».

وقد عقّبت السيّدة العذراء على هذه الرسالة بقولها:

«أيّها الخطأة، أطلب منكم جميعًا: مهما كانت جسيمةً خطاياكم، إلاّ أنّ الربّ مستعدٌّ دائمًا للصفح عنكم، يا أبنائي. فهلمّوا إليه. أقبلوا إليه باطّرادٍ، في سرّ القربان، وزوروه فيه. كم يسوع حزينٌ في مخبإ القربان، وهو يشهد مدى ازدراء البشر ونبذهم له! أنا أتابعكم، وكان بالحريّ أن تقتفوا، أنتم، خطاي. وبما أنّني أملك رحمةً كبرى، فأنا أريد استنفادها لخلاصكم.

«كونوا متواضعين، يا أبنائي، صلّوا، وازهدوا في متاع الدنيا، وتجرّدوا منه، قبل أن يتوقّف قلبكم عن الخفقان. تخلّوا عمّا يقيّدكم، ويحول دون شخوصكم إليّ.

سأسكب وابلاً من النعم على جميعكم، يا أبنائي. عليكم بالصلاة، وأعمال المحبّة والرحمة. هذا ما أطلبه منكم، يا أبنائي. انصرفوا بكلّيّتكم إلى أعمالي».

وفي رسالتها بتاريخ ٢/١٢/١٩٩٥، قالت العذراء:

«شاهدي، يا ابنتي، كيف تخترق الخطيئة قبّة السماء. من أجل ذلك، أستمرّ، أنا، في التحذير، عسى أن يغيّر البشر سلوكهم، ويكفّوا عن الانجرار بأكاذيب إبليس. إنّ إبليس يسود العالم، حاليًّا، ولذلك تتقدّم الخطايا السبع الرئيسيّة، منتصرةً، لأنّ البشر يؤخذون بخديعة العدوّ».

وفي المناسبة عينها، قال الربّ:

«يا أبنائي، لقد أسّستُ الكنيسة، لكي تعلن الحقيقة التي تنطوي عليها. وإنّي أطلب أن يُبَشَّر بالإنجيل كما هو مدوّنٌ. اقتربوا من الكنيسة، يا أبنائي، ففيها خلاصكم... لقد أسّستُها لكي يجتمع فيها البشر، وينهلوا من ينابيعها، حيث يجدون الحبّ، والسلام، والحقيقة. هناك رعاةٌ

يكرزون بما يناقض الحقيقة، يكرزون بإنجيلٍ مشوّهٍ. حتّى متى، يا أبنائي، عليّ أن أستمرّ في تحذير هؤلاء الرعاة، الذين لا يَحيون الإنجيل؟! فليغيّروا سلوكهم، ولا يجرّوا النفوس على دروب الهلاك، وليعلنوا حقائق الكنيسة كاملةً.

«يا أبنائي، أسّس يسوع الكنيسة، لكي يتحدّث الناس عن يسوع: فحدّثوهم عن آلامي، وعن موتي. وقولوا لهم إنّي، مع كوني ابن الله، تلاشيتُ، وانحدرتُ إلى الأرض، لكي أخلّص البشر. ولذلك أذكّركم بأنّ كثيرين منكم لا يفسّرون الإنجيل بحذافيره.

«آه! أيّها الرعاة، يا من يضلّلون النفوس، ويتمرّدون على الحقيقة، ولا يتمثّلون بالمسيح، ولا يخضعون لمثّله! ويلٌ لكم! من أنتم كي تدّعوا تلقين الله لمن يجب عليه أن يظهر؟ إنّني أظهر للمتواضعين، كي أخزي المتكبّرين والمتجبّرين. كثيرون منكم لا يدخلون السماء، ويحولون دون دخول الآخرين إليها.

«آه! يا أبنائي، يا من يصفّون البعوضة، ويبتلعون البعير، عودوا إلى الإنجيل. يا أبنائي، يا من يحبّهم قلب يسوع حبًّا لا يلقى تجاوبًا، عيشوا، يا أبنائي، في المحبّة، والحبّ، والفقر، ولا تضلّلوا الناس بشأن حقائق الإنجيل.

«آه! يا أبنائي، الذين يتشبّثون بالبشريّ، ويُغفلون الإلهيّ. لقد أسّستُ الكنيسة من أجل بلوغ السماء، لا من أجل عيش مجد الأرض. كلّ من يسير على درب الحقيقة، يبلغ مدينة المستقبل. فلا تحصروا ذواتكم في وطن الأرض. بأعمالكم، وبقدوتكم اصنعوا الوطن الأبديّ.

«وأنتم، يا من يتعرّضون للاضطهاد، طوبى لكم، لأنّكم تُضطَهدون من أجل اسمي. وأنتِ، يا ابنتي، لا يقلقنّك اضطهادٌ، ولا افتراءٌ، ولا شتيمةٌ، فهذه هي سمة المسيحيّ. كونوا خدّامًا دؤوبين، خدّامًا أشدّاء، ولا تكونوا خدّامًا كسالى، ولا خدّامًا عديمي الجدوى...

«فليفكّر الناس في نزاعي، وآلامي، وموتي! أنا جئت كي أخلّصهم، ولكنّي أهبهم الحياة، وهم أعطوني الموت...».

رسائل عام ١٩٩٦

وفي رسالةٍ بتاريخ ١٩٩٦/١/٦، قال الربّ:

«أعظم هديّةٍ يسعكم تقديمها لقلبي، هي أن تنأَوا عن الخطيئة. تعالَوا إليّ، أغفر لكم خطاياكم كلّها. فأنا أبتغي أن تنعموا بالحياة الأبديّة، يا أبنائي. رعاةٌ كثُرٌ يمكّنون العدوّ من التسلّل، وبعلمهم الأخرق يدسّون ضلال الكذب في كلام الله الذي هو الحقيقة. بشّروا بالإنجيل ولا تشوّهوه، يا أبنائي. كثيرون من البشر مشوّشون، وكثيرون منكم، يا رعاة كنيستي، يؤثرون الخليقة على الخالق».

ومن رسالةٍ بتاريخ ١٩٩٦/٢/٣، قال الربّ:

«إنّ وضع العالم يتفاقم سوءًا، والفجور على تصاعدٍ.

الاضطراب سائدٌ، والبشر ماضون في عماهم بعنادٍ. إنّ خشبة الخلاص الوحيدة هي حبّ اللّٰه ومحبّة القريب. هاتان هما الوصيّتان اللتان أدعوكم، يا أبنائي، إلى التزامهما. ولكنّكم تدوسون بأرجلكم دم المسيح، وتهينون اسم اللّٰه. ومعظم البشر يتحوّلون من التقوى إلى الكفر. فكيف لكم أن تتراخَوا في الصلاة والتضحية، يا أبنائي؟!».

وفي رسالةٍ بتاريخ ١٩٩٦/٣/٢، قال الربّ:

«... **لقد سبق لي أن قلت كلّ شيءٍ، يا أبنائي، ولكنّ البشر يصمّون آذانهم، ويأبون سماع أقوالي، وعوضًا عن اتّباع شريعة اللّٰه، يتبعون شريعة الخطيئة. الإنسان يرفض اللّٰه، وبرفضه هذا، يفقد النعمة. وبفقده النعمة المقدّسة، يدخل في طوايا الظلام، ويحمل، في جسده، شريعة الخطيئة. أجل، يا ابنتي، لقد اجتاز الإنسان شوطًا كبيرًا في الجحود ونكران الجميل. أكرّر القول: جئتُ لكي أهب الحياة، وأعطاني البشر الموت. تركتُ لهم إنجيلي،**

ووضعتُ لهم شرائع، ولكنّهم مقيمون على صممهم، ولا يعيرون دعواتي أيّ اهتمامٍ. الفساد يكتسح العالم، وهم يرون العالم غاصًّا بالفضائل! آه! أيّها العميان والصمّ، اتبعوا شريعة الله، لا شريعة أجسادكم... لقد أضحى الإنسان فاترًا، وفي فتوره، راح يَنشد الملذّات والسعادة الأرضيّة، وذهل عن السعادة الأبديّة...

«وأنتم، أيّها الأهل الذين لا يحسنون تربية أبنائهم، أنتم تربّونهم من أجل العالم، غير مكترثين بهلاك نفوسهم؛ تهتمّون بأجسادهم، وشهاداتهم العلميّة، وتُغفلون أعظم الشهادات، أي شهادة الإنجيل...

«إن أحببتموني، وضعت في قلوبكم الحبّ، فتحبّون الآخرين.

«كم من أُسرٍ تُدمّر، يا أبنائي، لأنّ الله غائبٌ عنها، ومن ثمّ فقدوا احترام الواحد للآخر، وما عاد أحدهم يقيم للآخر كرامةً! وكم من أمّهاتٍ يقتلنَ أجنّتهنّ، وهي في أحشائهنّ. وأيّ حزنٍ يعتري قلبي، وأنا أشهد الإنسان

يتحوّل وحشًا! أيّها الوالدون، قودوا أبناءكم على دروب الأبديّة. لا تطمعوا في أن يكونوا عظماء، وأصحاب مراكز رفيعةٍ، بل احرصوا على أن يسلكوا دروب المصير الأخطر شأنًا، أي مصيرهم الأبديّ. فليكن فيكم الإيمان والرجاء والمحبّة، يا أبنائي. لا تفقدوا المحبّة أبدًا. الإنسان، بمعزلٍ عن الله، تعيسٌ. أجل، يا ابنتي، إنّ قلبي يذوب حبًّا للبشر، ولكنّ البشر ممعنون في الجحود، بحيث يعيشون في عمًى، ويحيَون وفق شريعة الخطيئة، شريعة الحروب، والبغضاء، والدمار، والحسد، والكبرياء، وقلّة المحبّة، والفرقة، والفسق. وعندما يحيا الإنسان وفق شريعة الخطيئة، يفتقر إلى النور. آه! يا أبنائي، سيروا نحو النور، وحافظوا على المحبّة، على الأرض، وفي الأبديّة.».

وفي هذه المناسبة، قالت العذراء:

«... **إنّ الشبيبة تفسد. قودوها نحو الناهض من الموت. أبعدوها عن الفساد. أحبّوا بعضكم بعضًا، وكونوا**

متواضعين وبسطاء. لا تتكبّروا، يا أبنائي، واحذروا الزهو بذواتكم.

«وأنت، يا ابنتي، كوني متواضعةً، وقدّمي ذاتك ضحيّة تكفيرٍ عن الخطأة.»

وفي رسالةٍ بتاريخ ١٩٩٦/٤/٦، قال الربّ:

«... يا أبنائي، أحبّوا قلبَينا، فإن أحببتموهما، حقًّا، أحببتم القريب حبًّا صادقًا. ولكن، إن لم تحبّوا الله، لن يكون حبّكم صادقًا... إنّ العالم يفتقر إلى الله. إنّي أريد أن ينتصر قلب أمّي الطاهر، في كلّ أُسَر العالم.

«لديّ ينابيع ماء حياةٍ أبديّةٍ تروي كلّ من يأتي إليّ، فأفتح له هذه الأقنية وأغمره بمياه ينابيعي، كي تتقوّوا في الإيمان، فتصدّقوا كلامي، وتمارسوا المحبّة، وتكرزوا داعين إلى المحبّة. أنا، ابن الله الحيّ، وروح الله ومجده، أطلب منكم أن تحبّوا بعضكم بعضًا، كما نحبّ، الآب وأنا، أحدُنا الآخر.

«لقد جئتُ كي أنفّذ مشيئة أبي على الأرض، وارتضيتُ

تنفيذ هذه المشيئة، من أجل افتداء البشر بدمي الثمين. ويا لكم من ناكري الجميل! وكم كثيرون منكم يزدرون آلامي التي قاسيتها من أجل خلاصهم. أيّ صنفٍ من المسيحيين أنتم، يا أبنائي، إن لم تنفّذوا شرائعي؟ أقول لكم، يا أبنائي، تيقّظوا، وتوبوا، فالأزمنة عصيبةٌ، وأنتم، أيّها البشر، لم تأخذوا بعين الاعتبار عدل الله، وتقصرون اعتمادكم على رحمته، يا أبنائي. إنّي سأستخدم عدلي حيال الأشرار، ورحمتي حيال الأبرار. حتّى متى عليّ أن أحذّر البشر؟ لقد قلت لك، يا ابنتي، كم رحمتي عظيمة، ولكنّ عدلي جسيمٌ، أيضًا. وإنّي أُهيب بجميع البشر حَسَني النوايا، أن يصغوا إلى أقوالي، وأن يضعوا تعليمي موضع التطبيق.

«أجل، يا ابنتي، قد طُرد البشر خارج الفردوس، وأُعيدوا إلى الأرض لكي يستطيعوا، بجهدهم وعَرَقهم، استعادة النعمة المفقودة. ولكنّ الإنسان يريد أن يحيا بلا جهدٍ ولا عملٍ، ويزعم أنّه قادرٌ على الحياة بمعزلٍ عن الله. والواقع هو أنّ الإنسان بمنأًى عن الله، هو ميّتٌ،

يا ابنتي. لا شيء على الأرض يوازي ثروات الأبديّة. ولكن كيف يمكن لتفاهات الأرض أن تُفقد البشر رشدهم؟

«كثيرون من الكهنة موظّفون مأجورون، وليسوا رعاةً لكنيستي. العديدون منهم يستخدمون الكنيسة، ولا يخدمونها.».

وفي المناسبة عينها، قالت السيّدة العذراء:

«وا أسفاه! يا أبنائي. قديمًا كانت، ثمّة، نفوسٌ كثيرةٌ حيث كان بوسع قلبي الطاهر أن يستكين. ولكن، الآن، حتّى في معظم الأديرة، ذبلت الزهور، يا أبنائي.

«وا أسفاه! أودّ أن أُعزّيكم، يا أبنائي. ولكن، اليوم، آتي إليكم لكي توفّروا لقلبي العزاء. انظري، يا ابنتي، في أيّة حالٍ هو قلبي. إنّه ممتلئٌ أشواكًا مغروسةً بعمقٍ فيه. وألم هذه الأشواك بالغٌ، لأنّ قلبي يحبّ، حبًّا جمًّا، النفوس المكرّسة. ولذلك أطلب الصلاة والتوبة، لأنّ البشر فقدوا إنسانيّتهم، وانغمسوا في ملذّات العالم،

وقتلوا حياة الآخرين، بلا احترامٍ. الأمّهات يقتلنَ أبناءهنّ في أحشائهنّ. والشبيبة تحيا في الفساد، غارقةً في رذائل الكحول، والمخدّرات، والجنس. ولذلك أقول لك، يا ابنتي، إنّ الخطايا الرئيسة تتقدّم منتصرةً، والبشر لا يرون الخطيئة حيث هي تكمن...

«قبّلي الأرض، يا ابنتي، تكفيرًا عن جميع الخطايا التي ترتكبها البشريّة.

«إنّ قلبي يقاسي ألَمًا ممضًّا، يا ابنتي، لأنّ البشر ناكرو جميلٍ، ولا يدركون أنّ قلبَينا يتألّمان. ولذلك، يا ابنتي، عليكً أن تعاني مِحنًا أدبيّةً وجسديّةً جمّة».

«أَمپارو»

لقد اختارتها السماء ضحيّةً تقاسم الربّ وأمّه آلامهما، وتكفّر، بأوجاعها وتضحياتها، عن خطايا العالم، وبخاصّةٍ عن خطايا النفوس المكرّسة التي خانت رسالتها، وتنكّرت لمهمّتها، ونكثت عهودها.

في السبت الأوّل من كانون الثاني ١٩٨٧، قالت لها العذراء: «**أمعني في الصلاة من أجل الخطأة المساكين، وقدّمي ذاتك ضحيّة تكفيرٍ عن هذه النفوس البائسة، وتألّمي في صمتٍ. بوسعك مساعدة نفوسٍ عديدةٍ تحيد، كلّ يومٍ، عن طريق الإنجيل**».

وجريًا على ما ألفت تكليفها به، في أثناء الظهورات، قالت لها: «**قبّلي الأرض، يا ابنتي، تكفيرًا عن خطايا النفوس المكرّسة. لا يقيم الناس وزنًا لهذا العمل، مع أنّ تقبيل موطئ أقدام الجميع هو فعل تواضع**».

وفي نهاية ظهور السبت الأوّل من نيسان **١٩٨٧**، أوعزت إليها العذراء أن تسير فوق الحقل راكعةً على ركبتيها، فامتثلت ويداها مضمومتان على صدرها، وهي تمسك مسبحةً. هوت أرضًا، وظلّت هامدةً بضع ثوانٍ، رأت، في أثنائها، الربّ حاملاً صليبه، فطلبته منه، رغبةً في تخفيف وقره عليه. وببطءٍ ركعت ثانيةً، ورفعت يدها اليمنى، وكأنّها تسند الصليب - الذي لم يرَه الحاضرون - ولكنّهم لاحظوا أنّ ثقلاً يبهظ جانبها الأيمن. وعادت تسير بمشقّةٍ على ركبتيها، وسُمع صوت خشبةٍ تُجرّ على الأرض. وفي أثناء سيرها على ركبتيها، ارتمت «أمپارو» عدّة مرّاتٍ فوق الثلج، وإثر كلّ سقطةٍ، كانت تنهض بمفردها، متابعةً دربها بصعوبةٍ، مردّدةً، بلا انقطاع، قولها: «**تكفيرًا عن الخطأة**». لقد تخطّت قدرتُها على الاحتمال كلَّ طاقةٍ بشريّةٍ. ولمّا عادت إلى نقطة الانطلاق، كلّمت الربّ، مقدّمةً له الصليب الذي كانت ما برحت تقلّه، قائلةً، بعباراتٍ متقطّعةٍ: «**خذه، خذه!**». وارتمت ثانيةً فوق الثلج متلقّيةً لسع الريح والقرّ.

وامتثالاً لرغبة الربّ وأمّه، قبّلت الأرض، وارتشفت من

كأس الألم المشبعة مرارةً، التي كانت تسبّب لها نوبات غثيانٍ. وكانت تخاطب الأمّ السماويّة مؤكّدةً مشاركتها في التكفير عن خطايا العالم، متأوّهةً: «**إنّني، أحيانًا، أفقد القدرة على الاحتمال، إن لم تقوّيني. فليهبني ابنك قدرةً كبرى على الاحتمال**».

هذا، فضلاً عن سمات الصلب النازفة وغير النازفة، التي كانت توجعها في الصميم، وعن الآلام النفسيّة التي كانت تعانيها من رؤية آلام يسوع وأمّه، بسبب خطايا البشر، ولا سيّما أولئك الذين كرّسوا نفوسهم لخدمة الله، ثمّ أخذوا بشباك إبليس وغوايات العالم، فأمسوا لله أعداءً، ولرعاياهم مضلّلين، وتردّوا إلى أقصى دركات الانحطاط والرذيلة.

ناهيك عن شتّى ضروب المِحَن، وعن الاضطهادات والافتراءات التي تناولتها حتّى من قبل بعض الكهنة والرؤساء الكنسيّين، ومن ملحدين بلغ بهم الحقد الأعمى حدّ الاعتداء الوحشيّ عليها، واغتيال أصغر أبنائها، وهو في ربيع العمر.

كانت الآلام، إذن، آلامٌ من كلّ لونٍ ونوعٍ، قوامَ حياة

«أَمپارو». غير أنّها، مع كلّ ما كابدته من مِحَنٍ، وآلامٍ، واضطهاداتٍ، ومع كلّ ما خُصّت به من امتيازاتٍ وكراماتٍ، أثبتت تلك المرأة المختارة أنها طبيعيّةٌ تمامًا، وبسيطةٌ إلى أقصى أشواط البساطة. ولطالما أكّد الربّ وأمّه أنّهما يختاران البسطاء، والضعفاء والمعوزين، والجهلاء، لكي يُخزيا المتكبّرين، والمتجبّرين، ومدّعي المعرفة، والمزدهين بمراكزهم وسلطانهم، ويُظهرا أنّ قدرة اللّه تزري بكلّ غرورٍ أرضيٍّ.

وممّا لا يتطاول إليه ريبٌ أنّ هزال ثقافة «أَمپارو» الدينيّة والعلميّة، ووضاعة شأنها، وقصر خيالها، تؤكّد عجزها عن اختلاق الأحداث الخارقة التي كانت لها أداةً، والرسائل التي تلقّتها وبلّغتها، وجعلت منها وسيلة السماء لحثّ البشر على التوبة، والعودة إلى دروب اللّه.

وقد تميّزت «أَمپارو»، دائمًا، ببساطةٍ وبطيبةٍ تلامسان البطولة، فأُعجب جميع الذين عرفوها عن كثبٍ برقّتها الفائقة، وتواضعها السحيق، وبالتقدّم الروحيّ الذي حقّقته، والذي استحقّت بفضله لقب «الرائية الصوفيّة».

فحوى ظهورات الإسكوريال

بالإجمال، ما ظهورات الإسكوريال سوى حلقةٍ من سلسلة ظهوراتٍ تقوم بها السماء في شتّى أرجاء المسكونة، يرمي، من خلالها، يسوع وأمّه العذراء إلى التحذير من عواقب التيه الذي تردّت إليه البشريّة، من جرّاء إشاحتها عن وجه اللّٰه، وانسياقها وراء إغراءات المادّة، وتفلّتها من قيود الشرائع السماويّة، وإنكارها لبشاعة الخطيئة، تمهيدًا لمعاقرة الرذائل، والغبّ من المُتع الوبيلة، وتلبية النزوات الشاذّة، في سبات ضميرٍ، وأوهام حرّيّةٍ زائفةٍ.

في الإسكوريال، كما في سائر الظهورات السماويّة، دعوةٌ إلى التوبة، والعودة إلى أحضان الأب السماويّ، وإلى التقيّد بوصايا المخلّص وتعاليمه، بانتهاج دروب الصلاة، والتضحية، والمحبّة، والبذل.

ومن خصائص الإسكوريال أنّ العذراء ظهرت فيها بصفتها «سيّدة الآلام»، التي تتوجّع بسبب ما يُلحَق بابنها من إهاناتٍ وجحودٍ، وبخاصّةٍ من قِبَل من سبق لهم تكريس ذواتهم لخدمته، ثمّ نكثوا عهودهم. وهي تتألّم بسبب ما يُعرّض له عامّة البشر ذواتهم من كوارث مريعةٍ، وعقابٍ رهيبٍ.

فغالبًا ما ظهرت العذراء في الإسكوريال، مرتديةً ثياب حدادٍ، للتعبير عن عميق أساها. بيد أنّها ما فتئت تؤكّد أنّ المأساة ليست حتميّةً، وأنّ فرصة الخلاص تظلّ سانحةً. لا بل إنّها تطلق، بين فينةٍ وأخرى، شعاع رجاءٍ، مؤكّدةً، بنبرةٍ منعشةٍ، أنّ قلبها الطاهر سينتصر في نهاية المطاف. وهي تلتمس، في سبيل هذه الغاية، مشاركة نفوسٍ سخيّةٍ ترتضي التضحية، وتتقبّل الآلام طائعةً، تكفيرًا عن الخطأة، وإسهامًا في خلاص العالم.

ويؤكّد يسوع، من جانبه، في الإسكوريال، مثلما أكّد في الصوفانيّة، وفي أماكن أخرى، الدور الأساسيّ والجوهريّ،

الذي كلّف أمّه العذراء بلعبه في إطار تدبير الخلاص، مسفّهًا اجتهادات من يتطاولون على العذراء، بتخرّصاتٍ دنيئةٍ، معلنًا أنّ أولئك الذين يجهدون في تهميش دور أمّه، وفي الاستهانة بشأنها، وفي التشكيك ببتوليّتها الدائمة، لا يحبّونه، وأنّ ادّعاءهم الانتماء إليه، إنّما هو كذبٌ مفضوحٌ، وزعمٌ باطلٌ.

فهرس ظهورات الإسكوريال

طفولةٌ بائسةٌ وتدخّلٌ سماويٌّ ١٤٥

ظواهر خارقةٌ ١٥٣

سمات الصلب ١٦٠

القلب المطعون ١٦٥

إكليل الشوك ١٦٧

لقد ماتت ١٧٠

الصليب النازف ١٧٧

سمات الجلد ١٧٩

العذراء المتوجّعة ١٨٣

شهادة معرّفها ١٩٦

أشواكٌ في قلب العذراء ٢٠٢

«پرادو نويڤو» ٢٠٤

مقاومةٌ واضطهاداتٌ ٢٠٧

مناولةٌ بيد «پادري پيو» ٢١٢

موقف الإكليرُس ٢١٣

مسيرة الظاهرة وثمارها ٢١٨

ظواهرُ خارقةٌ ٢٢٧

تنبّؤاتٌ ٢٣٨

أشفيةٌ عجيبةٌ ٢٣٩

تحوّلاتٌ روحيّةٌ ٢٤١

رسائل الإسكوريال ٢٤٣

موجزٌ لفحوى رسائل الإسكوريال ٢٥٠

مقتطفاتٌ من رسائل الإسكوريال ٢٥٣

رسائل عام ١٩٨٠ ٢٥٣

رسائل عام ١٩٨١ ٢٥٥

رسائل عام ١٩٨٢ ٢٦٠

رسائل عام ١٩٨٣ ٢٦٦

رسائل عام ١٩٨٤ ٢٦٨

رسائل عام ١٩٨٥ ٢٧٢

رسائل عام ١٩٨٦ ٢٧٨

رسائل عام ١٩٨٧ ٢٨٦

رسائل عام ١٩٩٦ ٣٠٢

«أَمپارو» ٣١٠

فحوى ظهورات الإسكوريال ٣١٤

المطبعة البولسيّة
جونيه - لبنان